ANCORA IMPARO



العصور

٨-٩-٢٨ ٨ ن

مايو ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ٢١

المذهبية والارتقاء

١ — المذهبية الاعتقادية ــــ دين	٢ — المذهبيــة الجنسيــة ــــ وطنية
٣ — المذهبية الطائفية ــــ انحلال	٤ — المذهبيــة الفردية ــــ جمود

١ — المذهبية الاعتقادية تعصب لفكرة أو مبدإ أو أسطورة تنتقل بالوارثة أو اللقاح جيلا بعد جيل من غير أن يكون للعقل المستقل حكم فيها .

٢ — المذهبية الجنسية تعصب للدم يؤدى الى نفور من بقية سلالات النوع البشرى، وقد يظهر هذا النفور فى صور عديدة فقد ينقلب كراهية شديدة أو حقدا أو حسداً ، وقد تسمى هـذه الصور البشعة وطنية . والحقيقة أن دوافع الغريزة الحيوانية فى لانسان تدفعه الى الجلاد والحروب ، فتظهر هـذه الغريزة ملابسة لصورة من هذه الصور .

٣ — المذهبية الطائفية تعصب لمجموع من أمة يتكون حول علاقة فكرية أو لحمة طبيعية أو ظرف اجتماعى . وهى فى أبسط مظاهرها انحلال فى الوحدة القومية

والاجتماعية يفسح المجال للحروب الاهلية والمنازعات التى كانت سبباً فى سقوط الامبراطوريات الكبيرة والدول العظمى ، بل وفى فناء شعوب برمتها .

٤ — المذهبية الفردية تعصب للذات من شأنه أن تتحجر من حوله كل الصفات المرنة التى تجعل الانسان عضواً صالحاً من مجموع بشرى يضرب فى سبيل الارتقاء . فاذا فشت هذه النزعة فى افراد أمة أو افراد طائفة احدثت جموداً . وفى أية صورة من الصور ظهرت المذهبية الفردية فتحيزت حول فكرة فلسفية أو دينية أو اى منحى من مناحى الرقى أو التفكير الانسانى ، كان ذلك نذير زوالها وانحلالها . وقد يكون من أثر هذه المذهبية ان تنقلب « جشعاً اجتماعياً » له آثاره السوآى فى حب الاستئثار بالثروة والنفوذ

٥ — والنتيجة

أن الثوب المذهبى اذا لابس اية صورة من صور الفكر أو المعتقد أو الميول أو النزعات ، كان اكبر دليل على بدء طور من الانحلال تظهر نتائجه تدرجا وعلى مر الزمان .

تمهيد

الارتقاء رمز يسجد له الغرب كله . ومن ذلك الرمز تستمد كل المبادىء الاخرى قوة تستند اليها . فاذا قرأت للشيوعيين أو للاشتراكيين ، أو اذا رجعت الى اقوال الفرديين ، الذين يقولون بوجوب تسود الفرد فى المجتمع ، وجدت أن كل فريق إنما يبرر مذهبه ويؤيده مستنداً الى رمز الارتقاء . وكذلك الحال فى الفلسفة التأملية الصرفة . فان كل مذهب من مذاهبها إنما يرتكز على فكرة الارتقاء الانسانى ليتخذها دعامة يسند اليها ظهره اذا ماتناوحت من حوله رياح النقد ، وأخذت نزعات الفكر تنخر فى اساسه . ولن تجد الحال فى السياسة أو الصحافة الا قائمة على نفس هذه النزعة . فالارتقاء اذن هو ذلك الرمز الذى تستمد منه شتى المبادىء والفكرات ، بل والنظامات الاجتماعية ، قوة تبرر بها وجودها باعتبارها شيئاً ذا أثر واضح فى الحياة الانسانية . والصحافة ، على مابلغت فى العصر الحديث من قوة وتأثير ، وعلى مالها من هيبة فى بعض بقاع الأرض ، فانها انما تتخذ الدعوة الى الارتقاء سبباً تتعلق به ، ومبرراً يزيدها قوة ويدعم من أسسها بما لايبلغ اليه أى مبرر آخر .

ثم ارجع الى ماهو أتفه فى الحياة ، بل إلى ماهو تافه بالفعل . خذ مثلا التمثيل المسرحى أو التمثيل السنمائى ، أو الرقص ، فان هذه الفنون ، على الرغم من أنها من أتفه مظاهر المدنية واضعفها أثراً فى خلق الاتجاهات الجديدة ، وعجزها عن ان تؤثر فى الحياة أثراً ظاهراً ، بل فضلا عن انهـا قد نزلت فى العهـد الأخير الى درك الفنون الاسفل ، اذ أصبحت من الالهيات العامة ، بعد ان ادعى مؤيدوها بانها مدارس تثقيف وارشاد ، فانك تجدها تتخذ من رمز الارتقاء حبلا تتعلق به ، عسى أن تمت اليه بسبب، أو تنتسب اليه بنسب .

عد بعد ذلك الى الفنون العليا . خذ الشعر والموسيقى والتصوير والحفر ، تلك الاشياء التى أدت رسالة الفن كاملة وحملت أمانة الابتكار تلقح بها العصور عصراً بعد عصر ، ودهراً بعد دهر ، فانها كذلك تسجد أمام رمز الارتقاء ، وتخشع له . فكأن هذا الرمز جبار تنحنى أمامه هامات العلوم والفنون والاداب والنظامات الاجتماعية ، وهو قائم يشرف على التاريخ الانسانى منذ أبعد عصوره ، يلوح للانسان — « بالعصر الذهبى » — ذلك العصر الذى تمثله أهل الاغريق وسعوا اليه ، ثم من بعدهم الرومان ثم العرب، و تلاهم من بعد أهل هذه المدنية الحاضرة ، على خلاف فى القواعد والمقاصد، اذ انقلبت الوسائل من مجرد تأمل الى عمل صرف ، وتغايرت الغايات فصارت تنافساً بعد إن كانت إخاء . كل هذا ورمز الارتقاء يلوح للانسانية بعصرها الذهبي ، فكأنه الفانوس السحرى فى يد ديوجنيس، وهو يبحث عن الانسانية عندما تسود فيها الرجولة، فتكون فى أكمل مظاهرها ، وتكتمل فيه النظامات الانسانية اكتمالا هو كل مايقصد « بالعصر الذهبى »

وعندى انه اذا كان من اكبر مزايا الفن أن ينقل للفكر صورة كاملة دفعة واحدة ، فان رمز الارتقاء لا كمل صورة فنية أبدعها العقل الانسانى — من غير أن تقدر المهارة اليدوية أو العقلية حتي الآن عن أن تعبر عنها فى الشعر أو الموسيقى أو التصوير أو الحفر ، وهى فى معتقدى الصور التى استحال اليها الفن استحالة حقيقية . اما التمثيل والرقص وماشابههما، فمن أبعد الاشياء تعبيراً عن حقيقة الفن ، ومن أعجز مظاهر الابتكار الانسانى عن أن تؤدى معنى الفن الصحيح .

على أنى أخشى ان يكون فى قولى بان رمز الارتقاء هو أكمل صورة فنية أبدعها العقل الانسانى شيء من الغموض والابهام . غير أنى أعتقد أن هذا القول يحتاج إلى قليل من الشرح ليكمل فى الذهن معناه ، وتتحيز فى الفكر ماهيته . فانى أعتقد أن الصور الفنية إنما تقوم فى الذهن قبل أن تخرج إلى حيز الوجود الفعلى . فالذهن أو النفس الانسانية مبعث الفن ومباءة الصور الفنية وما نقصد بالذهن أو النفس إلا قوة التخيل مصروفة إلى شيء يسبق إلى حدسنا أنه من الممكن تحقيقه ، أو أن تحقيق شيء ما من طريقه مستطاع على الأقل . فسواء أكان الارتقاء أمراً واقعاً بالفعل كما يعتقد كثير من الفلاسفة وكما اعتقد كثير منهم فيما خلى من الزمان ، أم أنه مجرد وهم استولى على العقول، وأن الارتقاء مفهوم أو معقول لا مدلول له كما يعتقد الآن لورد بلفور والأسقف إنج والباحث أوستن فريمان، وكما اعتقد بذلك فئة من أفذاذ أهل الرأي وجهابذة أهل النظر من قبل، فان هذا لا يخرج « الارتقاء » عن أنه رمز فنى له الآن أكبر السلطان على عقول أهل الغرب ، يتذرعون اليه بشتى الوسائل و بمختلف الوسائط ، ما كان منها شر وما كان منها خير ، بغير تفريق . ذلك لأن الشكل مضحى به على مذبح ذلك الرمز المعبود ، بل ذلك الهيكل المقدس .

٭٭٭

فى القرون الوسطى لمع فى الفكر الانسانى نجم غير نجم الارتقاء أخذ الناس سناه . فان فكرة الخلاص الأخروى كانت قد استحوذت على العقول وفتكت بالأحلام ، وعلى الأخص تحت تأثير تلك الفكرات التى روجت لها الكنائس على مختلف نزعاتها . لذلك كان لرمز الارتقاء قداسته فى العصر الاغريقى ، وكان له تمجيده فى العصر الرومانى كما كان له تكأة اتكأ عليها فى العصر العربى . أما فى العصور الوسطى فان الناس قد نسوا « العصر الذهبى » وأكبوا على الآخرة ينهلون على يد الكنائس فى مناهلها ويرتشفون من سلسبيل خلودها ، فانصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة ، ومن العمل إلى الزهد ، ومن التأمل إلى الاستغمار ، ومن البحث وراء الحقيقة إلى التوبة خالصة لوجه الافلات من النار، لا لوجه الله .

ولقد كان لهذا الاتجاه العقلى أثر طرح بأهل القرون الوسطى فى مآزق امضتهم فيها المشاق ،وساقتهم إلى مزالق ابتلعتهم من فوقها لجة الموت فى جوفها السحيق . فان الحروب

الصليبيةالمشؤومة ، وهى فى معتقدى من أكبر العوائق التى صدت المدنية عن أن تسيرفى سبيل النشوء زماناً طويلا فى الشرق وفى الغرب ، لأثرمن آثار هذه النزعة وثمرة من ثمرات هذا الاتجاه العقلى الغريب . ولا أكتم أن الفورة العربية التى اكتسحت العالم ابان الاسلام فيها من الحروب الصليبية شبه ولها بقواعدها آصرة . غير أن فورة العرب لم تلبث أن انقلبت مدنية مسلوخة عن مجمل المدنيات التى هدمها العرب وسقطوا على تراثها ، بل لم تلبث أن أصبحت امبراطورية استبدادية قائمة على أول قاعدة من قواعد الاسلام ، هى حصر السلطتين الدينية والزمانية فى يد أمير المؤمنين ، ظل الله فوق الأرض .

أما الحروب الصليبية فلم تنتج مدنية ، بل قوضت دعائم الحضارة ، ولم تنقلب مبراطورية لأنها هدمت امبراطوريات . فكانت فى أساسها ومبعثها صرخة من القلب عميقة، ظن أن صداها سوف يبلغ إلى عرش الله فوق الكروبيم وسيراف — فيفتح لهم حارس الجنان أبوابها فيدخلونها أفواجاً .

ولا شبهة مطلقاً فى ان ذلك العصر كان عصر انحطاط ، نسى الناس فيه ان فطرة البشرية فيها نزعة الي الارتقاء . وان الطبيعية تدفعها الى النشوء والى التطور ، وأن مدارج النشوء والتطور لابد من أن تعدل من النظامات الانسانية على مقتضى الحاجات التى يشعر الانسان بأنه فى حاجة اليها . حتى انى لا أغالى اذا قلت بان الناس كادوا ينسون ان لهم بالطبيعة الحافة بهم صلة وأن بينهم و بينها نسبا أدنى . فالارض مركز النظام الشمسى والانسان محور الكون . وما جعلت الارض فى المركز الا لان الله لعرض ما اختار ان يشرفها بابناء آدم المطرود أبوهم من الجنة . وان الجنة لهم متاع يرتدون اليه بعد حين .

زد الى ذلك معتقداً آخر فى أن القرن العاشر نهاية العالم وأنه الحد الزمانى الذى قدر لنظام العالم أن يبلغ اليه . فكان اقتراب الناس من سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد نذير بالدمار وحلول الكارثة الكبرى . والفلك يدور ويتعاقب الليل والنهار، والسنون تمر تباعاً وسنة ١٠٠٠ تقترب والساعة فى عقبها سوف تأخذ الارض وأهلها عند بزوغ فجر اليوم الاول من القرن الحادى عشر . ويترك الناس مزارعهم ومتاجرهم

ويلقى الملوك تيجانهم الى الأرض ، ويترك الامهات أولادهم يموتون جدعا وعريا ويضيق الرهاب والقساوسة بمفشى الاعترافات ذرعا فيخرجون الى الاسواق وفى يدهم السياط الثقيلة يأخذون بها كل من ركع أو سجد على الأرض علامة على انه اذنب ، فيقوم السجود أو الركوع مقام الاعتراف ، ويقوم السوط مقام اللسان فى منح الغفران .

ثم تقترب الساعة فتهلع القلوب وينتحر صغار العقول وضعاف الاحلام ويظل الناس ليلة مستهل القرن الحادى عشر سكرى بذكر الآخرة ينتظرون الطامة الكبرى والكارثة العظمى ، ويمر من الليل ثلثيه ثم ثلاثة ارباعه ثم ينبثق الفجر ، ومن بعده يتنفس الصباح ، ثم تشرق الشمس ويمر بعض اليوم والكارثة لم تحل ، والطامة لم تنزل !

أمر عجيب ! ان الله قد اجلها لاجل آخر لسر لا يعلمه الا هو ! عذر تقوله الكنيسة ويقبله الناس . ولكن هذا كان آخر عهد الناس بالانصراف الي الخلاص الاخروى دون العمل من أجل الدنيا . وهنا حل رمز الارتقاء من إسار الوهم ليكون معبود الغرب مرة أخرى .

هذا المعبود المقدس ، الذى حطم اهل الغرب من أجله كل القيود وفكوا كل الاغلال ، هو الذى من أجله صارع الفلاسفة ليحلوه أيضا من اسار المذهبية ، وقد كادوا يفعلون . وما نقصد بهذا التمهيد المسهب الا أن نقول هذه الكلمات : كما ان اهل الغرب قد حطموا كل قائم فى وجه « الارتقاء » ليمهدوا له الطريق ، كذلك حطموا المذهبية والمذاهب ليكون الطريق امامهم ذللا ، وليكون « الارتقاء » حراً طليقاً ينصرف فى شتى المناحى غير مصدود ولا محتكم فيه عملا او فكراً .

* * *

١ — المذهبية الاعتقادية = دين

« المذهبية الاعتقادية تعصب لفكرة أو مبدإ او أسطورة تنتقل بالوارثة أو اللقاح جيلا بعد جيل . من غير أن يكون للعقل المستقل حكم فيها » .

يعتقد بعض الباحثين الآن أن الصراع بين الدين والعلم أمر قد فرغ منه وأن الدين والعلم تصالحا على ان يكون لكل منهما حيزه ، الاول فى عالم الذات ، والثانى فى عالم الموضوع — وكفى الله الناس القتال . ويعتقد فريق آخر أن

صراعاً لم يقع بعد بين الدين والعلم ، وان كل ما وقع لدى الحقيقة مناوشات أكبرها حادث غليليو فى حدود القرون الوسطى ، وحادث داروين فى أواخر القرن التاسع عشر . ويعتقد اصحاب الرأى الاخير أن الصراع لن يتناول صورة بعينها من صور الدين ، او مذهباً من مذاهب الدين ، او نزعة معينة من منازعه ، وانما سيقوم حول فكرة وجود الله بالذات . فكأنهم يختصرون الطريق . فبدلا من أن يقطعوا الشجرة فرعاً فرعا ليتنهوا الى اصلها ، سوف يحملون معاولهم ويضعونها فى الجذع أولا وأخيراً . ولاجرم أنه لا يضع الفأس فى أصل هذه الشجرة الا جبار قوي الأصلاب .

لم تقم المناوشات لدى الحقيقة بين الدين و بين العلم اطلاقاً و بالذات . بل قامت بين صور خاصة من الدين و بين بعض حقائق وصل اليها العلم . بعض صور حددت الافكار بحدود ضيقة وصدت العقل الانسانى عن أن يساير الحقيقة فى طريقها المرسوم — فلما ان افلت العقل من يد الاعتقاد رمى هذه الصور بقذيفة ما زال صداها يتردد الى اليوم فى جنبات الفكر الانسانى .

وهنا لا تنسى رمز « الارتقاء » فان الانسان لم يثر على المعتقد الا مدفوعاً بعامل « الارتقاء » . اما هذا العامل القوى فله وجهان . الاول بلوغ الانسان منزلة استطاع عندها ان يصارع التقاليد الموروثة والاساطير المتناقلة باللقاح ، والثانى رغبته فى أن يصل من الرقى الى درجة تكون انسانيته اذا بلغها اكثر تحقيقاً وأثبت سنداً .

ذلك لان من طبيعة المعتقد أن يصبح مذهباً راسخ القوائم فى اعمق اغوار النفس الانسانية . مذهب يعدل كل ملابسات الحياة على مقتضى بضعة فكرات لم يحتكم فيها لعقل يوماً ، بل رموز او اساطير حوطت بسياج القداسة لئلا يدخل العقل الى حظيرتها فيفسد من امرها بقدر ما تصور واضعوها أن بقاءها مصونة من غزوات العقل خير للانسانية . و أنى للقداسة أن تمت لهذه الأحكام وتلك الأساطير بسبب مالم تكن مستمدة من عالم الغيب منقولة إلى عالم الشهادة على أجنحة ملك لا تراه ولن تراه ، و إما نازلة على قلب صفى من أصفياء الله ، لا دليل على صحة دعواه إلا دعواه بأن ما يدعى صحيح . لهذا ، و من أجل أن تكون أحكام المذهبية الاعتقادية بالغة منتهى القسوة محوطة من العقل باسم الله الرحمن الرحيم ، استمدت كافة أحكامها وأوهامها وخطراتها

وأسرارها و اعلانها ، و كل مافيها،من عالم لا يراه الانسان الا بعد الموت . فكأنها أشياء هبطت علينا من عالم اللانهاية لتأخذ بيدنا إلى ذلك العالم .

فمن تاب وأناب فالجنة موئله ، ومن عصى فالنار مثواه

ولعمرى أن هذه الشبكة المحبوكة الأطراف ، المنسوجة خيوطها من عالم الغيب والتي لانعرف مم تتركب خيوطها الا إذا انتقلنا إلى ذلك العالم ، والتى سيجت بسياج القداسة لئلا تدخل أحكام العقل حظيرتها فتفسدها وتفصم حلقاتها لشبكة بقدر ما فى خيوطها من الوهن والضعف فيها من قوة الالتئام قدر كبير. هى واهنة ضعيفة أمام العقل وأحكام العقل . قوية إذا استمدت ألفتها من الوهم ومن الرغبة الصادقة فى الفوز بالدنيا وبالآخرة

لهذا كانت المذهبية الاعتقادية أقوى صنوف المذاهب فى النفس الانسانية أثرا وأبعدها غورا، وأقساها على العقل حكما ، وأمتنها للحرية غلا

ولست أقصد من القول بأن المذهبية الاعتقادية تساوى الدين الا أن الدين أظهر مظاهر المذهبية الاعتقادية أثرا فى الجماعات الانسانية . فان المذاهب الفلسفية قد تبلغ فى بعض الاحيان من الثبات فى النفس مبلغ الدين، فتكون بطورها ديناً تضعف فيه صفة الاستمرار ، و ينضب من حوله معين القداسة على قدرما . و كذلك المذهبية العلمية قد تصبح لدى ثابت الاعتقاد شيئاً أشبه بالدين . وكذلك الحال إذا بحثت شتى المذاهب فى أية صورة ظهرت ، فانك ترى فيها من الدين شبه ولها به آصرة . غير انك فضلا عن كل هذا تجد أن احط الجماعات البشرية المتمدينة ان خلت من الاستمساك باى شكل من اشكال المذهبية ، فانها لن تخلو من مذهبية دينية . تلك المذهبية التى اتخذناها عنواناً على بقية الصور التى ينشئها المعتقد على مختلف ألوانه وعلى شتى مناحيه .

وهنا نتساءل هل من أثر لهذه المذهبية يصد الانسان عن الارتقاء ؟

يدعى أهل المذاهب الاعتقادية بأن ارتقاء الانسان . مشروط على الوقوف حيث تقف أحكام مذاهبهم . غير أنهم لايفطنون الى شيء له أكبر الأثر فى تحديد معقول الارتقاء . فان الارتقاء الذى يسعى له الانسان لدى الواقع دنيوى ،والرقى الذى ينشده أهل المذاهب أخروى صرف . هذا فى الدين . أما اذا كانت المذهبية قاصرة على

صورة من صور الفلسفة ، او تصور من تصورات العلم ، أو حل من حلول البحث الاجتماعى لمشكلة من مشاكل الحضارة ، فالفرق بين معقول الارتقاء فيهما يختلف اختلافاً كبيراً ، وان كان يتفق وما يذهب إليه أهل الدين فى ناحية ما. فان الارتقاء كما هو دنيوى، فمفهومه كذلك أنه حركة الي الأمام مسبوكة فى قالب ما. أو مقودة بفكرة معينة، أو مسوقة الى غاية موضوعة. فى حين أن المذهبية فى كل صورها نذير الهمود والسكون الدائم .لان المذهب ما دام انه مذهب، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الاستقرار والثبات لا يحتمل مطلقاً أن تتبدل بعض أطرافه دون بعض أو تتغير بعض احكامه أو قواعده قيد انملة . فان من طبيعة المذاهب ان تكون فى مبدإ الأمر كفكرة بسيطة ومن حول هذه الفكرة تقوم مؤيداتها من الاسانيد النقلية والعقلية والعملية . اذن يكون المذهب عبارة عن كل مترابط الاجزاء مؤتلف النواحى ، فيكون مثله كمثل هرم قائم من فوق الأرض ولكنه يرتكز على قمته لا على قاعدته . وتجد فوق هذا ان تركب احجاره من فوق القمة المرتكزة على الأرض قد تناسقت أثقالها وأبعادها وأحكم وضعها على أخص القواعد الرياضية وقواعد ارتكاز الاثقال ،حتى أن تخلخل القمة من فوق الأرض أو انحرافها مفض الى انهيار الهرم العظيم قطعاً متناثرة ، واجزاء متنافرة . لهذا تجد أن كل فكرة مهما كانت صبغتها اذا ما برزت لابسة الثوب المذهبى . فذلك دليل على قرب انهيارها ونذير بان ساعتها قد دقت وان أوان زوالها قد آن .

على ان هنا لك فرقا لا يجب علينا اغفاله بين صور المذاهب اذ تكون فلسفة أو علماً أو أدبا ، وإذ تكون ديناً . فالدين على انه أقسى ضروب المذهبية أثراً فى النفس بل وأوهاها قوة امام العقل والنقد ، فانه أقواها على الاحتمال وأشدها ثباتاً على الاجيال. ذلك لانه مهما استقوى عليها العقل من ناحية الحكم الاستقرائى أو الاستنتاج المنطقى وهما دعامتا الأسلوب العقلى ، فان من حول مذهبية الدين سياج القداسة يحوطها ويحميها . فان اشتركت مع بقية الصور المذهبية من حيث البناء الهرمى المرتكز على القمة لا على القاعدة ،فانها تمتاز بان من حولها سياج القداسة ترتكن إليه كلما اعوزتها الحاجة الى سنادة تحميها من احكام العقل أو تصرف عنها سوء ما توجه إليها قوة النقد .

لهذا كانت المذهبية الاعتقادية من اقوى الحوائل التى تحول دون الارتقاء . واكبر دليل على هذا ان الصيحة التى صاحها الغرب فى وجه الكنيسة وانتهت بفصل الدين عن الحكومة ، والصرخة الداوية التى يرن فى آذاننا صداها اليوم ضد مذهبية الفلسفة ومذهبية العلم بل ومذهبية الاصلاح الاجتماعى نفسه ، وقد ظهرت جلية فى مذهبية الشيوعيين والاشتراكيين ، وانتهت بتقرير مبدإ حرية الفكر ، لم يكن لهما من سبب الا وقوف المذهبيات فى وجه الارتقاء . بل ان هاتين الصيحتين ليستا الا تعبيراً عن شعور عميق خارج من أعمق اغوار النفس اذ تشرئب الى الارتقاء والى التقدم فيحول دونها حائل المذهبية فى أية صورة من صورها ظهرت . وإنى لشديد الاعتقاد باننا لن نكون يوماً أقرب الى انتهاج سبل الارتقاء الحقيقى منا اذا حطمنا المذهبيات بانواعها وتركنا الفكر حراً ليسلك بنا السبل التي مهدها من قبلنا عباد الأرتقاء من أهل الحضارة الحديثة

٭٭٭

المذهبية الجنسية — وطنية

« المذهبية الجنسية تعصب للدم يؤدى الى نفور من بقية سلالات النوع البشرى ، وقد يظهر هذا النفور فى صور عديدة . فقد ينقلب كراهية شديدة أو حقداً أو حسداً ، وقد تسمى هذه الصور البشعة وطنية . والحقيقة أن دوافع الغريزة الحيوانية فى الانسان تدفعه الى الجلاد والحروب ، فتظهر هذه الغريزة ملابسة لصورة من هذه الصور » .

اذا انحصرت الوطنية فى أنها حب « الوطن » والدفاع عنه ، كانت بذاتها الصفة الطبيعية التى تقع عليها فى الحيوانات وعلى الاخص فى الطيور . فان الحيوانات تدافع عن اوجارها والطيور تحمى عن اعشاشها فى مواقع قد يكون فيها هلكها وفناؤها . غير أن هذه الصفه الطبيعية قد تطورت فى عدة تطورات وفهمت على صيغ مختلفة . فحب الفتح والتدمير قد اعتبر فى عصر من عصور التاريخ وطنية . والحض على الفوضى وقلب النظامات الاجتماعية قد عد عند بعض الفئات وطنية سامية المعانى . وما أشبه الوطنية او بالاحرى مفهوم الوطنية بمفهوم الواجب . كلاهما مرن يسع من المعانى بقدر ما فى النفوس التى

تستوعبها من فضائل و بقدر ما فى الرؤوس التى تحتويها من رجحان العقل . فالواجب قد يدعو اللص الى القتل تخليصا للص زميل وقع فى اسر الابرياء . وكذلك الوطنية قد يتذرع بها أناس فتنتهم الظواهر ونكثت الشهوات قتل عقولهم ، ليحطموا ما شاؤوا أن يحطموا من مدنيات ويقوضوا ما شاؤوا ان يقوضوا من آثار ومعاهد و نظامات . لهذا كان من الصعب على الباحث أن يتكلم فى المذهبية الجنسية (الوطنية) من غير ان يحدد ما يقصد من معنى هذا الاصطلاح إلا عمى عليه وعلى قارئيه واختلطت مباحثه اختلاطاً مريباً وما نقصد فى الواقع بهذا الاصطلاح الا نزعة الكراهية التى تقوم فى نفوس أفراد شعب ما لشعب آخر من غير مبرر حقيقى أو تحت تأثير فكرات أو خيالات باطلة .

فان من شأن المذهبية الجنسية أن تنكر محاسن الشعوب ولا تذكر الا سوائها ومن طبيعتها أن تصور فى الخيال صوراً كاذبة تكون مبعثاً للحروب المحطمة والكوارث المهدمة. ومن عناصرها الأولية أن تمثل الانتصار و لذة الانتصار فى الخيال فتقدم الشعوب على تحقيق ذلك فى الخارج . فهى فى قوامها الطبيعى خيال ينزع بالناس الى شهوات تدفعهم إلى ابراز ما يخيل إليهم ليكون حقيقة ملموسة ، فى حين أن هذه الاشياء كلها من مسورات الوهم ومضاعفات الخيال .

والمذهبية الجنسية صفة موروثة عن الحالات البدائية الأولى . وكانت لدى الواقع من أخص الصفات التى أدت الى تكوين القبائل والشعوب . فان الحالة الحربية الاولى التى استمكنت من طبيعة أبناء آدم لحالة لا تجدها فى عالم الحيوان من شبه . فالحيوانات تقتل لتعيش . أما الانسان فكان يقتل ليقتل فى أغلب الاحيان . بل كان يقتل ليرضى فى نفسه نزعات حديثة لم تعرف فى عالم الحيوان . فالطماعية والانتقام وشهوة التسلط وامثال هذه الاشياء كلها نزعات ضعفت فى عالم الحيوان ضعفاً من الصعب ان نستدل معه على آثارها فى الحياة الحيوانية. غير أنها قويت مع الانسان وظهرت فتية مشبوبة فى أول أطوار تكونه الاجتماعى مذ كانت الجماعات الانسانية أسراً مفردة ثم قبائل ثم مدناً ثم شعوباً . وكان تقرير مبدإ الملك سبباً فى أن تنقلب الآية من ملكية فردية إلى ملكية ضمامية . فبعد أن كان ملك الفرد لا يتعدى بهيمة أو قوساً أو نشاباً أو كهفاً أو شجرة أو قطعة من الأرض أو ما ماثل ذلك ، امتدت الملكية إلى أن تكون حيازة لمدينة أو تحكما فى قبيلة

ومن ثم أصبحت ملكية لرقاب شعوب برمتها . ومن أجل أن يحتمى الملك الفرد لمستبد وراء ظاهرة من ظواهر الوهم تقوم على حالة نفسية ما ، بث هؤلاء فى روع الشعوب أن الدفاع والهجوم إنما هما لخير الشعب ولعظمة الشعب . فدارت هذه الأوهام دورتها خلال عصور مديدة ولا تزال حتى اليوم قوية الأثر فى كل ما ترى من الانقلابات الفجائية الكبرى .

خرج الانسان من عهده البدائى الأول وفى يده آلات الهدم والتخريب . وبلغ أوج هذه المدنية ولا تزال هذه الآلات تنمو بنمو العقل وتتقدم بتقدم الاختراع ، ولا تزال الشعوب مستنيمة لفذة الوهم تزج بها فى غمرات حروب وثورات ما نزل بها من شريعة العقل حكم ولا رضيت عنها المدنية ولا الحضارة يوماً من الأيام .

أما وقد بلغنا من البحث هذا المبلغ فانه يحق علينا أن نتساءل ما هو موقف هذه المذهبية الخبيثة من الارتقاء ؟ أما إذا كانت نزعة الصراع والجلاء بين القبائل البدائية تلك النزعة التى تحتمل أكبر مسؤولية فى خلق المذهبية الجنسية ، مذ كونت الأمم وانشأت المعاهد والنظامات المدنية فان هذا لا يمكن أن يكون مبرراً أبدياً لتزكية هذه النزعة فى نفس الأفراد والجماعات وما دامت الأمم قد تكونت بالفعل ، وما دامت النظامات والمعاهد الاجتماعية قد بلغت حداً يمكن أن تتطور فيه من طريق التأثر بعضها ببعض فليس للانسانية على ما أرى من حاجة لأن نزكى نزعات افادتها فى عصورها البدائية الأولى . بل إن كل ما نرى من آثار هذه النزعة من مدنية العصر الحاضر ما هى إلا رجعى إلى نزعات فطرية لا حاجة لنا بها .

وهذه الحقيقة التى يمكننا أن نزكيها بكثير من الأمثال كافية فى الدلالة على أن هذه المذهبية تعوق خطى الارتقاء . ولا نغالى إذا قلنا بأنها من أكبر العقبات التى تصد الانسانية عن أن تمضى فى خطا النشوء الطبيعى . وليس بنا من حاجة لان نضرب على ذلك الأمثال أو نرجع إلى وقائع التاريخ ، ونحن لا نزال فى غمرة الحرب العظمى وآثارها السوآى .

وعندى أن أكبر دليل على أن الانسانية فى غير حاجة إلى الرجعى إلى تلك النزعات البدائية رقى العلوم والمعارف . فان أذهان الباحثين وأقلام الكتاب ، قد أحدثت

فى العالم ثورات كبرى من غير ان يراق فى سبيل ذلك دم ومن غير أن تتحطم مدنيات أو تثل عروش ، ومن غير أن يقف انقلاب على يوما واحداً حائلا دون الارتقاء فاذا رشدت الانسانية حقيقة استطاعت أن تتنكب سبيل الثورات المحطمة والثورات الفجائية الكبرى، وأن تتخذ من تاريخ العلم مثلا تسير عليه فى انقلاباتها الاجتماعية الكبرى على أنى لا أرى لهذا الأمر من سبيل الا بتحرير الأفكار تحريرا صحيحاً بحيث يفسح المجال لكل فكرة على أن يعتاد الناس احترام الأفكار وأن يتقبلوها بما يقتضى مبادىء الحرية من تسامح . فان هذا المجال هو مجال الارتقاء الحقيقى الذى لايقوم فى سبيله عقبة ولا يصده عن السير فى طريقه المحتوم صاد

لهذا يجب أن نحارب المذهبية الجنسية وان نمقتها وأن تتنكب طريقها باعتبارها عملا حيوانياً ورثه الانسان عن سلالته الأولى . وان الرجعى اليه وتزكية هذه الرجعى عمل أبعد ما يكون عن الرشاد ، وأنه أبعث الأشياء على الانحلال والفساد

* * *

المذهبية الطائفية - إنحلال

«المذهبية الطائفية تعصب لمجموع من أمة يتكون حول علاقة فكرية أو لحمة طبيعية أو عرف اجتماعى : وهى فى أبسط مظاهرها انحلال فى الوحدة القومية والاجتماعية يفسح المجال للحروب الأهلية والمنازعات التى كانت سببا فى سقوط الامبراطوريات الكبيرة والدول العظمى ، بل وفى فناء شعوب برمتها

نفضل أن نبدأ البحث هنا بتحليل نلم فيه ببعض ضروب من المذهبية الطائفية ومظاهرها بحيث نتوخى الالمام بأبينها أثرا لهذا نقول

أولا — اذا انصرفت المذهبية الطائفية للجنس — كان مظهرها أقلية
ثانيا — واذا انصرفت » » للفكرة — » » حزبا
ثالثا — » » » » للعقيدة — » » كنيسة

١ — الأقليات

مجرد وجود أقلية مندمجة فى أكثرية ، نذير بظهور المذهبية الطائفية . فان من طبيعة الاكثريات الميل الى الاستبداد والاستئثار بالمصالح الكبرى فى دولة مامن

الدول . ومن صفاتها احتقار الأقليات وعلى الاخص اذا شاعت فى الاقلية فكرة أن الاكثرية ترمى الى استئصالها . فهنالك تنشأ فكرة اذلال الاكثرية من طريق الخداع والمكر بها . فيبقى جسم الامة مسموماً بسم الأقلية المترعة بفكرات لها فى بعض الاحيان مبرراتها . ولا جرم أن هذا من أكبر عوائق الارتقاء .

٢ ـــ الاحزاب

من طبيعة الاحزاب التكون حول فكرة أصلها لفرد ثم يعتنقها مجموع فيكون حزباً. غير انه يجب بادئ ذى بدء أن تكون الفكرة الفردية كائنة فى الجو الاجتماعى ومن غير هذا لن تكون الفكرة الفردية حزباً . بل تظل فكرة ضالة تنتقل من ذهن الى ذهن من غير أن تؤلف من حولها مجموعاً نظامياً . وشأن الفكرات التي تتكون من حولها الاحزاب كشأن الشرائع . فان نجاح الشريعة أو سقوطها انما يرجع الى حاجة اليها يتشبع بها الجو الاجتماعى من قبل أن يخطها المشرع على الورق .

أما ضرر الأحزاب فيتفق أن يكون راجعاً الى تزويد الفكرة بمضاعفات يقصدبها المصالح الذاتية . فأن الفكرة التى يتكون من حولها حزب تظل عاملا ارتقائياً قويا مادامت منصرفة الى الصالح العام بعيدة عن أن تتأثر بالمصالح الفردية أو الذوات . وقد يتفق أن يحدث فى الفكرة الاساسية تعديلا لاشعوريا ينصرف فى ناحية تكون نتائجها ضررا لا نفعاً فان الجماعات لا تستطيع وهى فى غمرة التحول والنشوء ان تدرك شيئا مما سوف تجري اليها به خطا النشوء السائرة فيها . ولو كان هذا فى مستطاعها لعدلت عن كثير فى نظاماتها و لعدلت عن كثير من وجهاتها النظرية بمحض اختيارها . غير أن الجماعات لا تستطيع ذلك . وبهذا لا يمكن ان يتهكن انسان بمصير حزب من الاحزاب أو بمصير أمة تقودها احزاب مختلفة المبادىء . ذلك لان الحكم على الآثار الاجتماعية مرهون على نتائج لا يشعر بها الناس الا فى المستقبل البعيد . والحكم على الحاضر حكم غير ثابت على كل حال .

اما أظهر مظاهر الضرر التى تحدثها الاحزاب فالتنابذ الشخصى . وعلى هذا نرى أن الاحزاب نظام ضرورى . غير أنه قد ينصرف عن الخير العام تحت تأثير ظروف خاصة . وبهذا لا يكون النظام الحزبى عنصراً ضروريا للارتقاء الا بشرط واحد ،

هوأن يكون اساسه الغيرية والانصراف الى المصالح العامة و تفضيلها على المصالح الخاصة مهما عظم شأن هذه ومهما ضؤل شأن تلك.

٣ــ الكنائس

اما اذا انصرفت المذهبية الطائفيه الى العقيدة فانها تكون كنيسة ، أو طائفة دينية تتخذ لها نظاماً خاصاً ومراسيم خاصة . وهذا مايقصد فى الحقيقة من معنى الكنيسة . وعندى أن الآثار التى خلفتها لنا تواريخ الكنائس على مر العصور قد بلغت اقصى الضرر برقى الانسانية . بل كانت الحائل الاكبر دون الاخاء الانسانى . وكانت موئل الخلافات ومبعث الشرور الاجتماعية . ولا نكون اكثر اقتناعا بهذا منا إذا تذكرنا أن الانسان ليس له اختيار فى دينه اكثر مماله اختيار فى أن يوجد فى هذه الحياة . وعندى ان الانسان يولد محفوفا بثلاث ضرورات أولية ؟ الاولى انه يوجد والثانيه أنه يموت والثالثه أن يكون له دين . اما الضرورتان الاوليان فطبيعيتان . وأما الضرورة الثالثه فضرورة صناعيه فيها من اثر العادة اكثر مما فيها من اثر الطبيعه . ولن يكون نظام هذا شأنه مفيدا للانسانيه أو مسايرا للارتقاء . بل هو نظام موروث يحدث اتجاها فكريا ما ، من شأنه أن يزيد من فجوات النظام الاجتماعى وان يكثر من فتوق الاتحاد الاخائى . ذلك المثل الاعلى الذى كثيرا ماحاول الفلاسفه ان يرأبوا به صدوع الانسانية .

لهذا اقول بان الغاء نظام الكنائس نعمة كبرى للانسانية ، بل ان فى الغائه اكبر يد تسدى للنوع الانسانى

***

المذهبية الفردية ــــ جمود

« المذهبية الفردية تعصب للذات من شأنه ان تتحجر من حوله كل الصفات المرنة التى تجعل الانسان عضواً صالحاً من مجموع بشرى يضرب فى الاسبيل الارتقاء . فاذا فشت هذه النزعة فى افراد أمة او افراد طائفة احدثت جموداً . وفى اية صورة من الصور ظهرت المذهبية الفردية فتركزت حول فكرة فلسفية أو دينية او اى منحى من مناحى الرقى أو التفكير الانسانى كان ذلك نذير بزوالها وانحلالها . وقد يكون من

أثر هذه المذهبية ان تنقلب « جشعاً اجتماعياً » له آثاره السوأى فى حب الاستئثار بالثروة والنفوذ »

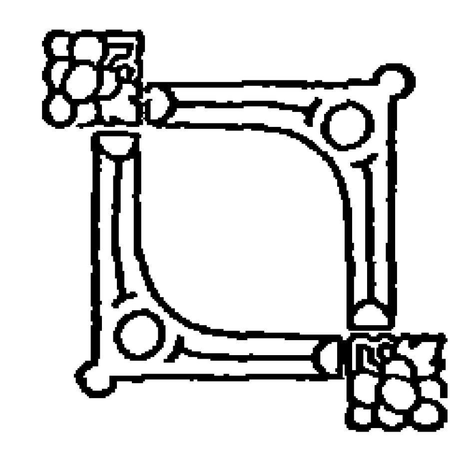
وهذا التعريف نفسه لا يحتاج الي زيادة فى الشرح او اطناب فى البيان . اما المثل على هذه المذهبية الفردية وانها تحدث جمودا ، فظاهر فى بعض المذاهب الفلسفية التى لم تصلح لان تكون مدرسة ولم تصلح لان تكون مرشداً فى الحياة . والسبب فى هذا ذيوع هذه النزعة فيها . وأصحاب الجمود الفلسفى كانوا بيقين ابرز عوامل التقهقر فى بعض العصور، وان كانوا من ناحية سلبية صرفة، سنادة ارتكزت عليها خطا التطور الاجتماعى . فهى من حيث الايجاب عدم، ومن حيث السلب نافعة بعض النفع ، بل هى ضرورية فى بعض الحالات .

والنتيجة

«ان الثوب المذهبي إذا لابس اية صورة من صور الفكر أو المعتقد أو الميول أو النزعات كان أكبر دليل على بدء طور من الانحلال تظهر نتائجه تدرجاً وعلى مر الزمان»

أما الارتقاء والمذهبية فعدوان لدودان . فلن يكون ارتقاء مع مذهبية ولن تكون مذهبية مع ارتقاء . اذن وجب علينا أن نضحى بأحدهما ليخلص لنا الآخر . ولاجرم أننا نضحى بالمذهبية لنخلص بالارتقاء ونجعله معبوداً نسجدله ونتجه اليه فى خطانا نحو الحضارة الصحيحة ؟

اسماعيل مظهر



Les Remords

النـــــدم
— أو —
تبكيت الضمير
من أغانى بليتيس
معربة عن الفرنسية بتصرف

قاومتهُ ورددتُ الطرفَ في شَنَفٍ (١) عنـه ، وحمرة وجهى تمـدُلُ الشَفقا
وا تتجّ نهـداىَ للانغـام يرسـلها قلبى الطروب لنجوى الحب قد خفقا
قاومته وهو يرجو أن يقبّلنى فلم أمكّنهُ من تكرار ماسرقَا
ولم تجاوزْ شَـكاةُ الحبِّ موضعها من ركبتىّ ونخـذاىَ قد التصـقَا
فراح يطلب غفرانى ويلثم فى شعرى ؛ وإنى أراهُ واقفا قَلِقا
نفاسـهُ تتلظى فى ترددّها وقلبه من جواهُ خِلْتُهُ احترقا
لمّا رأى أننى أعرضتُ فى صَلَفٍ عنه ، توارى خلال الدوْح وانطلقا
واحسرتاهُ ! لقد هدّمتُ أُمنيةً فيهِ . فخلّفنى أستمرئُ الأرَقا
فالآن أنظرُ فى هذا المكان وقد تحاول العينُ منىّ تخرق الأُفقا
أرى الأزاهر قد نمّتْ طلاوتها فوق الغصون ؛ وهذا الروضَ مؤتلقا
بالأمس . لكنّها فى وحدتى زَهَرٌ لايُبهج النفسَ ، يبدو حسنهُ مَلَقا !
وأنظرُ الغابةَ الفيحاءَ موُحشة كأنها لم تكنْ بالأمس لى طُرُقا
يبدو بها أثر الاقدام باعثةً شجوى ، فألعن هذا الطيشَ والنزَقا
الآن أجرَعُ آلامى ، وأكتمها كما يكنُّ المسا فى جوفه الغَسَقا
أعضُّ فى شفتىّ الآن نادمة حتى يكاد يُرَى منها الدّمَ اندفقا
وأرتمى فوق هـذا العشب كاتمة فيهِ أنينَ فؤادٍ بالأسى حرِقا

حسن كامل الصيرفى

---

(١) الشنف : النظر بطرف العين تنكرا واعتراضا

على السفود

(٢)

ساق حر فى الديوان العالى الملكى(١)

رجع الشيخ عبد الله عفيفى إلى جريمته فنظم قصيدة أخرى رفعها إلى جلالة الملك فى عيد ميلاده السعيد وسخرت جريدة الأهرام من هذا الشعرور فنشرت له قصيدته فى صدرها بحرف كبير مشكول جلب لها من مطبعة دار الكتب على ما يظهر . كل شىء فى هذه البلاد تهويل وتطفيل ولكن حين تكون مثل هذه القصيدة فى صدر الاهرام لا يكون معناها أنها قصيدة افتتاحية بل فضيحة افتتاحية

طبعا ليس الديوان العالى الملكى مسئولا عن شعر مثل أنيسه حصاب وعزيز صعب وشاعر الاخلاص حسن الدرس. ولكنه مسئول عن هذيان المحرر العربى فيه ومسئول عن إفساد ذوق الجمهور بنشر هذا الهراء المنظوم ومسئول فوق ذلك عن تشويه سمعة مصر وأدبها فى الأقطار الاخرى. لأنه إذا كان هذا الشعر الرسمى الخارج من الديوان العالى والمنسوب اليه والمحسوب عليه. فياضيعة الأدب ويا سقوط الشعر. ولم يبق لأئمته إلا أن يفزعوا إلى جلالة الملك فان جلالته باعث النهضة اللغوية الأدبية وحاميها. ولن يقبل أن يرجع عصره السعيد إلى الوراء سبعين أو ثمانين سنة فيأتينا مثل الشيخ على الدرويش فى صورة الشيخ عبد الله عفيفي

نحن فى عصر آخر قد زخر بالفلسفة والأدب والحكمة فمن العار أن يكون الشيخ ابن عفيفي مسموحا له رسميا بافساد الذوق الأدبى ونشر هرائه على الجمهور و إضحاك أدباء الأقطار الأخرى من الأدب الرسمى المصرى . هذا لا تحتمله مصر ولا يرضاه

---

(١) سألنا الكثيرون عما هو السفود (بسين مشددة بفتح وفاء مشددة بضم) والسفود سيخ من الحديد يلبس فى اللحم ويدار أمام النار لينضج . فاذا وضع فى إنسان كان خازوقاً يذهب به إلى جهنم .

أدباؤها، و يقيننا أن جلالة الملك لن يسمح به لجلالته عالم من أعظم العلماء وأديب من أبلغ أدباء الدنيا وإلى جلالته ترفع العصور هذا النقد ملتمسة من رحمته أن يرحم الشعر والأدب

يقول الشيخ عفيفى فى مطلع قصيدته

دعت ذات الأراكة فاستجيبا   ولا تدعا من الدنيا نصيبا

القصيدة تهنئة بعيد الميلاد ومرفوعة إلى جلالة الملك ومع ذلك يرجع بنا هذا الشعرور ألفاً وأربعمائة سنة إلى ذلك العصر القديم الذى كان الشعراء يقولون فيه فى مطالع قصائدهم من مثل

خليلى مرا بى على أم جندب

أو : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فيبدؤن الكلام بتوجيه الخطاب إلى اثنين دائما ودائما إلى اثنين .لأنهم قوم رحل ولا يسافر الواحد منهم إلا ومعه اثنان على الأقل ولهذا يكثر فى شعرهم : صاحبى . خليلى .مصيبتى ! !

ولكن هنا فى مصر وفى قصر عابدين ما معنى توجيه الخطاب الى اثنين من دون الامة كلها ؟ الا أن يكون التقليد الأعمى والجهل بأصل الطريقة العربية .

ولكن هذا ليس بشئ فى جنب المصيبة العظمى والداهية الدهياء التى فى هذا البيت ، فذات الأراكة هى الحمامة المطوقة التى يذكرها العرب كثيرا فى شعرهم. وهنا يظهر جهل هذا الشيخ جهلا مخزياً و يظهر فساد ذوقه بحالة تشمئز منها كل نفس و يستعاذ بالله منها ، حرس الله جلالة مولانا الملك ووقاه بعنايته وحفظه لأمته المتعلقة بعرشه المؤملة فيه وفى وجوده السعيد

العرب لايذكرون دعاء الحمام وهتاف الحمام الا على أنه ندب ونوح وحزن وشجى . لأن هذا طبيعى فى نغمة الحمائم ولان نغماته تهيج الحزن وتذكر كل حزين بآلامه وهمومه. انظر قول الشاعر الغزلى القديم ، وكان البحترى دائما يتمثل بهذه الأبيات ويكررها ويحن إليها . واذا قرأت هذه الأبيات أيها القارىء فانظر كيف يكون الشعر كالماء الصافى والنسيم العليل. اسمعوا. اسمعوا.

حمام الأراك ألا فاخبرينا لمن تندبين ومن تعولينا
فقد هجت بالشجو منا القلوب وأبكيت بالندب منا العيونا
تعالى نقم مأتماً للهموم ونعول إخواننا الظاعنينا
ونسعدكن وتسعدننا فان الحزين يواسى الحزينا

هذا هو حمام الأراك أو ذوات الأراكة. يقول هذا الغبي الشعرور شعرا كله ندب ونوح وعويل ومأتم وإسعاد على الحزن والبكاء والهموم. وليلاحظ ان العرب لايقولون أسعده فى كذا أو على كذا الا فى الاحزان والمصائب خاصة. أما فى غيرها فيقولون ساعده

ماذا يريد الشعرور من افتتاح قصيدته فى تهنئة جلالة الملك بعيد ميلاده السعيد بهذا المطلع الفظيع الفظيع. هل كل الناس جهال أغبياء وأقفرت الامة والبلاد، فليس فيها من يعرف شيئا حتى يستغفلهم الشيخ عفيفى ؟

ولكن الظاهر ان الشعرور يظن ان دعاء الحمامة طرب وفرح، وعجز عن ان يأتى بكلمة تفيد هذا المعنى وكان قوله (دعت) . فيبقى ان الكلمة نفسها مسروقة من بيت شعر لا تفيد فيه الا الحزن والهم والغم (والغلب) . وقد عجب الناس من قوله فى هذه القصيدة :

فمن ورق تساجع ساق حر

و«ساق حر» ، كلمة «دعت» مسروقتان معاً من البيت المذكور وهو قول حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة دعت ساق حر ترحة وترنما
تغنت على غصن عشاء فلم تدع لنائحة من نوحها متألماً

انظروا أيها القراء هذه السماجة وهذا الغباء . أتفتتح تهنئة جلالة الملك بهذه الكلمة المسروقة من بيت (نوح النائح !) . أليس هذا فظيعا وأكثر من فظيع . وهل الشيخ عفيفى جاهل أيضا باللغة العامية ؟ الم يسمع العامة تتغنى فى كل مكان « ليه ياحمام بتنوح ليه » .

وكنا قد اتهمناه بانه رجل نحوى يجب ان يبقى فى كتب النحو وبين التلاميذ ولكن يظهر أنه لم يقرأ فى كتب النحو شعر ابى فراس

اقول وقد ناحت بقربى حمامة ☼ أيا جارتا هل تشعرين بحالى

أياجارتاما أنصف الدهر وبيننا ☼ تعالى أقاسمك الهموم تعالى

يستحيل ان يكون هذا الشعرور جاهلا بالعربية والعامية معاً فلم يبق الا أنهفاسد الذوق ثقيل الروح مغرور مظلمالفكر عتيق،عتيق،عتيق. بل الشعرور نفسه معترف فى قصيدته بانالحمامة لاتؤثر إلاالحزنوالهموأنها تملأ الجوانح نارا وسعيرا وذلكفىقوله :

وقدماً علمت قيسا هواه .. وأذكت فى جوانحه لهيبا

الله.الله!قيس المجنون المشهور علمته الحمامة جنونه وملأت قلبه وضلوعهنارا ولهيبا من النار باعتراف الشعرور .ثمهذه الحمامة عينها التى هي باعترافه حريق ونار ولهيب وجنون،هي التى يفتتح بها و بنواحها تهنئة جلاله مولانا الملك . وهل يجهل ابنعفيفى تطير ابى تمام من الحمام فى بيته المشهور:

هن « الحمام » فان كسرت عيافة   من حائهن فانهن « حمام »

والعجيبة أن القصيدة مفتتحة بكلمه « دعت » التى معناها ناحت .ومختتمة بكلمة « نحيباً » — وسبحانمانح الأذواق .

وقل يا أخي القارىء لقد تحيرت فى معنى قوله : « ولا تدعا من الدنيا نصيبا » لنفرض أنه يريد بالشطر الاول ان الحمامة أطربت وجاءت بالسرور والفرح فاستجيبا لها يا خليلى و يا صاحبى ويا مصيبتى ! ! فما معنى الشطر الثانى ؟ ان المقرر أننفى النكرة ينفى الجنس كله.فاذا قلت لم أر انسانا فى هذا المكان فالمعنى انك لم ترأى فردمن الجنس الانسانى كله . فهل يريد الشعرور ان الحمامة اطربت فهيصا هيصاً وخذا كل حظ فى الدنيا من خمر وطرب ورقص ونساء وتياترو وسينما والكسار والكورسال و البلوت باصرة الخ الخ! لو كان امر الشعرور هنا صادرا من ملك انجلترا و وراءه الاسطول ينفذه لما نفذ . والا فمن الذى يقدر ان يعطى كل نصيبمن الدنيا؟ واذا وجد هذا فمن الذى يقدر ان يأخذ كل نصيب من الدنيا . وهو لو اخذ عشرة أنصبة فقط لهلك من فرط اللذاتخصوصا.وهل الكوكايين والمورفين والهورين وامثالها الا أنصبة من الحظوظ لبعض الناس .

فظهر ان الشعرور سارق هذا الشطر من قوله تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا » لانه زعم فىسخافته التى سماها (تحية العيد) انه شاعر ! !

لم يلهه عبث الشباب ولم يضع * عبراته بين الدخول فحومل

فاذا كان كذلك فى القصيدة الماضية وأراد ان « يبيص » فى هذه القصيدة وجب ان يعتذر بعذر شرعى وهو قوله تعالى «ولا تنس نصيبك من الدنيا » ولكن مع هذا يبقى من جهل هذا الغبى شيء كثير .فان الآية استعملت النصيب معرفة باضافته الى الكاف فصار محدودا معينا بانه نصيب شخص بعينه.فهو على مقداره وباعتبار ما يلائمه و يصلح له ومع ذلك قيدت الآية اخذ النصيب المحدود بأمر يجعله كله خيرافكانت تكملتها « وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض » فهكذا يكون الأمر فى الكمال والحقيقة والحكمة . أما الشعرور فخرب الدنيا بتنكير النصيب ونفيه. ولذلك جاء معناه منتهى الحماقة

هذا كله فى مطلع القصيدة فقط . إن هذا المطلع « يطلع الروح » . ألا يقول الأدباء فى هذا الرجل وأمثاله ومشاركته اياهم فى الأدب قول المتنبى

وما موت بأبغض من حياة * أرى لهم معي فيها نصيباً

علمت أن ابن ثور نظم أبياتاً فى الحمام ونوحه سرق منها ابن عفيفى « دعت وساق حر » و يقول ابن عفيفى بعد المطلع

مطوقة زهاها الروض غضاً * وجللها بمطرفه قشيباً

وابن ثور يقول بعد البيت الأول

مطوقة غراء تسجع كلما * دنا الصيف الخ

ولكن (خد بالك) ابن عفيفى جعل الروض الغض القشيب يكسو الحمامة بمطرفه أى ثوبه فكأن جمالها وريشها وطوقها من صنع الربيع وهذا ما يجب أن تنبه اليه وزارة الزراعة لأنه اكتشاف عجيب . أما ابن ثور فلما قال مطوقة وصف هذا الطوق أبدع وصف وهو الذى يهم العرب فى منظر الحمام وجماله حتى أنهم يسمونه الحمام المطوق فقال

محلاة طوق لم يكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما

أى طوق ليس مما ينسج ولا مما يصاغ .

ثم يقول ابن ثور :

عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تفغر بمنطقها فما

ويقول ابن عفيفى :

عجبت لها تساجلنى القوافى !! بالطيف . بالطيف .

ويقول ابن ثور : ولم أر مثلى شاقه صوت مثلها

ويقول ابن عفيفى :

ولم أر كالحمام يقول قولا فيملك قوله الفطن اللبيبا

يا أرض ابلعى (وحياة أبوك ابلعى) . ابن ثور يتعجب من فصاحة غناء الحمامة وتأثيره فى النفس تأثير الكلام الفصيح مع أنها لم تفغر بمنطقها فما أى لم تقل قولا . فيأتى الشعرور ويجعلها تقول قولا ويسرق أقبح سرقة فى الشطرين معاً مما يدل على أنه ضعيف الهم جداً بمقدار ضعفه فى اللغة والبيان !!

وكل ما زاده ابن عفيفى على ابن ثور انه قال فى ذات أراكته !! وأين يوجد شجر الأراك ياترى ؟

تضاحكها الاقاح على الروابى فتنظر بهجة وتشم طيبا

الحمامة المخصوصة بالنوح والندب تضاحكها الأقاح (علشان خاطر الشيخ عفيفى) ويدخل فيها عقل الشيخ حينئذ فتصير تشم الطيب . تشم لوسيون الربيع من محل غناجه ! هذا اكتشاف آخر يجب أن تنبه إليه مصلحة الطب البيطرى !! والأقاح غلط لان هذه الكلمة لاتستعمل إلا بالياء وكل ما ورد فى شعر المتأخرين من قولهم الاقاح فهو خطأ فى اللغة .

بعد الحمام يقول الشعرور :

أخى !! هذا الربيع أهل فانظر * حواشيه تر العجب العجيبا

وهنا ينتقل اللص الى خزانة ابى تمام فى قصيدته المشهورة فى وصف الربيع ولكن ألم يقل من قبل استجيبا ولاتدعا يخاطب اثنين فاين ذهب الثانى حين قال أخى ؟ نحن نقول لكم أيها القراء أين ذهب . انه ركب الترامواى وراح يهيص فى شارع عماد الدين ويأخذ كل نصيب من الدنيا !!

يقول ابو تمام :

رقق حواشى الدهر فهي تمرمر

الى ان يقول

يا صاحبي تقصيا نظريكما ✽ تريا وجوه الأرض كيف تصور

الله اكبر. الله اكبر. هذا هو البيان والتصوير. لم يقل انظر الأرض ولكن انظر وجوها كيف تصور. لأن الربيع ألوان ستمحي بعد مدة. فكلمة أخي مسروقة من صاحبي وهي في نهاية البرودة لو وضع عليها ميزان سانتغراد لهبط تحت الصفر !! وكلمة حواشيه مسروقة وجاءت بدون صناعة بخلاف ابى تمام. وكلمة انظر مسروقة. وقد خلت من هذا القيد العجيب فى قول ابى تمام « تقصيا نظريكما » وكلمة تر مسروقة من تريا. والعجب العجيب هو عجز العاجز عن أن يصنع مثل ابى تمام فى قوله «كيف تصور » هذه شعوذة عامية ثقيلة على النفس كأن الشيخ عفيفي يظن الادباء اطفالا فى الحارات فيحمل لهم صندوق العجب (صندوق الدنيا)

عجز الشعرور أقبح العجز فى بيت واحد لابى تمام ولذلك أسرع بالفرار وترك باقى معانيه فلم يأت فى الربيع الا باسخف الاوصاف المبتذلة التى ثرثر بها أمثاله

فقال تخال النيل عاطفة عليه ✽ شقائق ورده سيفاً خضيبا

لو زرع شاطئا النيل وردا لما استقام هذا المعنى لان السيف الخضيب أى الملوث بالدم — وانظر قبح هذا التشبيه — لا يكون خضيبا فى حده بل فى متنه. وماء النيل فى الربيع لا يكون احمر، بل يكون كذلك فى الصيف، ولا يشبهه حينئذ بالسيف الخضيب الاشعرور سخيف جاهل كل الجهل بالبيان العربى ونوادره وآثاره. فان القاضى الفاضل لما اراد أن يصف احمرار النيل ايام الفيضان ونمو الزرع وامتلاء مصر بالخصب بعد إمحالها، جعله يحمر كصفيحة السيف لانه قتل المحل فى أرض مصر.

انما يكون تشبيه النيل بين شاطئيه كما قال القائل: سيف يسل على طراز أخضر.

ويقول الشيخ وتسمع للنسيم عليه شكوى ✽ فتحسبه خليلا مستريبا

يعنى تحسب النسيم عاشقا استراب بمعشوقته فجعل يشكوها متوجعا لهذا ولذلك!

هل يريد القراء أن يضربوا هـذا البيت بالـ .. وان يعرفوا منزلة هذا الشعرور من الشعر الحقيقي؟ إذن فليستمعوا قول جحظة فى وصف رقة الجو:

ورق الجو حتى قيل هذا ✽ عتاب بين جحظة والزمان

من هنا سرق الرجل فانظروا كيف دخل القصر و خرج وفي يده حذاء البواب ! !
وكيف حول العتاب بين جحظة والزمان إلى شكوى خليل مستريب! ! ! !

ولتتم الريبة بقول الشعرور

كأن شواجر الأزهار وهناً ✻ حبيب ضم فى ليل حبيباً

شرح «وهناً» بقوله أى عند انتصاف فى الليل ! ! فعند انتصاف الليل ماذا يلسى الشيخ «لم يلهه عبث الشباب» ؟ وما دخل الحبيب يضم حبيبه عند انتصاف الليل فى تهنئة جلالة الملك ؟ فى قصيدة الرجل بيت واحد له معنى حسن . ولكن جهله بالبيان وصناعة الشعر افسده عليه . قال

صنائع تنظر الرحمن فيها ✻ فتسجد خالصا أو مستثيباً

تنظر الرحمن فيها كلمة جميلة وهى من قولهم تنظر الله فى آثاره . ولكن «صنائع» هذه كلمة سوقية عامية تشعر الانسان بمعني الحرف والصنائع و هي مسروقة من قول أبى تمام فى و صف الربيع

صنع الذى لولا بدائع لطفه ✻ ماعاد أصفر بعد إذ هو أخضر

فجعلها الرجل صنائع ترى . و هذه عامية لاتطاق كأن الأرض فى زمن الربيع ورشة!
وتسجد خالصا يعنى إيه؟ هل الذى يسجد لله يسجد مرة خالصاً ومرة غير خالص ؟

كان الشعراء المتقدمون يبدؤون القصائد بالغزل أو الوصف ليثبتوا قوتهم البيانية فى بيت التخلص الذى ينتقلون منه إلى المدح . وفى هذا البيت تظهر قيمة الشاعر . فابن عفيفى يتخلص بعد بيت الورشة والصنائع بقوله

نماها النيل فى دنيا (فؤاد) ✻ نماه مشرقا لدناً رطيباً

جملة نماه مشرقا حال من فؤاد فالمعنى هذه الصنائع (نماها) النيل فى دنيا ملك هذا النيل نماه مشرقاً لدنا الخ. و . اه هنا من قول النابغة «نماه فى فروع المجد نامى» أى نسبه اليه جد كريم مجيداً و رباه أب ماجد . فما معنى أن النيل نمى العشب والخضرة ونحوها ، حالة كونه نما الملك مثلها مشرقاً لدنا رطيبا؟ وهل هذا كهذا ياشيخ عفيفى؟ أليست هذه الجريمة أدبية فظيعة بل أقبح جريمة وقع فيها أديب فى التاريخ كله . أنظر كيف تخلص أبو تمام فى قصيدة الربيع إلى مدح المعتصم بعد أن جاء بمعجزات الوصف

خلق أطل من الربيع كأنه . خلق الأمام وهديه المتنسر

أما مدح القصيدة فهو أبرد وأسخف من كل مامر . ولا تزال العصور تؤكد للشعراء أن أنيسه حصلب أشعر بكثير من عبدالله عفيفى . و أن عفيفي هذا لص أدبى عتيق، و إن شعره معرة على مصر ، إذا جعلت له صفة رسميه أو شبه رسمية. فارحم تاريخنا وآدابنا و ارحمنا يا جلالة الملك !!!

التوأمان

الأصل الانجليزى للشاعر هنرى لونجفلو . والترجمة من نظم الدكتور أبى شادى

(١) الأصل

As unto the bow the cord is,
So unto the man is woman;
Though she bends him, she obeys him,
Though she draws him, yet she follows,
Useless each without the other!

(٢) الترجمة

كما هو لِلْقَوْسِ شَأْنُ الوَتَرْ ... كذلك حالُ الفتى والفتاهْ
فإنْ هي تُثْنِيهِ لكنَّها ... تُطِيع إطَاعَةَ مَنْ يُؤْتَمَرْ (١)
وإمَّا دَعَتْهُ لدى جَذْبِهَا ... تَبَدَّتْ على نَهْجِهِ فى الأَثَرْ
كِلاَ ذَيْن دُونَ رفيق أَبَرْ ... عَـديمُ النّجَاحِ عديمُ النّجَاهْ!

(١) يؤتمر: يستشار.



شعر التصوير

أمام صحيفة ٥٢٣

شعر التصوير

﴿ النَّوْمُ ﴾

(الرسم للأستاذ شعبان زكى والنظم للدكتور أبى شادى)

كالضيفِ يختلسُ المضيفَ ومادرى كان الرفيقُ النومُ عند النائمِ !

وكما أصابَ من الحياةِ بحذقهِ نال المصوِّرُ منه نيلَ الغانمِ

فاذا مضى فى خُلسةٍ كمجيئه فضحتْ خطوطُ الفنِّ حالَ الراغمِ (١)

يحتلُّ مَنْ يهوَى متى يهوَى فما فرقٌ تراه بحاكمٍ وبخادمِ

أنظرْ اليهِ وفى السُّكونِ سكونُه وله من الأحلامِ صدقُ الحالمِ

تلقَ الإمارةَ لا حدودَ لها كما تلقاه أقهرَ عادلٍ أو ظالمِ !

عاف التأنقَ والفروقَ وقد أبى الاَّ التهاونَ فى الزمانِ الهائمِ !

هيهاتَ يقبلُ سنّةً وشريعةً لمظاهرٍ حتى سريرِ الحاكمِ

إنْ جاء كان مجيئُه مهما أتى مستأذناً فى غيرِ إذنِ القادمِ !

وكفاه عرشاً للسيادةِ فى النُّهى والجسمِ ما يلقى كفايةَ ناعمِ

أنظرْ إليهِ مسيطراً لا يعتنى بالملبَسِ المتقلقلِ المتزاحمِ

حتى تحارَ كحيرتى من سطوةٍ فيهِ، ومنْ ضعفٍ كذلك دائمِ !

أبو شادى

---

(١) الراغم : القاهر . يعنى النوم

الدين وعلم النفس الحديث

قد اجتاز علم الاديان ثلاثة اطوار هى :

(١) الطور الخرافى اللاهوتى

(٢) الطور اللاهوتى الفلسفى

(٣) طور مقابلة الاديان

واليوم يجتاز طورا رابعا هو طور التحليل النفسى او علم النفس الحديث .

* * *

ما هى العناصر التى تتكون منها نفسية المتدين ؟ ما هو نوع العلاقة بين الدين والاخلاق ؟ وبين الدين والغريزة الجنسية ؟ تحليل الخطيئة والتوبة . تحليل الباعث على الاعتقاد بالخلود . هذا نموذج من المسائل التى يبحث فيها علم النفس الحديث .

نفسية المتدين

يقول بعض علماء اللاهوت الحديث ان التدين هو مجموعة بواعث اخلاقية ذات غرض اخلاقى وان الانسان اذا كان مثله الا على اخلاقيا فهو متدين لان الدين والاخلاق شيء واحد . فالعناصر التي تتكون منها نفسية المتدين — عندهم — هى عناصر اخلاقية محضة . ولكن علم النفس الحديث الذى يعتمد على الحقائق المشاهدة لا يقبل هذا الزعم ويثبت ان البواعث الاخلاقية اذا امتزجت بالدين فقدت كل « اخلاقيتها » . الاحسان يصير الي طمع فى الثواب والواجب يتحول الى خوف من العقاب ، وضبط النفس لا يفهم منه الا ترك بعض الملاذ فى هذا العالم للحصول على ملاذ اعظم منها فى عالم آخر . اذا غلب المتدين نفسه يقول « انى اخاف الله » ، واذا غلبته نفسه يقول « ان الله غفور رحيم » اذا أخذ حظه من اللذات او صار غير قادر عليهما قال :

اعتزل ذكر الأغانى والغزل   وقل الفصل وجانب من هزل

واذا اشتد به التحرق انشد :

فكثر ما استطعت من الخطايا .. فانك بالغ رباً غفورا

اذا تعفف المتدين فهو انما يفعل ذلك لانه « لا يريد ان يشترى لذة ساعة بعذاب

الف سنة، اما غير المتدين فاذا تعفف فلأنه يشعر مع القائل .

رب بيضاء فرعها يتثنى ☆ قد دعتنى لوصلها فأبيت

لم يكن بى تحرج غير أنى ☆ كنت خدنا لبعلها فاستحيت

قد يكون صاحب البيتين متدينا ولكن سلوكه فى هذه الظروف لم يكن ذا باعث دينى . « لم يكن به تحرج » — خوف عقاب او طمع فى ثواب . كان الباعث اخلاقيا محضا يختلف كل الاختلاف عن الباعث الدينى .

* * *

اذا كانت العناصر التى تتكون منها نفسية المتدين غير اخلاقية فماذا تكون اذا ؟

يقول Freud. ان للدين صلةمتينة بالغريزة الجنسية انظر

Introductory Lectures on Psycho-Analysis Page 372.

ويقول W. S. Swisher. انه من الممكن جدا ان الغريزة الجنسيةهى الاساس الذى أقيم عليه بناء الدين . انظر

Religion and the New Psychology Page 17.

ونحن نعتقد ان الملاحظات الآتية تؤيد تلك النظريات

(١) ان كتب الاناشيد التى تستعمل اليوم فى الكنائس المسيحية تحتوى على الشىء الكثير مما يصح ان يدعى قصائد غرامية فانك تجد فيها مطالع مثل :

يسوع يا حبيب قلبى (او نفسى)

دعنى ألقى بنفسى بين ذراعيك (او على صدرك)

ومثل :

أحبك يا يسوعى (الياء ضمير جر !)

وأعلم أنك لى

وفى الكتاب المقدس نفسه نقرأ :

نشيد الأنشاد الذى لسليمان

ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر

ومن هذا القبيل أكثر كتب التصوف فانك لاتدرى وأنت تقرأ أشعار ابن العربى وابن الفارض أهى اناشيد دينية أم قصائدغرامية !

(٢) ان العبادة من الأشياء التى تشير إلى تلك العلاقة أيضاً . المتدين « يعبدالله » و إذا أحب امرأة يقول لها « إنى أعبدك » و الخضوع و الخشوع من لوازم العبادة كما هى من لوازم الحب ، فاذا صلى المتدين يقول « وتخضع لك وتخنع » واذا أحب ينشد « لى لذة فى ذلتى وخضوعى » .

(٣) حب التضحية و الاستشهاد و التلذذ بالألم من العواطف التى لها مظهر واحد فى كل من الدين و الحب . يجد المؤمن لذة فى عذابه « فى سبيل الله » كما يجد المحب لذة فى السهر و البكاء — كلاهما سعيد لانه حسب اهلا لذلك العذاب وكلاهما يجد العزاء فى كونه انما يفعل ذلك « لأجل المحبوب » وكلاهما يطلب زيادة الألم لعله ينال الرضى — رضى الله أو رضى المحبوب .

(٤) ان المتدين إذا تحرر قليلا من قيود الخوف التقليدى وانساه العبث حدود الحلال و الحرام نراه يمزج الدين بالحب بسهولة مدهشة . وليس أبو نواس وحده هو الذى يستعمل القرآن فى المجون بل هى طريقة كل ماجن متدين . كلهم يرى تلك الصلة فلا يستطيع إنكارها . . . . . . على اننا لسنا فى حاجة للرجوع إلى التاريخ فان كل من اختلط برجال الدين وطلبة المعاهد الدينية فى أى بلاد يستطيع ان يؤكد لك ان أكثر مجون هؤلاء ذو صبغة دينية وان عبثهم كثيراً ما يكون فى الأوساط الدينية وفى محلات العبادة وان بعض الكتب الدينية تقرأ لا لشىء سوى إثارة الغريزة الجنسية

(يتبع) طاهر خميرى

حقيقة النهضة الفنية المصرية

فى النحت والتصوير

بقلم الرسام المصرى الشهير الاستاذ شعبان زكى

منذ ربع قرن بدأ المصريون لأول مرة يتلقون دروس الفن الجميل على اساتذة غربيين (فى مدرسة الفنون الجميلة القديمة) التى انشأها صاحب السمو الامير يوسف كمال .

وبعد بضع سنوات من إنشاء هذه المدرسة ذاتها بدأ تخريج الرسامين والمثالين والمعماريين ورجال الفن الزخرفى منها عاما بعد عام حتى إذا أوفت على عشر سنين وكان قد عاد إلى الغرب من أساتذتها من عاد وقضى منهم من قضى نحبه واستبدل السابقون الكرماء بلا حقين غير كرماء .... بدأ الانحلال يسرى فى هيكل الفكرة النبيلة من انشاء معهد مصرى للفن الجميل .

كان الرجل من هؤلاء الاساتذة الكرماء قطعة فنية بما ينطوى عليه من ذوق وخلق وحب وانعطاف للجمال ، وكان يحب مصر حتى من قبل أن يفد اليها ، وكان يكرم أبناءها لانهم ابناء أمة أنجبت فراعنة ذوى حضارة وصولة وعلم وفن جميل ويعطف عليهم عطف المعلم المختار لتعليم أشبال الملوك — يلقنهم الدروس وهو يتأمل مواقع الكلام فى نفوسهم ليعرف ماهية النفس الانسانية ونفسه فى السياق ، وليستمد من جو يحيط به مايكمل هذه النفس الناشئة ونفسه فى السباق أيضاً .

كذلك كان الاساتذة الأولون بالمدرسة القديمة وبفضلهم أنجبت مصر الحديثة اخصب المواهب الفنية التى تتجلى الآن ويشهد لها أهل الغرب انفسهم ممثلة فى محمد حسن وعثمان دسوقى ومختار وعلى حسن واحمد صبرى ومحمد حمدى ويوسف كامل وراغب عياد وابراهيم فوزى وأحمد لطفى وعلى الاهوانى ومن اليهم .... فلما انقطعت

أسبابهم ولم يحل محلهم ذوى فضل كفضلهم أخذ الضعف يدب فى المدرسة حتى تلاشت فى العام الماضى دون ماغرابة أو تأسف ,

على هؤلاء الخريجين الذين ذكرناهم — والى جانبهم مصريون آخرون — سيأتى ذكرهم بعد — كانوا قد كونوا انفسهم بانفسهم ، قام أول معرض مصرى للفنون الجميلة فى بدء الثورة الاستقلالية فكان قيامه عام سنة ١٩١٩ مظهراً شاهداً على جدارة مصر بالنهوض . وكذلك الفن الجميل هو دائماً عنوان النهوض والتحضر .

لم يكن ثمة شىء يعوق استمرار هذه الحركة الفنية لولا أن عيباً قد بدأ فى الرسامين المصريين وهو عيب ملازم لرجال الفن جميعاً ذلك انهم روحيون لاماديون ، فليس من بد عندهم ان يسلموا مقاليد المعرض التالى بله المعارض التالية جميعها لرجل مادى عادى يشغل أوقاته فى الحساب ليشغلوها هم فى التفنن .

وشاء الحظ العاثر ان يتطوع لخدمتهم رجل لو عرفت يومئذ اخلاقه ومعارفه ونواياه لتولوا بانفسهم الامر كله .

تولى إذن هذا الرجل مقاليد المعارض وكانت له بضاعة خاصة وجد الظرف مهيئاً لعرضها ضمناً فكانت فى الظاهر ضمنية وهى فى الواقع كل شىء عنده — وافلح الخبيث اذ عرف اناساً وعرفه ناس وسعى ليستمر الحال هكذا فقصد ذوى جاه وآخرين ذوى سلطان واستدرج هؤلاء بواسطة أولئك من طريق الحث على تشجيع الفنون وأخيراً تكونت (جمعية محبى الفنون الجميلة المصرية) بصفة جدية وشبه رسمية وعين هو فيها سكرتيراً دائماً حيث كان صاحب الفكرة التى ظاهرها حلو وباطنها مر، وساعده على هذا التوفيق ان الذين اقروه من ذوى الجاه لهم شبيهة نواياه وان الذين آمنوا عليهم من ذوى السلطان كانوا ككل ذوى سلطان موضع تشريف لاموضع اشراف .

الا ان فيها وزراء ووجهاء وسيدات أصحاب فضل وعرفان لو ان الامر كان موكلا بهم وحدهم لبلغنا فى الفن بنبلهم اعلى مكان ولاتيح لجيلنا ان يبعث بنا لاجيال الاجداد فاصحاب السمو الامراء يوسف كمال ومحمد على وعباس حليم وسميحة حسين ومعالى الوزراء الذين تقلدوا الحكم وكل ذى اثر بعدهم فى نصرة الفنون من بينهم الاساتذة هيكل والعقاد والمازنى وعزمى وسالم وخيرى سعيد ومن بينهم كذلك السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ولها منا الرسامين كل عطف واجلال .

كل هؤلاء وغيرهم قد شاركوا رجال الفن انفسهم فى نشر روح الفن — تلك المشاركة المتبادلة او هذا التجاوب النبيل — هو الذى يخيل للبعض ان فى مصر نهضة فنية يجرى فيها كل شيء بميزان .

على ان الواقع الذى يعلمه اصحاب الفضل هؤلاء ويعلمونه وحدهم تقريبا هو من الخطورة بحيث لا يجب تركه مختفيا هذا الخفاء بل ان كشفه واجب على رجال الفنون بعد اذ اغفلته (جمعية محبي الفنون الجميلة المصرية) .

ليس غريبا ان نتساءل ونحن نبحث فى حقيقة النهضة الفنية —ماذا جنت مصر من (جمعية محبي الفنون الجميلة) مثلا مدى سنوات سبع ومن الادارة الفنية مدى اعوام ثلاثة ؟ فان الذى جناه رجال الفن طول هذا المدى شيء واحد بدا هو الآخر يظهر للعيان ، ذلك هو انسحابهم (الرسامين) من وادى هؤلاء النفعيين واستقلالهم بمعرض — هو انهم قد جد عزمهم وتم تآزرهم على ان يضربوا مثلا عملية صالحة للذين هم مطالبون بهذه الاعمال بما وسعت سلطتهم والاعتمادات السخية التى تنهار عليهم كل عام

***

كنا مدة انضوائنا تحت لوائهم نعمل طوال العام وكل عام ثم تقام المعارض فى مواسمها وبمحصولنا تقام وتحيا فاذا الغرم علينا كل مرة برغم تطوعهم حماة لفننا وأحباء وحراساً .

وعرفناهم جيداً فعرفنا فيهم اناسا كل غايتهم مظهر لا جوهر ، واثرة لا ايثار ، وكل حقيقتهم طلاء وادعاء لا خبرة او بلاء . وكان طبيعيا — وهم بهذا الوضع — ان يتطوروا وان يضلوا فينبذهم رجال الفن جميعاً . وكان معرض (جماعة الخيال) اول مظهر لهذا النبذ وكان معرض (الرابطة المصرية للفنانين) هو المظهر الجدى الخطير .

أو يدرى القارىء ماذا كان موقفهم حين نبذهم رجال الفن ؟ اخذوا يقولون عنهم انهم مبتدئون وانهم غير فنيين ولم يعملوا حسابا للحرج الذى يصيبهم عندما يسألون كيف كانت حمايتهم اذن للفن ورجاله ، وما حكمة بقاء جمعيتهم بعد ان تخلى عنها الذين من اجلهم تكونت ؟! ابقى لحماية المعارض الاجنبية واقامة الاسواق

التجاريه للكتب وما شابهها وهل يظل اسمها (جمعية محبي الفنون الجميلة المصرية) وهي الى الآن لم تفكر فى انشاء متحف قومى دائم ولا مكتبه فنية جامعة ولا محاضرات ولا نقد منتظم ولا جوائز ولا اى شيء من هذه الاشياء التى تساعد على نشر روح الفن فى البلاد ؟!

لا يجب أن نتكلم كثيراً فى جمعية أعضاؤها العاملون فضوليون ، لا ولا نريد ان نسدى اليها نصحاً ، فقد أصبحت فى نظرنا بحيث لا تستحق النصح أو الارشاد ...

على أننا قد نكون قساة عليها فى رأى البعض ولهذا نود ان نقدم شاهداً يسيراً يؤيد رأينا ويوافق آراء سبق ان وجهت لجمعية محبي الفنون الجميلة تارة وللادارة الفنية أخرى فى مناسبات شتى فكانت كصيحات فى واد ليس فيه موضع لرجاء .

ذلك الشاهد الذى تقدم للقراء هو خلاصة حديث للاستاذ عزيز طلحة مع الاستاذ الكبير جارتسيا الرسام الايطالى الأشهر وقد نشر الحديث مفصلا (بالسياسة) اليومية حديثاً، واليك خلاصة الحديث: «بين ضيوف مصر المصور الايطالى الطائر الصيت ج . جارتسيا احد اعلام الفن الجميل لا فى إيطاليا وحدها بل فى العالم جميعاً من يفاخر به مواطنوه فى معرض الموازنة بين فنانى إيطاليا وسواها من الدول الحية، أتيح لى أن اجتمع به بفندق شبرد حيث ينزل . وهو الذى رسم السنيور موسولينى يوم زحف بجيش الاقمصة السوداء على رومة فقدست إيطاليا تلك الصورة وأودعتها متحف روما تخليداً للذكرى التى اليها تشير . . . قال جارتسيا فى معرض الحديث: ان العالم الآن يعنى كثيراً بالفن و الفنانين إذ أن الفنون الجميلة هى فى الحق نواة الرقى والتكوين وواسطة التدريج فى مراقى السمو والعظمة وهى الأداة التى تخلق فينا الذوق العلمى و تنبت فى أنفسنا الميل إلى التنظيم والتنسيق كما تدنينا من حل لغز الحياة »

« وللفنون الجميلة منابت للخصب مستحدثة تلك هى المتاحف القومية وأخرى طبيعية تلك هى الطبيعة وانه ليخيل إلى أن مصر مهدها و وطنها الصميم وكم كان اسفى شديداً حين كنت أرى المصريين منصرفين فى الايام الخالية عن الفنون الجميلة وكم كان اغتباطى شديداً حين حضرت إلى مصر لثانى مرة فى حياتى فالفيتها وثابة فى هذا الميدان تريد الوقوف منه فى المكان اللائق بها . فمصر حتماً بلاد الفنون الجميلة ومرتعها الطبيعى الخصب »

«لكن هناك أمراً يجب التوفر على تحقيقه قبل فوات الفرصة ذلك أنه من الواجب أن تعنى وزارة المعارف بتنظيم الفنون الجميلة فى مصر لا بمعونة رجال العلم فحسب بل بمساعدة الفنانين أيضاً . فقد رأيت لبعض المصريين هنا لوحات أعجبت بها حقاً».

«يجب أن تكون فى الوزارة وحدة قائمة بذاتها يديرها رجل مثقف ويشرف على اقسامها المختلفة رجال الفن الذين يعول على خدمتهم. من هذه الاقسام المختلفة تنظيم المعارض الفنية والرحلات والتمثيل وما إلى ذلك . أما إذا ظلت الحال سائرة على حالها اليوم فان النتيجة تكون غير متكافئة مع المجهودات الموزعة التى تبذلها مصر الآن الخ . . . الخ . . . »

ذكرنا من الخريجين الفنيين بعض الأسماء ولم نذكر أسماء إخوانهم فى الجهاد، وهم من كونوا انفسهم بانفسهم أمثال هدايت وامين العمرى بك ومحمود سعيد وناجى وشفيق شاروبيم وأحمد يوسف ولبيب تادرس وسليمان وبولس ، لا ولم نذكر بعض من تخرجوا من مدارس فنية غير الفنون الجميلة الملغاة امثال الاساتذة احمد احمد يوسف وصالح الشيتى ورجب عزت . فلهؤلاء جميعاً إلى جانب الأولين فضل الحركة والحياة وعلى أكتافهم سويا قامت النهضة الفنية الحديثة فى مصر وما تزال تقوم .

والذى نرجوه لهذه النهضة التى هى نبراس لغيرها فى الشرق العربى أن تتم لها أسباب الاستقرار وليست تتم هذه الأسباب إلا بالاستعانة الجدية بالفنانين .

وبعد إثبات ما تقدم قرأنا فى الصحف انه قد جرى تعديل فى الأدارة الفنية وان الشؤون التي تمس الفنون أصبحت جميعها موكلة بادارة استاذ جليل هو الهلالى بك الوكيل المساعد الجديد لوزارة المعارف العمومية . . . فهدأ البال واطمأن القلب وناجانا صوت من الضمير ان نترقب منذ اليوم عاقبة للصبر وثمرة للجهاد ، وأحسسنا كأن فى الجو تجاوباً يلهج برجاء ، لعل هذا الخبر الجديد فاتحة كل خير جديد » ؟

شعبان زكى

غليام الصالح

أقصوصة شرقية

هذه القصة صورة لحادث تاريخى أشار « ابن جبير » فى رحلته إلى أشخاصه دون أن يدرى شيئاً من تاريخهم الصحيح. وله كل العذر لجهله لغة البلاد الغربية التى زارها ووصفها. فأشار إلى الملك غليوم الثانى (سماه غليام) فصدق فى وصفه بحسن السيرة والعدل وعهده بالرخاء والرفه وبالغ حين قال أن علامة أبيه « الحمد لله شكراً لأنعمه » لأن غليوم الأول الملقب بالفاسد كان طاغية فاسقاً جلب على نفسه حرمان البابا ادريان الرابع الذى ألب عليه نبلاء « لابوى » وحرض فردريك الثانى باربروس أمبراطور ألمانيا على الاغارة على جنوب إيطاليا.

وروى أبو الحسن بن جبير فى رحلته قصة الأمير ألكسيس وعناية غليوم الثانى به ومساعدته بأسطول ضخم على ألكسيس مغتصب عرش بيزنطيه. وهي قصة صحيحة غير أن الرحالة العربى لم يدر اسم الأمير الذي « رمت به الأقدار إلى جزيرة مسينة » فوردها على حالة ابتذال خادماً لأحد الرهبان مسدلا على شارته الملكية ستراً من الامتهان ففشى الأمر وذاع السر فاستحضره الملك الصقلى غليام » الخ.

وهو الامير ألكسيس ابن « مانويل » أمبراطور بيزنطيه. وأما المغتصب فاسمه « الكسيس أيضاً

وأشار ابن جبير أيضاً إلى الأميرة « إيروديا » أخت الكسيس فقال « وكانت له « أخت موصوفة بالجمال الخ »

وأما حكاية العملاق وإقامته فى مسينة فمفروضة ترمز إلى سكنى المسلمين صقلية « وبقائهم فيها بعد تغلب الصقليين عليهم بزعامة « روجيه » الثانى

***

فى تلك الليلة الرهيبة من شهر ديسمبر سنة ١١٨٣ عقدت السحب فى سماء « مسينه » طبقات ثقيلة قاتمة. وغطت الثلوج الأشجار والبيوت والطرقات وهبت الريح عاصفة

من المغرب .وكان البحر يرمى بامواج كالجبال (تلتطم بالمراكب الكبيرة المصطفة فى المرسى) وتمتد إلى أكواخ الصيادين المتراصة فى جنوب المدينة

ثم لم تلبث السحب ان جاءت برعد قاصف وبرق وسمع الأهالى صوت البركان ترمى بالحمم وكان لسان النار يندلع منه فينير ماحوله من الجبال والوهاد والأكواخ

فى ذلك الوقت كان يجتاز الطريق فى الظلمة الحالكة وتحت الوابل المنسكب من الثلج عملاق يضم هيكله العظيم بمعطف سميك من الفرو. على رأسه عمامة عربية وقد وضع يده اليمنى على خنجر كبير فى حزامه يتبعه عن كثب زنجي فى زى مغربى لم ينجه حيرامه الصوف من الار تعاش لشدة الزمهرير. وكانت الريح تضرب وجهيهما بقطع كبيرة من الثلج. الا أن العملاق كان يمشى بخطوات ثقيلة ثابتة محدقا فى الطريق بعينى نسر يتبع الزنجي خطواته فى صمت وهو يرتعد من البرد

و اشتد هبوب الريح حتى كادت تحمل الغريبين وترمى بهما إلى الجبال : ريح عاصفة كانت تكسر الأشجار وتدوى وسط البيوت : وقد تجمد الثلج فى الطرقات وعلى الاشجار والجدر ان واز داد قصف الرعد و انذرت حالة الجو بقرب الزلزال وثوران البركان

وكان العملاق يجتاز الطريق بلامبالاة . وقد تلبد الثلج على لحيته السوداء المرسلة و معطفه الطويل : وبقيت عيناه الواسعتان تبرقان فى الظلمة الدامسة ببريق حاد مخيف ودمعت عينا الزنجي من شدة البرد و ابتدأت ساقاه تتخلخلان فى المشى وقد تجمد الدم فيهما

وأخيراً بعد مسير ساعة فى منعطفات مظلمة متشعبة ومنحدرات من الأرض مليئة بالثلوج قد اماس بعضها حتى لاتكاد تثبت عليه قدم السائر وصل العملاق إلى دار عتيقة الوضع ذات عقود متصلة على الطراز الجوتنشيقي و باب وثيق من الحديد فتقدم الزنجي و قرع الباب وو تف العملاق ينفض بعض ماتلبد على معطفه من الثلج : وكان لسان النار المتصاعد من فوهة البركان يمزق حجب الظلام و يغمر المدينة بضوء جهنمي

ولما فتح الباب تردد صريفه فى جوف الليل ولاح وجه زنجي شيخ يحمل بيده مشعلا : فدخل العملاق و من خلفه الزنجى الذى كان يتبعه وأغلق الباب بصرير موحش

ولم يكد العملاق يتخطى الباب حتى اندفع نحوه كلب كبير وتعلق باهداب معطفه . فلم يبال به . وتقدم فى دهليز واسع تتوسطه بركة من رخام ذات نافورة , ومن حولها قامت الأعمدة تحمل المقنطرات المعقودة المزخرفة بالنقوش العربية . وكانت تقل علالى مشرفة ومسيجة بسياج مدهون من الخشب المنجور . انتظمت من خلفه أبواب الغرفات وتخللت ذلك السياج أعمدة أخرى تحمل سقفا مدهونا بألوان زاهية توسطها اللون السماوي فأشبه قطعة من السحاب مخيمة فى أفق الدهليز . وتهدلت على السياج أغصان دوحة باسقة قامت عن يمين الداخل إلى الدار التي كسيت حيطانها بالقيشانى و رصفت أرضها بالرخام

وصعد العملاق سلماً ضيقا يتقدمه الزنجي الشيخ حامل المشعل . و بقى العملاق صامتا مطرقا وقد رفع يده عن خنجره . واختفى الزنجى الذى كان يتبعه

ولما بلغا آخر السلم وقف الخادم الشيخ وأشعل مصباحاً صغيراً كان على الدرج ثم نزل وخلف العملاق وحده

وما كاد الزنجى يختفى باختفاء نور المشعل حتى تقدم العملاق إلى الحائط وضغط بيده فانفتح باب خشبي مسحور من خلفه باب آخر من الحديد ، فتناول العملاق المصباح بيده اليسرى و باليمنى فتح الباب الحديد وأغلق الباب المسحو . واختفى وعادت الظلمة الحالكة إلى السلم

***

وكما يشرف العابد فى منامه على الجنة ويتنسم نسيمها ، استقبل العملاق عند دخوله خدراً يفيض نوراً واريجا وزينة كأنه من عمل الجن ، اضطجعت فيه على أريكة من الحرير الاخضر غانية أحاط شعرها الفاحم الاثيث المملوء حرارة ونعومة بوجهها المستدير احاطة الهالة بالقمر

يشوب صفحة وجهها اصفرار لطيف يزيد فى قوة السحر الذى كان يفيض من عينيها النجلاوين . جليلة القوام فى دقة عجيبة وتناسب باهر كأنها دمية من صنع حفار اغريقى تألهت عبقريته

وحين دخل العملاق كانت قد أسلمت للنوم جفنيها فلما خلع معطفه السميك

وألقى به على الأريكة بخشونة انتبهت فى شىء من الذعر ، فابتسم العملاق . وجعلت تنظر اليه فى سذاجة الطفل الغرير . سذاجة لا تتفق بأى وجه مع ما يستجلبه الناظر اليها من معانى حسنها وأمارات النبل التى كانت تبدو فى صورتها

وجلس العملاق إلى الجانب الآخر من الاريكة بعد أن تناول قدحا كبيراً من شراب جرعة واحدة ، وابتدر الحسناء بعبارة مشفوعة باشارة من يده تومىء إلى أنها على وشك الانتقال معه إلى مكان بعيد ، فلم تفه بكلمة ولم تبد أية حركة تدل على الرضا أو الامتناع ، وبقيت محتفظة بنظرها الساذج اليه

وبقى العملاق الذى أشرقت صفحة وجهه المهيب يتأمل صورة حسنائه راضيا كما يتأمل المصور الاستاذ أبدع صورة من فنه ، وتمادى به شعور الرضا فجعل يحدث نفسه بصوت مسموع : نعم إلى قرطبه أو إلى بغداد ، ولعلنا نوفق فى مصر إلى من يدفع ثمن هذه الجوهرة . ، فى مصر ؟ ، ، تباً لصلاح الدين لقد جعل حياة أهلها جهاداً مستمراً

ثم طلب العملاق إلى الحسناء بالكلام و بالاشارة أن تناوله جام الشراب ، ولما نهضت لكى تملأ القدح جعل يراقب مشيتها وقوامها وحركاتها مراقبة دقيقة ، كأنها جارية فى سوق الرقيق ، وفى الحقيقة أنها لو كانت جارية فلا يكون العملاق إلا نخاسا

* * *

ولما أقبلت نحوه رفع قدحه لكى تصب الشراب فيه بيدها البضة التى كانت تحمل الجام ، وكان يراقب بعين الرضا انبساط ساعدها الوردى البشرة حين تملأ القدح ، وما فى موقفها من جمال وسمو وما يبعثه النظر اليها من الاستمتاع واللذة وبالاختصار كان يراقبها بنظر نخاس أو أمير شرقى وهبه حب التسرى فطرة النخاس فى النظر إلى المرأة . ولو أنه كان أميراً لما كانت الا جاريته ولو أنها كانت جاريته لما احتاج إلى أن يضعها فى مثل ما يضع القرصان أغلى اسلابهم

غير أن الحسناء حين بسطت يدها بالجام لكى تصب منه فى القدح انتفضت فجأة وسقط الجام من يدها والتجأت إلى ركن الخدر فزعة فعل الطفل الغرير ، ووقف العملاق ووضع يده على خنجره شاخصاً إلى الباب المسحور الذى سمع لأول مرة طارقا

يقرعه بقبضة حديدية ثقيلة . ولم يكن يدرى أحد مكان الباب من الحائط ولا مكان الخدر من الباب . كان خدر الحسناء أشبه بمكمن زعيم عصابة أو قدس أقداس لا يقربه أحد غير العملاق

وتوالى قرع الباب بشدة . وكان العملاق قد اندفع كالبرق وأوصد الباب الحديدى ووقف من خلفه يسترق السمع قابضا بيده على خنجره .

وسرعان ما أحس بأن الطارق اقتحم الباب الخشبى . ووصل الى سمعه وقع أقدام كثيرة مندفعة نحو الباب الحديدى . وصوت آمر باقتحامه .

وما كاد الصوت يبلغ أذن العملاق حتى زأر كالحيوان المفترس وتحفز للوثوب لمن يريد قتل عدو . وكأنما سر هائل يتعلق بصاحب الصوت ويهدد حياته بالخطر وقد سقط فى يده حين ابتدأ الباب الحديدى يتزعزع أمام نظره دون أن يستطيع دفع الخطر الداهم الذى يتهدده .

ولم يكن ثمة بد من التسليم .

شعر العملاق بأنه أصبح أسيراً فى بيته وانه يوشك أن يسلب أغلى ما يملك وهى حسناؤه وان جلده معرض لطعنات بعدد ما يحمل الذين يهاجمونه من سيوف وخناجر ولكن لم يفقد العملاق قوته المعنوية برغم فجائية الحادث واستبعاد وقوعه فى ليلة عاصفة ينهمر فيها الثلج ويقصف الرعد ويخشى من زلزال الارض .

وقف ثابتاً كجزع الدوحه الضخم قابضاً على خنجره متحفزاً للوثوب .

***

وحين سقط الباب الحديدى كان العملاق قد اشتبك فى عراك دموى عنيف مع أربعة رجال مسلحين بالسيوف وفى غضون ذلك كانت تدوى فى أركان الدار صيحات رعب أليمة صادرة من قلب الحسناء ثم أغمى عليها وتبعثر أثاث الخدر وانقلبت الأريكة ولم يلبث العملاق اذ هوى على الارض مثخنا بالجراح فوضعت الاغلال فى يديه ورجليه

ودخل الخدر المستباح على الاثر فارس انيق البزة رطيب غصن الصبا صقيل رونق النبل كانه من بيت الملك فانحنى له الرجال المسلحون ،

واتجه الفارس الى الحسناء وحملها الى الاريكة ولم تكن قداستفاقت من غشيبها بينما كان الرجال المسلحون يحملون العملاق المغلول وهو يهدر كالثور الى خارج الخدر

وما زال الفارس بالحسناء ينبهها فى حنو ظاهر كأنما تصله بها صلة غرامية أو أو قرابة فقد كانت الدموع تسيل من عينيه وهوما يفوق حد العطف المألوف الذى تفيض به القلوب الرحيمة نحو المظلومين

وعلى الأخص اذا صدر هذا العطف من فارس ألف التجلد امام الحوادث

وتبين وجود هذه الصلة عندما فتحت الحسناء عينيها فما كاد نظرها يقع على الفارس حتي أصعدت آهة فرح وارتمت على صدره معانقة فى شوق الطفل الى أبيه بعد غياب طويل ودمعت عيناها من جديد لشدة سرورها باللقيا وجعلت تهذى باسم : ألكسيس ألكسيس

وبقيت تردد هذا الاسم ملتصقة بصدر الفارس كأنها تريد انينتقل من قلبها الى صدره كل ما جرى لها منذ عهد الفراق واذا كان حقا ان بين القلب والقلب رسولا فلا شك فى ان الفارس قد أحس بكل ما كابدته الحسناء عند ماسالت الدموع غزيرة من عينيه وحين استسلم لتأثير الشكاية المرة التى بثها اليه ذلك الرسول الخفى فجعل يردد فى بكائه السم: أيروديا. أيروديا

* * *

واهتزت أركان الدار بصرخات داوية كأنها صادرة من شخص يجلد أو يعذب بآلات بليغة الأذى .

ولو كانت الدار موطن تعذيب لما كان جلادها إلا العملاق ولكنه أصبح أسيراً مغلولا ، أسير أولئك الرجال المسلحين الذين اقتحموا داره عنوة فى ليلة عقد النية فيها على الارتحال وأوشك ان يبلغ الغاية من أمله العظيم الذى علقه على الحسناء فى الوقت الذى جعل فيه من الخدر الكمين سوقاً للرقيق بضاعتها أيروديا البريئة وزين له أن يستمتع فى فترة ما كان أقصر عمرها واشأم عقباها باشباع نظره وحواسه من رؤيتها.

هذا الجبار الذى كان منذ برهة سيداً مرهوب الجناب أمسى يجلد ويعذب فى

عقر داره . واختلطت صيحاته بقصيف الرعد بينما كان الفارس يحاول أن يستوضح من « ايروديا » ما كابدته فى جوف تلك الدار العتيقة الموحشة . وما كان أشد دهشته حين لاحظ عجزها عن البيان وكأنها لم تكن من قبل فى تلك الحال من البله وأن ثم حادثاً جنائياً مروعاً أناء بتأثيره المقوض على أثمن ملكاتها : النطق والادراك . وكأن الطبيعة التى تنافس كل جليل يباريها بمزاياه استطاعت فى آخر الأمر ألا تجعل الكمال من صفات ذلك الحسن . وفى الحق أن « ايروديا » كانت فتنة تشغل العابد عن صلاته .

واقترنت دهشة الفارس بالألم العميق لما استحال عليه أن يدرك شيئاً من لهجة « ايروديا » المنحرفة واشاراتها الطفولية . فنهض وقد ثار دمه وتناول يدها واتجها إلى دهليز الدار حيث كان العملاق تحت آلة التعذيب .

ولم يكن من الممكن تصور الحال التى آل اليها مصير ذلك الجبار فقد جرده الرجال المسلحون من صداره . وأوقدوا النار ووضعوا فيها سفافيد غليظة من الحديد وجعلوا يكوونه . وجلس على مقعد من أمامه فارس مهيب الطلعة فاخر اللباس قد تدثر بدثار سميك مفتوح الجانبين مخرم الذيل ومطرز بالذهب صلباناً على سروال يلتصق بجلده وقبعة مطوية من الخلف مرفرفة من الأمام . وصدار أسود طويل الكم يشد وسطه بحمائل سيفه من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة . وكان يحيط به عدد ليس بالقليل من الفرسان على طرازه فى اللباس . وكانوا جميعاً مكشوفى الرءوس وقوفاً إلا هو فقد كان جالساً فى عظمة ملكية يستنطق العملاق المغلول .

ووقف عن كثب من أداة التعذيب راهب شاحب اللون كان يومىء إلى العملاق بسبابته من آونة لأخرى ينذره بأشد القصاص إن لم يعترف بالحق

***

ولاحظ زعيم الجماعة الجالس أن العذاب قد برح بالعملاق المغلول فخاطبه بلهجة عربية فصيحة : قل الحق ياخواجه ابراهيم فانى أعدك بالعفو إذا اعترفت بسر اختفاء الأمير « اندرونيك » زوج الأميرة « ايروديا » . هل قتلته حقاً فى جبال « قونية » ؟

فجعل العملاق يهدر ويعج وقد تجمع الزبد على شدقيه

فتقدم الراهب وانحنى أمام الجالس على المقعد وقال : يا صاحب الجلالة انى واثق بأن هذا القرصان قتل الأمير اندرونيك فى جبال قونية .

فالتبط الخواجه ابراهيم عند سماع تأكيد الراهب بانه القاتل

وإذ ذاك أشرف ألكسيس مع ايروديا على الفرسان المجتمعين حول صاحب الجلالة فانحنى له الجميع

واتجهت الأنظار إلى الأميرة « ايروديا » التى أخفت وجهها بيدها كأنها استحيت من رؤية الرجال

ونهض صاحب الجلالة من مجلسه وتقدم اليها وقد بهره حسنها فقبل يدها فخاطبها الكسيس مشيراً اليه . صاحب الجلالة غليوم الثانى صاحب الصقليتين

فانحنى جميع من فى الدهليز من الفرسان والجنود عند سماع هذه العبارة ولم تزد « ايروديا » على أن طأطأت رأسها فى سمو ونبل أفتر ثغرها القرمزى عن ابتسامة تنم عن الرضا حين التفتت فأبصرت الخواجه ابراهيم يعذب بالسفافيد تحمى فى النار ثم يكوى بها جلده ولم تمالك عن النظر اليه بأشد الازدراء

وأقبل نحوها الراهب تبدو عليه دلائل الفرح ولثمها فى جبهتها وباركها ثم طأطأ رأسه وقال لها بتأثر ظاهر : ألا تذكرينى يا مولاتى ؟

فاجابه « ألكسيس » بلهجة تنم عن الحزن العميق — وا أسفاه يا أبى . لقد اصبحت « ايروديا » عاجزة عن البيان .

فازداد سخط الراهب على العملاق . وبدا الاسف على الملك غليوم الثانى ورجاله وتأيد لديهم اجرام الخواجه ابراهيم الذى كانت السفافيد المحماة قد نالت من جلده ابلغ النيل والذى كان يبرطم ويهذر . وقد شعر بأن الملك غليوم لاشك مصدر أمراً باعدامه ميدان مسينه العام .

وتقدم الكسيس نحو الخواجه ابراهيم وركله بحذائه وخاطبه — لأنت قاتل ابن عمي اندرونيك ايها القرصان النذل سوف تلقى جزاء ماارتكبت يداك الآثمتان .

اذ ذاك فقط تمتم العملاق المكتوف بقوله : عفوك ايها الامير .

فالتفت اليه الملك غليوم وقال : الآن بدأت تطلب العفو .

فصاح الراهب مبتسما ابتسامة صفراء : لقد ثبتت جريمتك ايها القرصان . ولابد من مثولك أمام مجلس الخمسة .

وكان غليوم الثانى الملقب بالصالح ملكا حكيما شمل بعدله اهل الصقليتين . إلا انه

كان عظيم الدهاء . وهو خلق ورثه عن ابيه غليوم الاول الملقب بالفاسد. وكان طاغية فاسقاً عظيم الشره . استثار من حوله عداوات الملوك والامراء وعلى الاخص « فردريك الاول باربروس » امبراطور المانيا وجلب على نفسه حرمان البابا ادريان الرابع . وكانت مدة حكمه تتخللها الحروب والثورات والفتن . غير انه بدهائه خرج منها فائزاً مظفراً .

ومعنى الدهاء فى صيغة ذلك العصر المظلم أن الغاية تبرر الواسطة: الغاية التى حملت غليوم الثانى ملك الصقليين على الانتقال من قصره فى ليلة عاصفة تحت وابل الثلج المنهمر لكى يقتحم دار احد الفرسان بجنوده. ويهتدى إلى باب الخدر الذي لا يعلمه أحد غير صاحب الدار. ويبدى عظيم الاهتمام للوقوف على مصير الامير « اندرونيك » زوج الاميرة « ايروديا »

وكان غليوم الثانى قد جاوز الثلاثين ولم يخلف ولداً يرث عرشه: وكانت قصوره فى مسينه والمدينة تحوى جملة كبيرة من الجوارى الموصوفات بالجمال ولكنه لم يسعد بخلف . وكان فى حالات قنوطه من الحصول على ولى عهد يفكر فى أن يوصى بعرشه الى الامبراطور هنري الرابع زوج « كونستانس » ابنة « روجيه الثانى » (صاحب الادريسى) . وهو بعد أن اعان البابا اسكندر الثالث بجيوشه ضد الامبراطور فردريك باربروس لكى يمحو من جهة غلطة ابيه مع سلفه البابا ادريان الرابع الذى كان قد حرمه وألب عليه نبلاء « لابوى » ومن جهة أخرى يرفع عن كاهل بلاده الجزية السنوية التى كانت تؤديها الى ذلك الامبراطور الالمانى : وامد بجيوشه مدينة « صور » التى كان يحاصرها صلاح الدين . واستعد لارسال اسطول مؤلف من ثلاثمائة مركب الى القسطنطينية لمحاربة مغتصب عرش الامبراطورية البيزنطية — انغمس فى نعيم الملك وملاذه ومظاهر زينته وابهته واتخذ المنجمين والاطباء وملأ قصوره المشيدة بالحاشية والفتيان والجوارى وتشبه بملوك المسلمين فى الترف وتنظيم قوانين الملك ووضع أساليبه وتقسيم مراتب رجاله وفى الملابس الفاخرة والمراكب الفارهة . وجرى على سنة جده « روجيه » الثانى فى اصطناع المسلمين من اهل دولته وزراء وحجابا .

ولكن بقى غليوم الصالح بلاو لى عهد يرث عرشه .

***

فاذا كان ملك الصقليتين قد رضى بان يترك قصره فى ليلة ذات رعد و برقوثلج منهمرلكى يقتحم برجاله دار الخواجهابراهيم و يقفموقف المستنطقلمعرفة مصيرامير بيزنطى لاتصله به ايه صلة فلا شك فى ان هناك باعثا خفياً حمله على كل هذا التنازل . وأى باعث اقوى من الحب ينزل المليك العظيم الشأن منزل الرجل العادى . اذن فالملك غليوم الثانى يهوى الاميرة « ابروديا » . وهو من اجل ذلك يريد ان يعلم مصير زوجها . ومن اجل ذلك رأى أن يستعمل دهاءه الموروث .

فاقترب من القرصان المطروح على الارض وقال : أتدرى ياخواجه ابراهيم ان جريمتك مزدوجة . أولا انك تشتغل بالنخاسة وهى محرمة فى بلادناعلى امثالك ممن يهددون سلامة الاهالى . قال الراهب : و يربى فى هذه الدار ايضا صنفا من الزنوج المتوحشين الذين يأكلون الاطفال !

واستطردالملك كلامه: .. ثانيا ان الادلة تثبت اغتيالك لحياة الامير اندرونيك فى جبال « قونية » . غير انى اعفو عنك واطلق سراحك اذا اعترفت بجريمتك .

فاجاب الخواجه ابراهيم بصوت ضعيف : نعم . اعترف . ولكنى وحقكم لم اكن اعلم انه الامير اندرونيك . فقد كان يرتدى بلباس فارسى عند ما صادفته فى قافلة تجتاز جبال « قونية » . وكانت « ابروديا » ترافقه على جواد . ففاجأنا بين الجبال اسد عظيم الجثة . وقداصيبت ابروديا عندرؤيته بالذهول ولما أوشك الاسدأن يفترس الامير « اندرونيك » حملت عليه بسيفى فقتلته . ولكن بعد أن انشب مخالبه فى امعاء « الامير » فطلب الي ان اجهز عليه لكى اريحه من آلامه . .

فضحك الملك غليوم ضحكة مصطنعة وقال للقرصان : هذه لعمرى قصة من اختراعك اعجب فيها ببراعتك .

فجعل العملاق يبرطم و يئن مردداً كلمة العفو .

وقد ثبت لدى الملك ورجاله انه قتل الامير اندرونيك وسلبه زوجه التى حملها الى

مسينه لكي يرحل بها الى المشرق . وهناك يعرضها للبيع فى سوق الرقيق .

* * *

ولما كان الملك غليوم الثانى اعتاد ألا يصدر أمرا ولا يبت فى مسألة دون ان يستفتى عرافه الراهب . أخذ يدموانفرد به . فاشار عليه ان يسلم القرصان الى الجلادين . وان يستبقى « ايروديا » فى القصر الابيض الى ان يتم الفوز لشقيقها الامير الكسيس . وكان غليوم الثانى قد اعد له ذلك الاسطول الضخم المؤلف من ثلاثمائة مركب لكى يسافر به الى القسطنطينية فيسترد عرش ابيه « ما نويل » .

وفى تلك الليلة الرهيبة من شهر ديسمبر سنة ١١٨٣ نقلت الاميرة « ايروديا » من خدرها الكمين الى قصر ابيض كالحمامة مطل على ساحل البحر . وألقي بالخواجه ابراهيم فى غيابة سجن «مسينة» . وعاد الملك غليوم الثانى الى مجلس انسه بين جواريه المسلمات يطلب إليهن ان يذكرن ربهن لعله يقى البلاد شر الزلزال . ويفكر فى جيوشه التى تحارب مع البابا اسكندر الثالث ضد فردريك باربروس امبراطور المانيا والتى تعين مدينة «صور» على حصار « صلاح الدين » . ويحلم بالايام السعيدة المقبلة التى يستمتع فيها بجمال وربما بحب الاميرة « ايروديا » التى كانت تطفو فى سماء حلمه بشأنها امنية غالية ولكنها بعيده وهى ان يسعد بولى عهد منها يرث عرش الصقليتين .

بينما كان الامير الكسيس قد عاد الى حجرته المنفردة من القصر الملكى وجلس يحادث امير البحر الذى سيقود الاسطول الى القسطنطينية لمحاربة ألكسيس الدعى مغتصب عرش بيزنطية ورد ذلك العرش إليه بصفته الابن الشرعى للامبراطور « مانويل » .

ولم يكن أقل املا من امير البحر فى الفوز على المغتصب .

وقد ازداد تفاؤلا باجتماع شمله باخته الاميرة « ايروديا » من بعد التشتت والفراق الطويل .

واستغرق الامير « الكسيس » فى بحر عميق من الاحلام والذكريات على اثر انصراف امير البحر .

جعل يحلم فى البدء بالاحتفالات الباهرة التى سيلقاها فى القسطنطينية موطنه بعد التغلب على المغتصب ، وحفلة تتويجه الجليلة فى كنيسة « أياصوفيا » . وذهب به الخيال

الملئ بالبشرى الى حد ان تصور كأنه قد ركع امام البطريرك لكى يضع على رأسه تاج الامبراطورية الشرقية .

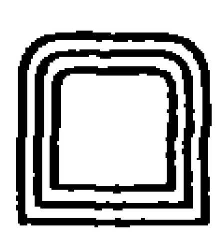
غير انه حين رفع يده الى تلك الرأس الجميلة المكللة بخصل شقراء من الشعر الناعم أحس بانها مكشوفة ونبهه الواقع الى إنه لا يزال ضيف ملك صقلية الذى اكرم مثواه ورفع مقامه،اذ ذاك تذكر فراره من معقله الحصين فى القسطنطينية والتجائه متنكراً الى « مسينه » حيث آواه الراهب « سيكست» وكيف اسدل على شارته الملوكية ستراً من الامتهان نخدم الراهب فى الدير حينا ثم دخل القصر الملكى فى جملة الخاصة لما صار الراهب « سيكست » عرفا لغليوم الثانى . وكيف دلت عليه مخايله الملوكية فاعتنى به الملك وازكى عيون الحراس عليه خوفا من اغتيال يلحقه بدسيسة من ابن عمه الذى اغتصب عرشه .

وتذكر الأمير ألكسيس فى مرارة مطاردة اعوان المغتصب له و وقوعه اكثر من مرة ونجاته من الشراك التى كانوا ينصبونها لاغتياله . وكيف وفقته المقادير فى النهاية الى التلاقى باخته فى « مسينه » نفسها بعد أن اهتدى الى مكانها باعجوبة :

وأخيراً كيف استعان بالراهب « سيكست » الذى كان مربيا له من قبل التجائه الى « مسينه » هرباً من طغيان المغتصب على اقناع غليوم الثانى بأن يساعده على استرداد عرشه

وهنا عاد الأمير الكسيس إلى احلامه الحلوة بالفوز على ابن عمه ودخول القسطنطينية مظفراً وعقد الكرى اجفانه بينما كانت ثورة الطبيعة خارج القصر تزداد شدة ولما ينقطع انهمار الثلج : وبقي جسمه اللين ممدداً على كرسيه فى قصر ملك صقلية فى حين كان الحلم قد اسرى بروحه الى سماء القسطنطينية وحلق بها فوق ابراجها وقصورها واشجارها .

عبد الحميد سالم



كتاب مفتوح

إلى محرر مجلة العصور الغراء وصاحب امتيازها

قد نشرتم فى مجلتكم (مجلةالعصور) عدد ١٩ مجلد ٤ مارس سنة ١٩٢٩ مقالة « الكتب المقدسة فى الميزان » بقلم شارلس سمث رئيس جمعية نشر الالحاد الاميركية وأهم ماتحتويه هو مأخوذ من بعض كتب جدلية بين المسلمين والمسيحيين وليس من غرضى الآن الاحتكاك بجدال أو نضال دينى

مجلتكم « إنتقادية فى الأدب والعلم والسياسة » وليست دينية أما كان يلزم اولا ان تكون المجلة هى المنتقدة لاناقلة وناشرة انتقاد ملحدين ينكرون الله ووحى الكتب المنزلة منه

ثانيا أن يكون انتقادهالتأ ليفات أو كتابات من أدبية وعلميه وسياسيه تعرض عنيها . وليس لكتب دينيه مثبته لدى ذويها من مئات القرون بالاجماع

قد نشرتم تلكالمقالة السمجه ولم تعلقوا عليها ولو بكلمتين لا بالموافقه على ماتحويه ولا بالمناقضه وعدم التصديق عليه . مع أنه كان من اللازم ان تفعلوا

ومن يطالعها ولا يجد تعليقاً عليها منكم ولا بكلمه تعارض فحواها يظن حالا انكم على رأى كاتبها ومن دعاة الحاده فهل انتم على مبدإ هذا الملحد ومن دعاة الالحاد أيضاً حتى نشرتموها لمترجمها الملحد بدون تعليق أو انكم بنشرها حسب القول « ناقل الكفر ليس بكافر »فتلطفوا بالافادة على صفحات مجلتكم الغراء بكل صراحه .اليس الامر كما يقال « ماذمك وسبك من تكلم عليك بغيابك بل من أوصل كلام الذم والمسبات اليك وجرح احساساتك »

انهلامر معلوم ومحقق عندالیهودوالنصارى والمسلمين ان الله هو الآله الحق الوحيد ولا آلهسواه . وان الكتب المقدسه عندهم هى التوراةوالانجيل والقرآن . الكتب التى يعتقد جميعهم انها منزلة منه تعالى . والانجيل يشهد للتوراة ويؤيدها . والقرآن يشهد للتوراة والانجيل بانهما انزلا من الله نور وهدى للعالمين

وما دام هذاالملحد الذىيضع الكتبالمقدسه فى الميزان لايسلم بدين ماولايؤمن

بالله فلا يسلم بصحة كتاب آخر منزل، لانه ينكر الله الذى انزله وكذلك فالملحد الذى ينكر الله ويعترض على صدق الكتب المقدسة فهو يعترض على القرآن أيضاً . ومن طعن فى التوراة والانجيل فقد طعن بالقرآن ضمناً ويحكم عليه كما يحكم عليها إذ لاتثبت صحته مع ثبوت الالحاد والكفر بالله الذى انزله كما انزل التوراة والانجيل أيضاً . فلينتبه ذوو هذه الكتب الثلاثة المقدسة والمنزلة ليناضلوا عنها وعن الايمان بالله تعالى.

وان كان صاحب المقالة او غيره يسلم بانزالية القران من الله ويقول بان التوراة والانجيل فيها مناقضات وتحريف فهذا موضوع آخر لاندخل به الان لانه ليس من موضوع البحث . وان كان ملحدا فى كل الكتب المنزلة فنحن والمسلمون عليه . ولو انه مؤمن بالله ويعترض على الكتب المقدسة لرددنا عليه وفندنا اعتراضاته

ولكن الملحد هو عدو كل الاديان وضدها وان رفض الكتب المقدسة لا يقبل غيرها ولا عجب لأن الاعمى لايرى النور وكذا بالاحرى اعمى البصيرة ,, وتنكر العين ضوء الشمس من رمد ،،

هذا وارجو من فضلكم ان تكرموا بالافادة عما يأتى

سؤالات

(١) هل يكون حكم صحيح شرعاً بناء على ادعاء احد الخصمين ولا سيما اذا كان أحد الخصمين ولاسيما اذا كان هذا المدعى ملحداً ؟

(٢) هل تكون ثقة فى قلوب الناس بكلام ملحد لادينى وبشهادته . وهل يركن اليه وبه فى المعاملة والاقوال ؟

(٣) اى انفع للناس الدين ام الالحاد . واى ضرر من الدين للمجتمع البشرى مهما كان واى نفع لهم من الالحاد والكفر ؟

(٤) اذا اهمل الدين وطرح جانباً فماذا يقوم مقامه فى الهيئات الاجتماعية ؟

(٥) اذا صار كل الناس ملحدين او طبيعيين فعلى اية شرائع او نظامات تحفظ حقوق الافراد ويسود الامن والسلام فى العالم الانسانى

(٦) اذا رفضت الكتب المقدسة فماذا يردع عنه عمل الشر والرذيلة وهل يبقى فرق وتمييز بين الشر والخير والحرام والحلال والرذيلة والفضيلة . الا تصير حالة الهيئة الأجتماعية فوضى حسب الطبيعة البشرية ويسود ناموس تنازع البقاء والقوى ويأكل الضعيف كالوحش بلا رادع اذ لاناموس ولادين ؟

القس
اسكندر حداد

بيت جالا ر فلسطين

العصور — موعدنا بالرد العدد القادم

يوم من حياتى

ومقطوعات أخرى

للاستاذ المجدد عبد اللطيف النشار

يوم من حياتى

٧ مارس سنة ١٩٢٩

كان يوم الخميس يوما من الصيـــف وان جاء فى غضون الشتاء
مثلما يظهر النبي أو الشا عر ما بين معشر جهلاء
يكثر الجاحدوه عداً وينمو حبه بين قلة فضلاء
ما نصير النبى فى زمن المحـ نة كالتابعيه عهد الرخاء

***

وانتهزنا يوم الخميس فأكرمنا به الصيف صاحب الآلاء
المفيض السرور فى كل نفس من معينيه : دفئه والضياء
البشوش الذى تبسم عن زهـر وحيا بنفحة فيحاء
وافتقدناك (١) يوم ذاك فألفينا قريباً بالروح والجسم ناء
وذهبنا ثلاثة بجسوم ومثات بالروح والآراء
عن يمينى وعن يسارى من تبصر عينى ولا ترى عين راء
ملء عينى وملء سمعى طيوف ملء نفسى من رفقتى القدماء
وقضينا على « البلاج » سويعا ت جمعن الأجيال فى آناء
عمر جيل بأسره يتقضى بين لفظين من فم الشعراء
أى عين تلك التى تلمح اللب وتأبى ما حوله من لحاء (٢)

---

(١) الخطاب للصديق الشاعر الدكتور زكى أبى شادى

(٢) قشرة

ما التواريخ ما الحوادث إلا قشرة فوق قشرة لفاء
والصميم الصميم ما رسم الشا عر فى لفظه البديع الرواء
روعة الحق قد تكشف عنها لفظه لا تجمل بطلاء
والبليغ البليغ من لمس الحق وأهون بزخرف فى الأداء
كم هباء مدثر بهباء فى فصيح من منطق الفصحاء
يا صديقى أنشدانى من الشعر جديداً أو فاسمعا قدماء
ثم أمطرت من قصائد شكرى (١) مثل فيض الغمامة الوطفاء
يا سحاباً يمده البحر لن ينـ فدما قد حويته من ماء
لم أصفه بالماء إلا لأنى لم أجد مثله لرى ظمائى
ثم أنشدت من قصائد عبا س (٢) كعقد الكواكب الزهراء
البعيد البعيد معنى ومرمى يتجلى فى لفظه الوضاء
يا صديقى أنشدانى جديداً ليس كالشعر جالب لصفائي
وتنبهت من نشيدى على صو ت خرير المياه فى الندماء

***

وقطعنا الحديث ننظر للبحر غريقاً فى لجة من ضياء
ان بحر الشعاع يا شمس أقوى من بحار مرهوبة من ماء
وبحار الظلماء أهول منها تغرق الكون لجة الظلماء
بيد أن الانسان قد ركب البحر ذلولا وطار فوق الفضاء
لم يعبه فرداً سوى قصر العمر ولكنه عظيم الرجاء !
لو تخلى عنه الرجاء لما غا لب ما فى الوجود من أعداء
جاعل الجو والبحار عبيداً كيف تقضى من أضعف الأشياء ؟

***

قال لى صاحباى : «هل تبتغى الشر ب» فأومأت طالباً للاناء
وتجرعت جرعتين نخف الجسم حتى حسبتنى كالهباء

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن شكرى (٢) الاستاذ عباس محمود العقاد

ما أراني وقد سكرت أبالي   بجمال في البحر أو في السماء
بل تلفت ناظراً لنساء   فتنسمت من عبير النساء
أحسب الخمر من حبائل حوا   ء وأكرم بأمنا حواء
كان تفاحها عصيراً ولولا   ذاك لم يعص آدم في السماء
باسم حواء هات كأساً وأخرى   باسم من كان أول الأنبياء

***

وتحادثن فانتشيت بسمعي   وتضاحكن فانتشت أعضائي
هن من هن لا أطيل كثيراً   هن دائي وهن بعد دوائي

***

طاب يوم الخميس يوماً وان كا   ن مساء الخميس شر مساء
فيه حاضرت في النقابة جمعاً   حسن الظن طيب الاصغاء
فاذا بي أكاد لا أحسن النطـ   ـق فما كان كالأداء ادائي
خافت الصوت في مواضع يحتا   ج خطيب فيها إلى الاعلاء
رافع الصوت في مواضع لين   سيء السمت سيء الايماء
شر ما كان في الخطابة انى   خلت نفسي مدرس الاملاء
صرت أملي الكلام لفظاً فلفظاً   دائم الضغط في حروف الهجاء
قيل: «عي مني» وما عرف السر   سوى صاحبين من خلطائي
هو عهد علي لا أشرب الخمـ   ـر ولو كان فيه كل دوائي
صفقوا مظهرين شكراً لجهدي   هو جهد أضعته بانتشائي
كلمات التشجيع كانت عزائي   وأعادت بعد القنوط رجائي
كان في السامعين أستاذنا   الشائب (١) محيي روابط الأدباء
النقي الفؤاد من كل غل   البريء الحاني على الأبرياء
كاد تقديره المشجع يمحو   سوء ما قد جنيت من القائي
ثم أبصرت صاحبي زكريا (٢)   وأديباً في معطف من فراء

---

(١) الأستاذ أحمد أفندي الشائب   (٢) الأستاذ زكريا محمد عبده .

قال لى انه الممثل فتو (١) ح وأنعم بالاسم فى الأسماء
شهرة قل أن تنال وفن يرتقى أهله عنان السماء
أى ظرف ورقة فيـه بل أى فتون فى النطق والايماء
كدت أرتد للسعادة لولا أننى فى غمامة سوداء
اختمار يذود عينى وسمعى ودوار فى الرأس بعد غثاء
كان يوم الخميس لولا الحيا يوم سعد وغبطة وصفاء

* * *

عند وقت الذهاب ناولنى الشا ئب ديوانك (٢) الجميل الرواء
هالنى منه حجمه وعجيب مثل هذا الانتاج فى الشعراء
شعر جيل هذاك أم شعر فرد أى نبت هذا وأى نماء
استوى الكم فى الغرابة والكيـف تحيرت فطنة القراء
لا أهنيـك بالاجادة بل أشفـق مما عالجت من اهداء
كل هذى مواجد وشجون وضروب من لذة وشقاء !
كل هذا عالجته دون يأس ! كل هـذا قابلته بالعناء !
فتغنى وقد ضحكت سروراً وتغنى فى الحزن عند البكاء
مرنت نفسك الكبيرة بالعطـف فكانت مرونة فى الأداء
والأساليب كالثياب وبعض النـاس اسلوبه شبيه الاناء
لم يغير منه اختلاف المعانى فهو يبدو كالآلة الصماء
أو كصندوق ميت والقريض الحـى سهل كسائر الاحياء
أيهـذا الصديق لا تتبع الناقـد الا بضحكة استهزاء
مصدر النقـد للقريض هو الحـقد واجداب فطنة وذكاء
يبصر الشاعر المعانى خيالا لم يصور بصورة الأشياء
فاذا قال فهو أصدق من قا ل وقول النقاد محض هراء
لك منى ياصنو نفسى تحيا ت مشوق اليك جم الوفاء

---

(١) الممثل فتوح أفندى نشاطى (٢) ديوان « الشفق الباكى »

اللحى والشوارب

بقية شعر القرد هاتيكمو اللحى دليلا على أنا الى القرد نتمى
فاقربنا عهداً الى القرد ملتح يليه أخو شعر كثيف على الفم

***

الشعر والحق

لنا فى الغرب اخوان أهابوا فلباهم معاشرهم سراعا
ونحن نقود معشرنا بطاءاً وقد نلقى نزوعاً أو نزاعا
لأية علة والحق حق تباين سامعوه له انصياعا
ولست أرى المسىء له عدواً ولكن لم يتم به اقتناعا
تساوى الناس لو عرفوه طراً وظل الحق محبوباً مطاعا
تساووا فى غرائزهم ولكن يزيد العقل ضيقاً واتساعا
لذلك يحمل الشعراء وزراً اذا ما الحق بين الناس ضاعا
هم النظر الذى يهدى عياناً هم الاذن التى تهدى سماعا
فيا شعراء وادى النيل مالى أرى حقاً بواديكم مضاعا
ألومكمو ولست ألوم شعبى فكل يتبع الحق اتباعا
غرائزنا النطيع (١) بها ونعصى سواء فارفعوا الشعب ارتفاعا
أبينوا الحق أو يبدو جلياً ازيلوا عن محاسنه القناعا
اسائلكم ولم استثن نفسى؟ لماذا يبدع الغرب ابتداعا
اليس خيال أهل الشعر فيه خيالا لذ سامعه فشاعا
أليس لان ما وجدوه حقاً أبانوه لقومهمو فذاعا؟
بأنفسنا مواهب لو أردنا لأحسنا بهن الانتفاعا

***

(١) أى التى نطيع

حب أصحاب الفنون

ياعاشق المثل الأعلى نعمت به   اترك فتاتك للراضى بدنياه
بالحب تنعم نفس لا نزوع بها   عما تراه الى ما عز مرآه

* * *

اترك فتاة لها فى الأرض عاشقها   مادمت تطلب ما فوق السماوات
ليس الفتاة كما قد شئتها ملكا   الا اذا شئتها فى العالم الآتى

* * *

صنف من الناس لا تجزى محبته   من يطلبون كمالا غير موجود
بحسبهم لذة امتاع خاطرهم   بعالم من جمال غير محدود

* * *

ياشاعراً يلتقى فى الخلد خاطره   وما يحب من الأطياف والصور
عرائس الشعر أولى أن تهيم بها   فاطلب فتاتك فى المريخ والقمر

* * *

يامودع الضوء والألوان ريشته   فيما تخيلته أبهى من الغيد
أولى بحبك حسن منك منتزع   أنت الغني به عن كل موجود

* * *

كل الفنون ابتكارات وكل أخى   فن غنى عن الدنيا بدنياه
اذا أحب أخو فن فغايته   خياله وهواه ليس يهواه

ضوء الفجر

أفلت نجوم الليل إلا نجمة   كادت بمكتوم الصباح تبوح
خفيت بأروقة الدجى أخواتها   وبدت كأحرص ما يكون صريح
يا نجمة الفجر البشيرة باسمه   لا تكتمى ! سر الدجى مفضوح
بدت الديار وإن تغير لونها   وبدت مسالك بينها وسفوح
صور يزيد غموضها من حسنها   ولقد يقلل حسنها التوضيح
ضوء النهار يبين عنها مفصحاً   والفجر أصرح قوله التلميح

طمع تطلبنا افاضة نوره فالفجر بعد مع الغموض صريح
هيهات تقنع بالعبير فكتفى عن موضع الازهار حين تفوح
واذا نظرت لها ولعت بلمسها ويجد من بعد الطموح طموح
الزهر يؤكل لابتغاء غذائه لكن قلب الآدمى جموح
ياديك ان يطرب لصوتك شاعر فائذن بأنك فى غد مذبوح
ياساعة الفجر القصيرة أبطئي فى الصبح تدنس بالخطايا الريح
اليوم لص فى ملابس تاجر والليل شرير عليه مسوح
والفجر ساعة تائب أو شاعر تصفو من الأوزار فيه الروح
لوان ساعات النهار تجسدت فالفجر فيما بينهن مسيح

جماح الشباب

كذلك كنت بل مازلت ألقى عقاب الطفر فى زمن الشباب
ولكن لذة الوثبات تهفو بآلامى فأنعم بالعقاب
ولو أنى رددت إلى شبابى لكنت أشد هجراً للصواب
ولو أنى ملكت عصرت عمرى كما عصروا القواكه للشراب
فأختصر السنين إلى ثوان ألذ بها مضاعفة الحساب
أيا صحراء عمرى ما أرانى سعيداً فى مراحلك اليباب
ولكنى بواحات صغار من اللذات أستوفى نصابى

***

على مهل نسير وان هتفنا إلى الغايات أو دق الرقاب
وما كالريح أو كالنار يطغى ولا كالماء أبناء التراب
حرارة حبي الماضى أعيدى إلى قلبى تباريح التصابى
ولج مشاعرى المهتاج من لى ولو بالموت فى هذا العباب
وجو تخيلاتى اعصف بنفسى ونقلها على قلل السحاب
لصرت وقد مضى عهد الشباب رماداً قد تخلف عن شهاب

ابحاث زراعيه علميه

للاستاذ الفاضل صاحب التوقيع

الخواص الكيماوية للأرض

تركيب الأرض متوقف على المعادن التي تتكون منها أولا وعلى الصخور التي تنشأ عنها هذه المعادن ثانياً والصخور المصرية لا ينشأ عنها الا أرض نكدة جيريه رمليه لكن النيل يمدها بالحمأ والخصب بما يجلبه اليها من الصخر المحبب والحجارة الرملية.

فيمتص النبات جميع المواد الذائبة في ماء الارض ، على أن بعض هذه المواد تفيده وبعضها لاتفيد ولو أنه دخل في تركيبه ، فاذا كان بعضها سمياً وذاب في ماء الارض وامتصه النبات أفسد حياته وقضى عليه نهائياً

أما الاغذية الغازية للنبات كالأكسوجين وثانى أوكسيد الكربون فيمتصها من الهواء وما عدا ذلك من الاغذية فيستفيدها من الارض كالأغذية المعدنيه فانه يمتصها من مياه الأرض بجذوره : وهناك أغذية أخرى خلاف الماء وهي ضرورية جداً لغذاء النبات مثل مركبات الآزوت والفسوسفور والكبريت والبوتاسيوم والكلسيوم والمغنيسيوم والحديد يمتصها النبات على الارجح فى حالة أزوتات وفوسفات وكبريتات الخ .

فمن الضروري أن يكون جزء من مجموع هذه الاغذية قابلا للذوبان صالحاً لتغذية النبات . أما معظم الغذاء الذى هو فى باطن الجزئيات الأرضية فانه عاطل لم تؤثر فيه الطبيعة ولا هو صالح للنبات ومن الممكن أن يصير هذا المجموع صالحاً ولكن النبات على كل حال لايأخذ منه إلامقدارا صغيراً بالنسبة له فى أى وقت كان فالارض التى تحتوى مقدار ٢١ و٠ فى الماية من الازوت مثلا لا يزيد الجزء الصالح فيها عن واحد ونصف فى الماية من ذلك المجموع ومع هذا فلا نعتمد على التحليل الكيماوى لما يحدث به من الخلط بين مجموع الغذاء ، والصالح منه فانه ربما ظهر من تحليل أرض انها تحتوى كمية وافرة من حمض الفوسفوريك مثلا ومع.

ذلك يمكن اعتبارها غير خصبة لقلة الغذاء الصالح من هذه المادة . وبالاختصار فانه لاتوجد طريقة لتحليل الارض لتعيين الجزء الصالح من الغذاء النباتى بها .

وكمية الغذاء الصالح التى تكون بالارض فى زمن مخصوص لا تدل على الكمية التى تصير صالحة بعد لينتفع بها النبات أثناء وهو لو أظهر التحليل أن فى الارض من المواد الغذائية أكثر من اللازم فربما كانت هذه الارض غير خصبة لكونها إما حمضية وإما ملحية وأما خواصها الطبيعية غير موافقة لنمو النبات وغاية ما هناك أن التحليل الكيماوى يدل على وجود الأملاح والحوامض وعدم وجود غذاء نباتى فيجب أن تحتوى الارض الخصبة على الضرورى من الاغذية النباتية فى حال صالحة ووجود بعض المواد الغذائية بكمية زائدة لا يقوم مقامه غذاء آخر غير موجود فى الارض

وقانون النهاية الصغرى لتغذية النبات الآتى يثبت ما ذكر آنفاً وهو أن خصوبة الارض أى كمية المحصول التى تنتجه يتعلق بغذاء النبات الصالح الموجود فى الارض على أصغر نسبة . ومن المركبات المختلفة الضرورية لنمو النباتات والتى بها أهمية خصوصية لندرتها فى الارض لا سيما الأخير منها وهى مركبات الأزوت والفوسفور والبوتاسيوم ، وليس الغرض من استعمال السماد إلا الاستكثار من مركبات هذه العناصر أما بقية العناصر الغذائية كالكلسيوم والمغنيسيوم والحديد والكبريت فلو فرقا فى الارض لا يحتاج اليها فى الاسمدة فكأن الارض مستودع للغذاء النباتى الذى يتحلل بالمؤثرات الطبيعية و يذوب على حسب الحاجة

وهاك تحليل أرض متوسطة :

أزوت ١١ و ٠٪ وهو يعادل ٢ كيلوجرام فى الفدان الواحد

بوتاسا ٧٠ و٠٪ « ١٣٢٣٠٫٠ « « «

حمض الفوسفوريك ٤٠ و ٠٪ « ٥٦٠و٧ « «

وقد عمل هذا الحساب لطبقة سطحية من الارض عمقها ثلاثون سنتيمتراً . فالازوت الموجود فى البيان السالف يساوى ما يستخرج من محصول قطن ثلاثة وسبعين مرة وحمض الفوسفوريك يعادل ما يحتوى عليه نفس المحصول خمسة وسبعين مرة فمن البديهي أن ما تحتويه الارض الضعيفة من هذا الغذاء أكثر مما يحتاجه أى محصول اعتيادى

ولكن عرف بالاختبار أن أحسن أرض تغل محصولا أكثر متى مدت بسماد فيه غذاء صالح وبالطبع أن من أسباب التسميد حفظ خصوبة الارض متوقفة على كمية الغذاء الصالح وعلى مجموع الغذاء الذى يظهره التحليل فالأزوت الموجود فى الأرض فى أى وقت على حالة الأزوتات قلما يزيد عن كيلوا جرام واحد فى الفدان .

وفى الجدول الآتى يتبين تحليل طبقتين الأولى سطح الارض والثانية تحت الارض لثلاثة أنواع مختلفة وتحليل محصول القطن الناتج من كل منها على حدة :

	رقم ١		رقم ٢		رقم ٣	
	ارض	تحت الارض	ارض	تحت الارض	ارض	تحت الارض
مادة عضوية	٥ر٩٠	٤ر٧٠	٤ر٦١	٤ر٨٥	٥ر٩٢	٥ر١٣
حمض فوسفوريك	٠ر٣٣	٠ر٢٠	٠ر٢٨	٠ر٢٦	٠ر٤٠	٠ر٢٧
بوتاسا	٠ر٦٤	٠ر٣٩	٠ر٦٢	٠ر٥١	٠ر٨٩	٠ر٥٩
جير	٤ر٣٦	٣ر٧٣	٣ر٨٤	٢ر٦٧	٥ر١٢	٣ر٧٩
مغنيسيا	٢ر٨٧	٢ر٦٥	٢ر٥٢	٢ر٦٠	٢ر٧٦	٢ر٨٧
اوكسيد الحديد والألومنيوم	١٨ر٤٣	١٦ر٥٤	١٦ر١٩	١٧ر٨٣	١٧ر٤٣	١٨ر٩٠
مواد غير قابلة للذوبان	٦٢ر٩٤	٦٧ر٢٣	٦٨ر٧١	٦٥ر٥٧	٦١ر٥٥	٦٣ر٢٢
مجموع الازوت	٠ر١٠٥	٠ر٠٦١٠	٠ر٠٧٥	٠ر٠٦١	٠ر١١٨	٠ر١٠٥
ازوت زويت	٠ر٠٠٠٤	٠ر٠٠١	٠و٠٠١٤	٠ر٠٠٠٢	٠ر٠٠١٤	٠ر٠٠٠١
محصول القطن زهر	رطل قنطار ٤٦ر٧٥	قنطار ٥	ط ١٣٧ر٥٠	قنطار ٦	ط ٠٠	قنطار ٣

من ذلك نجد الارض رقم ٢ اقلها خصوبة وأعظمها محصولا والأرض رقم ٣ اخصبها واقلها محصولا ومن وجهة الخواص الطبيعية نجد أن الأرض رقم ٣ تعظم فيها خاصية نفوذ الماء وليست متماسكة كباقى الانواع . فهذا الجدول حينئذ كاف لاظهار ان التحليل الكيماوى لايبين خصوبة الارض من عدمها وسيظهر عند الكلام على علاقة النبات بالارض ما يكون فى وجود كمية زائدة من المواد القابلة للذوبان فى الارض من الضرر على نمو النبات . ولو كان هذا الملح من اغذيته المهمة واذا فلا كثرة الغذاء فى الارض تنتج محصولا كبيرا ولا قلته تنتج محصولا قليلا ومع كل فقلما يضر الارض كثرة الغذاء ولكن

يضرها عادة كثرة الملح الذى ينشأ عن وجود كمية عظيمة من ملح الطعام وكربونات الصوديوم وكلورور الكلسيوم وكبريتات المغنسيوم وغيرها و بعض الاملاح اكثر ضررا من غيرها مثلا كربونات الصوديوم وهو ملح قلوى اضر على نمو النبات من ملح الطعام لأن القلوى يبطل فعل عصارة الجذور فيعجز النبات عن تحضير غذائه . وكذلك كلورور الكلسيوم من خواصه امتصاص الرطوبة الجوية فلذا تصير الأرض دائما رطبة متماسكة

اما الأرض الملحية فسبب ملوحتها أما كيفية تكونها اواحوالها الراهنة كأن تكون منخفضة بقرب البحر اويكون فيها رشح اويرتفع مستوى الماء الأرض الى قرب سطحها فتثور الاملاح ذائبة فى الماء الى السطح بالخاصية الشعرية حيث يتبخر الماء ويتراكم الملح عليها .

وان كان الملح بعيد العمق عن الأرض يصعد الى السطح الآنى الارض المنخفضة وقد لا يكون ارتفاع الملح الى سطح الأرض بالخاصية الشعرية بل بطريقة الانتشار وهو فى مصر دائما يكون فى الاماكن التى ليس بها تصريف. وفضلا عما فى كثرة الملح القابل للذوبان من التأثير المضر فى جذور النبات مباشرة من جهة وقوة الامتصاص من جهة اخرى فله ضرر آخر هو اضعاف الحياة الحيوية فى اضعاف الحياة الحيوية فى الأرض و تحضير الغذاء النباتى فيها و يلزم ايضا من البلل المستمر فى جزئيات الأرض بذوب الملح زوال كثير من الغذاء النباتى من الأرض بواسطة الغسل والصرف فالأملاح القلوية التى تمتص الرطوبة تصير الخواص الطبيعية لأرض غير صالحة للخدمة ولا نمو النبات فعند رى الارض الملحية يتخفف ذوب الاملاح و يقل تأثيره فى النبات ولكنها اذا جفت كان النوب أكثر تركزا وأضر على النبات وينتج من ذلك ان الأرض الملحية تحتاج لماء كثير يجعل الملح فى حالة غير مضرة صالحة لعيش النبات فيه

وأشد الأملاح المضرة فى الأرض هو كلورور الصوديوم و كربناته وكلورور المغنيسيا وكربناته الأن الاولين أكثر كية من الأخيرفيها على ان لأملاح الصوديوم عموما تأثيرا آخر على مركبات أخرى فى الأرض ، وعلى العموم فلا تخلو الأرض الملحية من أملاح الجير القابلة للذوبان وغيرها من المواد ، الا أن الكربونات القابلة

قلما توجد فى الأراضى المصرية ووجود الاملاح القابلة لامتصاص الماء فى الارض بكميات قليلة ككلورور الكلسيوم وكلورور المغنيسيوم يجعل الأرض دائما غدقة متماسكة .

ومن الصعب ان يضبط الجزء المثيني من الملح الذى يؤثر فى نمو النبات فى الأرض لأن التأثير المضر يختلف باختلاف النبات ويتوقف على ادوار حياته وعلى صفات الاملاح فى الارض وتوزعها وعلى كمية الرطوبة وحينئذ فالتجارب التى تعمل للتخفف من تأثير الأملاح فى نمو النبات تنتج نتائج مختلفة باختلاف طرقها . وجميع الأملاح غير مناسبة من الوجهة الزراعية حتى ان وجود ٢ ٪ تقريبا من ملح قابل للذوبان فى أى ارض يعد زائداً عن اللزوم وواحد فى المائة يصير الأرض نكدة غير خصبة ، وفى تجارب الأوانى وجد ان وجود اثنين فى المائة من ملح الطعام واثنين فى المائة من ازوتات الصودا وواحد فى المائة من كلورور الكلسيوم و ١ و . فى المائة من السليمانى اعقم القمح فلم يغلل .

وكذلك كثرة الحوامض فيها مضرة بالنبات وإنما تكثر حموضة الأرض حيث تكثر المواد العضوية بها لأن هذه المواد تنحل فينشأ عنها حوامض عضوية (معقدة) واسباب وجود الحمض بالارض هى قلة الصرف والهواء وعدم وجود مواد بالأرض تتحد مع الحوامض التى تكونت وتبطل تأثيرها .

وليس فى مصر ارض حمضية لأن ارضها عادة فقيرة فى المواد العضوية غنية فى المواد الجيرية .

أما الاراضى الكريمة فيجب أن يتعادل تأثير الحوامض بها وان تكون قلويتها خفيفة لأن هذه الشروط أكثر موافقة للجراثيم التى عليها مدار كبير فى غذاء النبات وأما شديدة القلوية من الأرض فهى غير صالحة كالأرض الحامضة .

تثبيت الغذاء النباتى فى الأرض

وتثبت غذاء النبات فى الارض من أهم التفاعلات الكيماوية بها فاذا أخذ ذوب يحتوى على مركبات البوتاسيوم وحمض الفوسوريك والنوشادر ورشح بأرض صفراء خصبة وجد أن الماء المترشح يحتوى على كمية قليلة جدا من هذه المواد ذائبة فيه وسبب

ذلك أن الغذاء يتحد مع بعض الاجسام التى فى الارض فتكون مركبات غير قابلة للذوبان يصعب سريانها فى الارض غير أن الأزوتات لاتكون مركبات غير قابلة للذوبان مع جزئيات الأرض فهى تسرى فيها وحينئذ فمياه الصرف ولو أنها تحتوى على ازوتات فهى لاتحتوى الاعلى اثارات من املاح النوشادر والبوتاسيوم وحمض الفوسفوريك من حيث أن الأزوتات توجد فى الأرض العادية بنسبة عالية ومن حيث أنها لاتستقر فى الأرض فمتى رويت ريا غزيراً فقد منها غذاء نباتى مهم وتختلف المركبات التى يستقر بها الغذاء فحمض الفوسفوريك مثلا يثبت خصوصاً بتكوين فوسفات الجير وفوسفات الحديد غير القابلين للذوبان .

أما البوتاسا والنوشادر والجير فتثبت خصوصا باتحادها مع بعض المركبات الكيماوية التى تسمى (زيوليت) وهى سليكات ادراتية مزدوجة للألومنيوم وبعض معادن أخرى، وعليه فملح البوتاسيوم (القابل للذوبان) باختلاطه مع سليكات الصودا والألومنيوم والأدراتى (زيوليت غير قابلة للذوبان) ينتج ملح صوديوم (قابلا للذوبان) مع سليكات البوتاسا والألومين الأدراتية (وهى زيوليت غير قابلة للذوبان) وعند ماتثبت قاعدة ملح فى زيوليت تفضل قاعدة الزيوليت وتختلط بماء الرشح متحدة مع الملح المتحلل .

ومن حيث أن البوتاسا تثبت فى الأرض والصودا لاتثبت فماء البحر يحتوى على كمية من الثانى أكثر من الأول ومع ذلك فبوجود كمية كبيرة من الملح يمكن ان تحل الصودا محل البوتاسا فى الزيوليت وينتج من ملوحة الأرض استفراغ المواد الغذائية المثبتة فى الأرض تدريجياً .

أما الدبال فى الأرض فله قوة مخصوصة فى تثبيت النوشادر والجير وغيرهما ومن المحتمل أن يكون ذلك بسبب تكوين دبالات غير قابلة للذوبان .

فالقوة اللازمة فى الأرض لتثبيت الغذاء النباتى تتوقف على وجود زيوليت ودبال وجير وحديد وهذه المواد توجد فى الأراضى الصفراء والسوداء اكثر بكثير من وجودها فى الأراضى الرملية ومن ذلك كانت الأراضى الرملية أقل قوة فى حفظ الاغذية النباتية واذا اضيف لأرض رملية اسمدة قابلة للذوبان كان التثبيت قليلا وازداد

المحصول بسرعة لازدياد كمية الغذاء النباتى الصالح وكذلك يذهب ماء الترشيح كمية عظيمة من هذا الغذاء فى الأراضى الرملية .

وقوة التثبيت محدودة فى كل أرض و متى ثبتت كمية ما من الغذاء النباتى فقد جميع ما يزيد عن ذلك فى ماء الترشيح أو فى تغذى النبات بكمية أكثر أو تسبب عن ذلك ملوحة الأض .

والنتائج المهمة التى وقف عليها من تثبيث الغذاء النباتى بالأرض هى :

أولا . أن الغذاء النباتى كالفوسفات والبوتاسيوم واملاح النوشادر التى تكون فى الأسمدة القابلة للذوبان المضافة الى الأرض تتحلل وتثبت فيها ولا تضيع بمياه الصرف .

ثانيا . أنه ليس الغرض من اضافة سماد قابل للذوبان الى الارض قاصراً على زيادة المواد الغذائية ، بل الغرض أيضاً أن يأخذ النبات هذا الغذاء تدريجيا مدة نموه وأما لتحويل المواد الغذائية القابلة للذوبان إلى غير قابلة له فلسنا فى حاجة لان نضيف إلى الارض حمض الفوسفوريك أو البوتاسا غير قابلة الذوبان لان كلا منهما اذاذاب فى ماء الارض عاد فى الحال غير ذائب ولايخفى أن ماينتج عنهما من المواد غير قابل للذوبان يرسب أو يستقر على سطوح الجزئيات الارضية وينتشر فيها جزئيات دقيقة تكون عرضة لان يذيبها الماء ثانية وتؤثر فيها عصارة زغب الجذور ووجود حبة من فوسفات الجير فى أرض أقل فائدة للنبات مما اذا اذيبت ورسبت بعد ذلك على مئات من الجزئيات وهناك فرق عظيم بين صلاح كمية من البوتاسا فى جزء من الارض وبين نفس الكمية بعد تحليلها وتثبيتها على أسطح جزئيات عديدة منها . والغرض من كلمة غذاء نباتى صالح هو .

أولا . أن يكون الغذاء النباتى ذائبا فى ماء الأرض مثلا .

ثانيا . أن يكون الغذاء النباتى المثبت قابلا للذوبان تدريجياً فى الارض وفى الاعصرة المستخرجة من زغب النبات .

ثالثا . الغذاء أو السماد الذى يذوب عند مساسه بالماء .

عبد المجيد سيد احمد

نسوا الاقتصاد

لست أعرف بالضبط اذا كان فى قسم اصدار الأوراق بوزارة المالية اناس درسوا علم المالية العالى مع قليل من مبادىء الاقتصاد أم لا، فان المشاهد لى أن هذا القسم فى حاجة شديدة الى من يعرف موضوع عمله تمام المعرفة

قل لأى شخص سلفنى جنيها يجيبك (مفيش فلوس) قل لأى شخص ينزهك على حسابه يقول (مفيش فلوس) أطلب من منأى شخصأن يدعوك الى منزله (أو الى لوكاندة على الأقل) للغداء يقول لك (مفيش فلوس) وأنا أيضاأنضم اليهم وأقول (مفيش فلوس)

كنت نائما ذات ليلةفأرقت لقلة الفلوس فأخذت أفكر طويلا جدا فى كيفيةحل هذه المعضلة مستعينا بفلوسى التجارية تارة وبما تلقنته من النظريات الاقتصادية تارة أخرى فخطرت لى طريقة وجيهة أساسها « اذا نقص المعروض من أى نوع من البضائع عن الطلب فماذا يجب أن نفعل ؟ »

ماصدقت حتي لاح الفجر فاخذت أسير جيئة وذهابا أمام وزارة المالية حتى دخلها الموظفون فدخلت لمدير قسم الاوراق المالية وبعد أن بادلته السلام أظهرت له مبلغ اندهاشى لعدم تمكنهم من العثور على طريقة تقضى على الضائقة المالية المستحكمة وطلبت مقابلة الوزير كى أدلى اليه بما استكشفته . فحاول عبثا اقتلاع سرى من صدرى . وبعد التي واللتيا تمكنت بعد عذاب من شق طريقى الى الوزير وقلت له :

ــ أتكافئونى اذا أدليت اليكم بطريقة تخفف الازمة المالية الحالية

ــ نعم دون شك فماذا تريد أن تقترح ؟

ــ أظنكم تديرون مطبعة البنكوت باليد

ــ أجل لان كمية الورق المطبوع لاتحتاج الى أكثر من هذا

ــ لماذا ؟ أرجوك ياصديقى أن تفكر قليلا فتجد أننى مصيب فى رأيى هذا وهو وجوب ادارتها بموتور كهربائى فيزيد بذلك المعروض ، هذه نظرية بسيطة

ضحك الوزير، واظنه من منحك الخجل، ثم قال:

ــ لدينا كميات كبيرة من الاوراق المطبوعة فى السنين الماضية فلا حاجة لنا الى طبع ورق جديد خصوصاً وأنه من الصعب انزال الموجود كله للسوق الآن

ــ غريب ، غريب ! اعمل ياسيدى أوكازيون فيخلص حالا

ولكن لم يبدو لى أنه فاهم

نهضة الترجمة والتعريب

بمناسبة صدور الطبعة الثانية من قاموس

الدكتور محمد شرف

فى العلوم الطبية والطبيعية

— ٤ —

القاعدة السادسة — أما المعانى سواء أكانت حقيقية أم مجازية فلم نجد أدنى صعوبة فى ايجاد أوضاع تؤديها لاتساع العربية فى الوضع لكل معنى من المعانى ولانقيادها للكاتب . فمن هذه المعانى ما كان مألوفاً للعرب ، ومنها ما يوجد له ألفاظ قد توضع لتأديتها .

القاعدة السابعة — الألفاظ الفرنجية المأخوذة من أصل عربى أو فارسى وتغير رسمها أرجعناها الى أصولها القديمة مثال ذلك : الأنبيق [Alenbec] والاثال [Aluthal] والكحول [Alcohol] والسكر [Sugar] والبادزهر [Bezoar] والشراب [Sirop] واللامى [Elemi] والزرافة [Giraffe] والمصطكى أو المصطكاء (Mastic) والجرنيط (Genetta) والياسمين (Jasmine) والقلى (Alkali) والأروية (Ovis lerwi) والقانت (Akanet) والقرن (Corn) والقروت (Keratinization) والزرنيخ أو الرزنيج (Arsenic) والرُّب (Rob) والأُرز (Oryza) والبوق (Bucca) والاحابيش (Abyssinians) الى غير ذلك

فى تصوير المفردات والأعلام الفرنجية بحروف عربية

اذا أردنا اتباع ما جاء فى الكتب العربيـة من تصوير الاعلام والاسماء المعرّبة التبس علينا الامر ، فان النقلة لعبوا بالالفاظ المعربة كل ملعب ، فضلا عن أنهم لم يجروا بها على نمط واحد ، وإن النساخ تناولوها بالمسخ والتصحيف . وزاد الطين بلة رداءة طبع الكتب العربية القديمة وكثرة ما فيها من الاغلاط المطبعية وغير المطبعية . أنظر مثلا الى نسخة مفردات ابن البيطار المطبوعة فى مصر وقابلها بالمطبوعة فى باريس تجد بينهما فروقاً كثيرة وأغلاطاً جمـة . وحتى فى النسخة الواحدة تجد الكلمة الواحدة مكتوبة بهجاء مختلف باختلاف الصفحات ، فالفاء تقلب قافاً والدال ذالا والعين فاء أو غينا والنون ثاء والتاء ثاء الى غير ذلك مما زادنا كداً وعناء . ولو أردت أن تعرف أنها ألفاظ واحدة ولم تكن هناك قرائن وأدلة تدل على ذلك لما تيسر لك هـذا . فتأمل فى المجهود العظيم لتحقيق ذلك من مراجع أخرى !

ومن الغريب أننا نجد الكثيرين من مشاهير المؤلفين يتناقلون بعضهم عن بعض هذه الالفاظ بدون أدنى إمعان أو تحقيق ويسترسلون فى الخطأ بالنقل . واليك قليـلا من كثير من تعـدد اللغات فى اللفظ الواحد والأمثلة على الاضطراب :

أنظر ما ذكرناه فى مادة (Taraxacum) وفى مادة (Sagapenum) وفى مادة (Ajuga champhtys) فانهم قالوا كمفطوس وكمافيطوس (ا.س) وخمـافيطوس وخمفيطس وجَمَنْفَـص وفى مادة (Balaena) وفى مادة (Vermillion) ألم يعربوا من قبل (Aristotle) بأرسطاطليس وأرسطوطاليس

وأرسطوليس وآرسط وأرسطو مع أنه ليس فى اليونانية طاء ولا يلفظ هذا الاسم فى لغته هكذا. كما عربوا (Asclepias) أسقليبوس وأسكلابيوس وأسكليب وأسقولاب، وعربوا (Dioscorides) ديوسقوريدس وديوسقور وديسقوريدس الخ. فحبذا لو وفّقنا الى طريقة لرسم الحروف العربية بحيث لا تقبل التصحيف ولعل رجال التأليف يتفقون أيضاً على استعمال الشكل الدقيق الوافى للنطق الذى كان ابتدعه الشيخ ابراهيم اليازجى واستعمله فى مجلته (الضياء)

حروف العلة

لا يمكن اعتبار كل حرف من حروف العلة فى اللغات الفرنجية حرفاً عايلا فى العربية ، اذ منها ما هو مقصور وما هو ممدود. فالمقصور يقابله فى العربية الحركة والممدود يقابله حرف العلة . وقد راعينا فى تصويرها بالعربية كونه حركة أو حرف علة بحسب النبر وموضع المد فى كل لفظة. فحرف (A) يقابله الفتحة اذا كان مقصوراً والالف اذا كان ممدوداً، والـ (E) يقابله الفتحة الممالة أو الياء والـ (I) الكسرة أو الياء والـ (O) الضمة والواو أو « أُو » والـ (Y) الكسرة أو الياء . وكم كنا نود اتباع الطريقة السالفة الذكر التى ابتدعها المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجى فى تصوير الحركات المختلفة التى وضعها للدلالة على بعض حروف العلة الفرنجية أمثال (é, u, oo, ai, eu) وراعى فيها مخارج الحركات ، غير أن المطبعة الاميرية لم تتوفر لديها هذه الحروف .

(A) جعلنا الألف مقابلا له مثال ذلك : أمونياوأزوت . وقد نهج

بعض كتاب العرب على ابدال الالف بعين [1] لجعل الكلمة أقرب للهجة العربية مثل عفروديت (Aphrodite) وعسقلاف (Ascolap) ولكنا لم نتابعهم فى ذلك

(AE) رسمناه « أى » مثل أيسيديوم (Aecidium) وأيروب (Aerobe)

(E) رسمناه بالكسرة ، أو الفتحة الممالة ، أو بالياء ، أو بالالف ، باختلاف النبرة فى مثل : ليمون (Lemon) وبرباريس (Berberis) وإيليوطروفيون (Heliotropium) . واذا بدئت بها كلمة أضافوا اليها هاء كما جاء فى تعريب (Endive) هندباء .

(EU) رسمناه بالواو مثل پستور (Pasteur) ولوكيميا (Leukemia) كما قالوا من قديم لوقى فى (Leuci) وأوباطريوس (Eupatorius) فقلنا يوكاليتوس (Eucalyptus) ، ولو أن العرب قالت إقليدس فى (Euclid) وأوروفا (Europe) مثلا .

(i) رسمناه بالياء أو الألف والياء معاً ، كما قالوا يود (Iodine) ويودور (Iodide) ويودوفورم ، وكما قالوا إيرسا وإيرساء (الزنبق Iris) وفى العربية قد تبدل الياء من الهمزة نحو أرقان ويرقان ويلمعي وألمعي

(OE) رسمناه بالواو والياء معاً كما جاء فى رويادين (Rhoeadin) .

(U) رسمناه بالضمة أو "يو" حسب نطق الكلمة مثل يوروميسيز (Uromyces) ويوريا (Urea) ويوريك (Uric) وبنكسينية (Pnccinia) ، ولو أن بعضهم جعله ألفاً حسب النطق الفرنسي والأسبانى مثل جبل إقليس . Uclès ورسمناه بالواو اذا كان فى وسط اللفظ مثل روثنياه

«١» العين والهمزة تتبادلان فيقال آديته على الامر وأعديته وموت زعاف و زؤاف أى عاجل «كتاب القلب والابدال لابن السكيت»

(Ruthinost) وروثينور (Ruthinose) وروثينـوم (Ruthinium) ولـور (الهبار Lemur) كما قال ابن البيطار أنخوسا وأنخسا في (Anchusa) .

(٧) رسمناه بالواو في أحوال قليلة أجمع كتاب العرب على كتابته بهذه الصورة ، وإذا أمنا اللبس ، وبالياء فيما عدا ذلك اتباعا لمنهاجنا .

وقد خالفنا السلف في رسم هذا الحرف بالواو وعربناه بالياء اتباعا للنطق الفرنجي فقلنا ديسنطريا (Dysentry) بدلا من دوسنطاريا كما قال ابن سينا وقالوا ايونيموس Eunymus وغلوقيريزا (Glycyrrhiza) وأمولن (Amylum) وأناغورس (Anagyris) وقد جرى في ذلك على قاعدة واحدة ، وكان ابن البيطار يفضل كتابته بالياء فقال قونيزا (Conyza) وهو الطباق (مع أن حنين عربها قونوزا) ، وقال (Bryenia) بريونيا أو الفاشرة وايفاريقون (Hypericum) وخالف ابن سينا الذي رسمه بالواو (أوفاريقون) ، ولو أنه كان مترددا في ذلك فقال فارونوخيا (Paronychia) ولذلك جرينا على رسمها بالياء كما قالوا جليسرين (Glycerin) وإكثيول [Ichthyol] وثيمول [Thymol] وفيزولوجيا [Physiology] وهيستريا (أطرع [Hysteria]) .

واذا تابعناهم في رسمه بالواو فعربنا [Phenyl] بلفظة فنول بدلا من فنيل فقد ضللنا ، لأن اللفظ الأول يدل على أس كيموي يخالف الفنون وهو الحامض الفنيك المعروف والذي يختلف عنه في التركيب . ألم يرسمه السلف بالياء في ايدروجين (Hydrogen) وايدرات (Hydrate) وايدروكسيل وغير ذلك ؟ وقد عربت العرب (Yezgo) من الاسبانية باليزقة ويربة (Yerba) فسرنا على هذا المنهاج وقلنا أسفيكسيا [Asphyxia] الخ .

فى رسم الحروف الفرنجية السالمة بالعربية

C

يتلفظ الفرنجة بهذا الحرف كالكاف نحو كربون (Carbon) ومكروب (Microbe) وكوكايين (Cocaine) وكالسين نحو سترات (Citrate) وأسيتات (Acetate)وسنكونا (Cinchona) وسبادلة (Cebadilla) وسميسفوجه (Cimicifuga) ، وقدينطقونه كافا أو سينا على حد السواء نحو (Hydrocephalus) و (Asictes) .

وقد عربه كتاب العرب بالقاف فى أكثر الأحوال مع أنه ليس فى اليونانية ولا الفرنجية قاف . لذلك جرينا على تعريبه بالكاف أو أو القاف اتباعا لخفة اللفظ وقربه من اللهجة العربية ، أو إبقاء لما شاع استعماله من تعريب السلف ومن أمثال ذلك :

بالكاف: كرمين(Carmin) وأكتينوميكوز(الحارش Actinomycosis) روفيكرمين (Ruficarmin) روسكوس(Ruscus) كاد (Code) كوديين (Codein) كادميوم (Cadmium)وكرديلوبيا (Cordylobia) وكلوستريديوم (Clostridium) وسركوم [Sarcoma] أريكا(Arica)كوبلت [Cobalt] كاكو [Cacao] بكريك [Picric] أكنتوس (Acanthus) كما قالوا من قبل كالسيوم وكلس(Calx) وكراوايا (Carvi) وكرز (Cerasi) وكافور (Camphor) وكبر (Caqqaris) وأمريقا وكاليانيا ولوعربنا هذه الألفاظ بالقاف لاستثقلها سمعك .

وبالقاف قلنا :القردوس أو الضهيأ (Cardus) والقنع (Concha) قوطى (Coate) وقلمار (Calamar) كما قالوا طوقسيقون (Toxicon)

وأوقيمــون (Ocimum) وقــلا (Colla) وقونيزة [Conyza] وقــرطم (Carthamus) وقرنفــل (Caryophyllum) وقــورل (Coral) وقونيــون (Conium) وقنطريون (Centuar) وقرنية [Cornea] والقد (Cod) وقلنترة [Cilantro) وقلمينا [Galamin] و قلقطار [Colcōthar] وأرقطيون (Arctium) كما قالوا أيضــا قبط (Copt) و إفريقيــة و قبرص (Cyqrus) و قيصر (Caesar) وقنــدة (Condy) و سقــراط (Socrates) و قلم (Calamua) وأوقيانوس (Ocean) وكما قال ابن سينا جالقططيقى (Galactatic).

و قد جوزوا قلبها خاء فى مثل أخطبوط (Octodett) أو جيما مثل جاليق (Cothohic) للتخفيف . و الـكاف تبدل فى الالفاظ العربية من الجيم والقاف نحو قشط وكشط وأعرابى قح وكح ولون أقهب وأ كهب .

CH.

عربت بالـكاف فى مثل كيميا (Chemistry) وكيموز (Chyme) وكيلوز (Chyle) وكلورين (Chlorinum) وكلورفورم (Chloroform) وكروم (Chrome) وكولسترين (Cholestrin) وكينولين (Chinolin)

وعربت بالخاء فقلنا خريسولين (Chrysolin) وخريسومان (Chrysomia) وخيرونوميده (Chironomidae) وهو البعوض الوامىء كما قال حنين خريسوقولا (Chyrsocalla)وقال ابن البيطار الخندريلى (Choondrille) وقالوا أخيل (A chilis) وأنخوسا وأنخسا (Anchnsa) وخمافيطوس (Ajuge chamaphtys) ولو أنه ورد فيها لغات الـكاف والخـاء والقاف والصاد كما قالوا سماق فى (Sumach) والصين (China.)

وقد عربناها شينا حسب التلفظ بها فى مثل شيكو (Chico) كما

قالوا قديما شيلى (Chili) وشكوريا (Chicory)

D.

جعلنا الدال مقابلا لها مع أنه ليس فى اليونانية دال وكل دال فيها تنطق ذالا ، غير أننا جعلناها ذالا فى بعض المواضع مراعين جودة اللفظ مثل أوذيما (Oedema) . وفى العربية الفصحى قد تكون الدال للبدل من الذال نحو ادكر بمعنى اذدكر وذلك فى صيغة افتعل من الافعال التى فاؤها ذال أو فى الأصول نحو شرد وشرذ والدحداح والذحذاح أى القصير .

G.

عربناها أحيانا بالجيم وأحيانا بالغين تبعاً لثقل اللفظ وخفته ، وحسن وقوعه على الاذن . واعلم أن الجيم اليونانية حرف مخرجه بين الجيم المصرية والعين ، ولا فرق بين الجيم والغين فى اليونانية ، ويعبر عنهما بحرف واحد ، فلا غبار اذا عرب بالرسمين . والجيم فى العربية حرف يلفظ جيما فى سورية وبلاد العرب وكيما فى مصر ودجيما فى جهات أخرى غير أن بعض الكتاب عربه بالقاف مثل سقبينوم (Sagapenum) والبرتقال (Portugal) كما قال ابن البيطار القبيون (Gobius) وهو حوت الجن . لذلك قلنا كنغر (Kangaroo) وسفيجموغراف (Sphygmograph) وجوتر أو النوطة (Goitre) وجونوككس (Gonococcus) وأجار أجار (Agar agar) وجلوسينوم (Glaucinum) وجلوكوما (Glaucoma) وجلوكوز (Glaucose) وأجريما (Agremia) وأجريونيده (Agrionidae) وجليسرين وجليكوجين (Glycogen) وجواياك (Guaiac) وجمبو (Gamboge) وجلوانى (Galvani) كما قالوا

زنجبيل (Zingiber) وجغرافيا وجيولوجيا وجراموفون وجالقطيقى أو الملبن (Galactatic) وأجرومية .

وقلنا غينة (Guina) كما قالوا غاز (Gas) وعنغرانة (Gangrana) وغاليوم (Galium) وبرتغال وتلغراف .

ولم نعربه بالكاف اتباعا لرأى بعضهم اذكان يقول أنكليز وانكلتره وأنكلو وكليسرين (Glycerine) لأن فى ذلك أبعاد اللفظ عن مسمع القارىء وعبثا بأصله . أما اذا لفظ دجيما بالجيم الأعجمية مثل أكسيجين (Oxygen) فقد استعرنا له الدجيم (چ) الموجودة فى الفارسية أو التركية أو الحبشية .

ﻫ

ليس فى الحروف اليونانية هاء ، غير أن الانجليز والفرنسيين والألمان اعتادوا وضع «H» فى صدور الألفاظ التى تبتدىء بحرف عليل ثقيل ونحا هذا النحو بعض كتاب العرب فقال هندباء (Endive) . والذين عربوا المعربات الحديثة من الفرنسية لم يثبتوا الهاء فى العربية لعدم النطق بها فى هذه اللغة ، بخلاف الذين عربوا من الأنجليزية فانهم ثبتوها لظهور الهاء فيها .

فقالوا هوميروس (Homerus. Homere) وهيردوتس (Herodotus, Herodote) وهيلانه (Helena) وهرقل (Herculs) مع أننا لو تقيدنا فى هجائها بحروفها اليونانية الأصلية لا التزمنا أن نقول أوميروس وأيرودوتس وإرقل وإيلانه كما قالوا ابقراط (Hippoecrates) وأوفاريقون (Hypericum) وأوقوامس وأوسقوامس وأسقومس

(البنــج Hyose yamus) وايليو طروفيون (Heliotropium) وأمطيطس (Hematite) والأنيون (الزعرع Helenium) . ولذلك قلنـا إيدروجـين وهدروجين وايدرات وهيدرات وايدراستين وهيدراستين (Hydrastin) ولذلك سبب اذا علمته زال عنك العجب وهو أن هذه الألفاظ سبق تعريبها وشاع استعمال اللغتين وكل مطلع على المعاجم الفرنجية يرى كثيرا من الألفاظ مرسوما بأكثر من رسم واحد ، وخصوصا التى من حروفها (AE, E, C, K) ودخول لغتين أو أكثر على الـكلمة الواحدة معروف فى العربية [١]

وقد رسمنا فقط بعض الـكلمات بالهاء مثل هماميلس (Hamamelis) وهالوجين (Halogen) وهمكة (Hammock) وهروين (Heroine) كما قالوا هيروفيل (Herophile) وهنرى هاردنج وهسال وهفتجون (Heptagon) وهستيريا .

J.

عربناها أحيانا بالياء كما قالوا يوسف (joseph) ويهود (juda) ويونيه (june) ويوليه (july) ويشب (jasper) فقلنا يونيبرين (juniberin) ويطروفا (jatropha) ويوجلانس (juglans) وبالجيم العربية كما قالوا جـاوه (java) وجقل (jackal) وجربوع (jerboa) فقلنا جابرندى ويابرندى (jaborandi) وجغور (Jaguar) وجرة (Jar) وجمبـل (Jambul) . وكان بعضهم يرسمها

---

١ الهاء والحاء تتبادلان فى العربية كمدح ومدى وقحل جلده وقهل وجلح رأسه وجله ونحم ونهم وكذلك الخاء والحاء كفاحت الرائحة وفاخت وحسله وخسله والخاء تتبادل كالحاء مع الهاء سخرته الشمس وسهرته ويقلب بعض المتكلمين بالعربية الهمزة عيناً والياء ضاداً والقاف ألفاً أو جيما الخ (راجع كتاب القلب والابدال)

بالزاى الأعجمية المنقوطة بثلاث ولكنا لم نر لزوما لمجاراتهم على هذا التواضع وجارينا كتاب العامة فى رسمها .

K.

عربناها بالقاف أو الكاف تبعا لخفة اللفظ.

فقلنا لوكيميا(Leukemia) ولم نقل لوقيميا وكودو (Koodo) وكلمية وكلفن (Keivin) وكاولين (Kaolin) وكيتون (Ketone) وكراتين وقراتين (Keratin) وقمز (Konmiss) وقليديوم (Kalidinm) .

والعربية الفصحي تجيز ابدال الكاف من القاف أو الجيم مثل قهره وكهره

لا وجود فى العربية لحرف يقابل الباء تمام المقابلة ، ولكنى جاريت العرب فيما اتخذوه من الاوضاع واتفقوا على رسمه بصورة واحدة وشاع استعماله كذلك . وتعديت ذلك فى أكثر الاحوال ، وخصوصا فى لأسماء العلمية البحتة واستعرت الباء الفارسية حبا فى المحافظة على صور الكلمات الفرنجية ، وتقريبها لمسمع القارىء العربى ودفعا للاشكال وقد جاء فى كلام ابن خلدون فى مقدمته ما يؤيد هذه الاستعارة ولا ضرر منها على الفصحى

ألم يرسم الفرنجة حروفنا الحلقية التى تخلو لغاتهم منها كالحاء والخاء والصاد والضاد والعين والقاف بصور تميزها ؟ أليس ذلك مثلا آخر يؤيد الاستعارة ؟

ح == H خ == KH ذ == (in that order) Z d or dh

ص == S ض == D ط == T ظ == Z ع ==

وجرى كتاب العرب على رسمها باء فقالوا بطراليون (Petroleum) وباريطون (Peritoneun) وبطراسالينون (Petroselinum) وهو البقدونس وإبقراط (Hippocrates) وبطرس (Potres) وبلارج (Pelargos) وبندق (Pontico) وعلى رسمها فاء فقالوا أفارين (Aparine) واسفرج (Asparagus) وفندق Pontica وقال ابن سينافريافيسيموس Priapism وعربناه بالقسوح لذلك قلنا بيسين (Pepsin) وبيتون (Peptone) وهكذا

Pt.

جعلناه « بت » احتياطا من اللبس وقد يجوز قلب التاء طاء ببتيالين بطيالين Ptyalin كما قالوا بطايموس Ptolomys

Q

مثل قطرون Quadroon

S

جعلنا السين مقابلا لها في أكثر الاحوال ، غير أننا جعلناها صادا في بعض المواضع استحسانا وتوقى عرى الموضع من اللبس . وقد تركت العرب لنا في هذا الباب مثلا ، إذ ليس في اليونانية (ص) ومع ذلك فقد قلوا صندل Sandal وصابون (Savon) وصوفيا Sophia واصطرك (Storax) وصودا (Soda) وصوديوم Sodium وكتبه ابن سينا بالسين في سلامندر أو الحرذون Salamander والقزويني في السلمون Salmon وسلمان وقسنا على ذلك وحذونا على أمثلتهم فقلنا الصاديه (Sadism) ومصريت (Masrite) ومصريوم (Masrium) وسندروس وسندلوس (Sandarac) وسامري Samaritan وسفرنين Saifranin وروبرسين (Robersin) وأيسفوريا

أو تساوى مقام العينين (Isophoria) وأسكارس (Ascaris) وهكذا ويلفظ زايا في بعض الالفاظ اذا وقع بين حرفين عليلين مثل روزولين Rosolme وروزنيلين (Rosaniin) وقد يكون شينا فى مثل يشب أو يشف أو يصف (Jasper) وأشباط أو اسفلط (Asphalt) وقلنا لذلك أشفور وأصفور (Isospore) وفى العربية تبدل السين من الصاد نحو سفق الباب كصفقة وتبدل الصاد من الزاى أو الزاى من الصاد كمزدغة ومصدغة وبزق وبصق وتبدل السين من الشين فى مثل جرس وجرش من الليل والكسكسة والكشكشة والزاى قد تبدل من السين نحو يزدل بمعنى يسدل وززب بمعنى رسب.

T.

ليس فى اليونانية ولا الفرنجية طاء، ولكن نقلة العرب أكثروا من تصويره طاء لان الطاء أقوى من التاء فقالوا ارسطولوخيا (Aristolochia) وأرطماسيا Artemesia وأرقطيون Arctium وأنطوبيا أو الهندباء الشامى Entubum وأخطبوط Octabod ونسطور Nestor وأنطون Antony وإفلاطون Plato وأماطيطس Hematite ونرطقس Narthex وأورطى Aorta وطوقسيقون Toxicum وطرخشقون Taraxacum وطرنشول Tournesol وقياسا على ذلك قلنا رطانية Rhatany وطقم Tagma وططرة Tetra وسطوال الواليريانا Satwall إلا فى الاحوال التى أوجب فيها الاستخفاف ابقاء التاء على حالها. والطاء فى العربية الفصحى تتبادل مع التاء والدال نحو اضطرب وقطنى ذلك وقدنى أى كفانى وغلط وغلت ومطه ومده ومع الجيم كبط وبج

V.

استعرنا لها الفاء الفارسية دفعا للبس أو جعلناهاواوالقرب مخرجها اليها عند لزوم التخفيف ، فقلنا سلفرسان Salvarsan وسلفيول Salviol وسلفيا Salvia وسموى Samovy وورنية Vernier وكصوة Cassova كما قالوا كرويا Carvi وورنيش Varnish وكانت العرب تقلبها باء مثل قولهم هندباء Endivo وبريينا Verdind وقرطبة Cordova وأشبيلية Sevillo وبر بشكه Verbascum

X

رسمنا هذا الحرف بالزاى اذا تصدر الكلمة نحو زانثينXanthin وزانثيوم Xanthium وبالكاف مع السين اذا وقع فى وسط الكلمة اتباعا لمن سبقنا فى هذا الرسم مثل أوكسيجين وأوكسيد وأوكساليك وذلك محافظة على عدم العبث بالنطق الفرنجى مشايعة الى الاكثرية

ولو أن بعضهم جعله خاء وشينا مجاراة لابن سينا فى قوله طخشين وطرخشقون وجعلها الكرملى « كصاد » فى نحو صكصون Toxin Saxon وفى العربية قد تقلب السين شينا أو صادا والكاف قافا أو جيما ولكنا نجهل تبادلها مع الخاء . والزاى قد تبدل سيناوقرب كلمةسيف من Xiphias يرجح تعريبها بالسين أو الزاى .

تعريب الكلمات الفرنجية المبتدئة بساكن

لا يصح الابتداء بالساكن فى الالفاظ العربية . فاذا بدئت الكلمة الفرنجية بحرف ساكن أضافوا اليها ألفا مثل إغريق (Greek) وإسبارطة (Sqarta) وإسبانيا وإشبان (Spain) وإسقيل (Scilla)

وإفرنجة (Franca) ولذلك قلنااستركنين (Strychnine) واستروفانتين. الخ . أو حرّكوا الساكن كما قالواغرناطة (Cranada) وفرنسا(France) وغنافليون (Gnaphalium) وبطليموس (Ptolomy) وغلوقيريزا (Glycyrrhiza) وسطركا (Styrax) فقلنا غرانيت (Granite) وغنس (Gneiss) وجرامفون وسكنديناف (Scandiuavia) الخ .

الانتهاء بألف أو تاء

يجوز كتابة الاثنين ، فقدقال ابن البيطار وابن‌سينا أمونيةوأمونيا وإسقمونيا كما قالوا أرطميزيا وقردمانا وقرطمانا . ومن الفصحى رَيّا وخِذْبا وحُذْيا وقُصياوسُقيا (من أسماء زمزم) ودُنْيا وعُلْيا ورُؤْيا ورَخْيا وبُقيا وزَكريّا وثْريا وَالمِنيا . وجيلوجيا وجغرافيا وفسيولوجيا وجرمانيا وألمانيا وإفريقية وأفريقيا وآسيا وأماسيا وأوربة وأوربا ودفترية ودفتيريا وورينا.

وجارينا بعض كتاب العرب والفرنجة فى اختزال الألفاظ بحذف جزء من العجز ورفضنا استعمال الألفاظ المشتملة على حروف تتنافر بالجوار وينفر الحس عنها ويشق على المرء التلفظ بها مثل قج وجق وقك وكق وكج وجك وظث وثظ وست وثس وشض وضش إذا لم يغير أحد الحرفين .

الاشتقاق فى العربية ونهج العرب فى التوسع فى اللغة والاصلاح

اذا تأملنا صيغ الاشتقاق العربيةوكثرتها ، وشدة العناية بها حتى تكون مشتملة على جميع المعانى وجدنا فيها معدّات قوية للتوسع فى

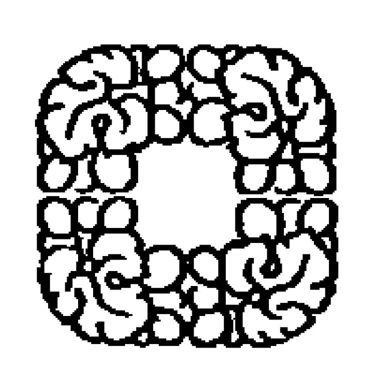
اللغة . وقد وضع اللغويون قواعد للاشتقاق وتصرفوا تصرفا واسعا حتى يكون صالحا للتمييز ، ومقاييس هذا الاشتقاق وجدت لتسهّل على الناس استيعاب اللغة واستدراك مالم يوجد فى كتبها وإتمائها ، لانه لا يمكن أى واحد أن يلمّ بمفرداتها التى لا يدركها الحصر أو يحيط بجميع عامها وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين . وكل ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ويصح إجراؤه مجراه وان لم ينطقوا به . واذا كان القياس لا يمنع وضع لفظ جديد فاتباعه لتأدية معنى جديد أمر لا غبار عليه بل هو مستحب جدا . ولم يكن العرب اعداء للتجديد والتوسع والابتداع فى عصر من عصور نهوضهم ، وقد أباحوا بناء الألفاظ على مثُل جديدة ، وقالوا إن تركهم للبناء بتلك الكيفية ليس بمانع من بنائه كذلك ، ولم يوجبوا على المتأخرين إيراد مثل فى ذلك من كلامهم القديم فقد قال الجاحظ . « ما على الناس شىء أضر من قولهم ما ترك الأول للآخر شيئا » وقال أبو عثمان المازنى : « واذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له والاحتجاج بخلافه اذا وجد الى ذلك سبيلا » .

والاشتقاق فى العربية لا يوجد له مثيل فى أية لغة ويقوم مقام النحت فى اللغات الفرنجية التى تنحت ما تستحدثه من أصول إغريقيه أو لاتينية ولاختلاف هذه اللغات عن العربية فى تقديم المضاف اليه على المضاف لايمكن تعريب ألفاظهم وهي كثيرة الاهجية الا بألفاظ يختلج بها اللّحى والشفاه ويشقّ على العربى التلفظ بها وينفر عنها حسه وينبذها

أذوقه ، ولذلك نجد فيه أصلح الوسـائل لابتداع الالفاظ الجديدة .

الالفاظ المأخوذة بالقياس

فى العربية صيغة فُعال وفَعل يدلاَّن على المرض ؛ وأ كثر أسماء الامراض والعلل جاء على هـذين الوزنين من أمثال ذلك : صـداع (Head - ache) زكام (Coryza) خنان Rhinoclesis ; Nasal obstructiuo عطاس — وسهاف (Dipsosis ; Dipsis) زحار (Dysentry) نكاف (Parotitis) كباد (Hepatitis) ذباح (Lnterdigital) (Fission) وخماع (Limping) وسلال وسُحاف (Phthisis) وقراع (Favus) سـلاس (Dementia) رعاف (Epistaxis) ثؤاط (ACute rhinitis) صـدام (Influenza) ظهار (Rhaehialgia) قلاب (Carditis) رحام (Metritis) خراع (Tapes) دوار (Vertigo) سعار الجائع (Limophoitos) وكساح (Rickets) جذام (Leprosy) كزاز (Tetanus) هدام (Sea-sickness) هذاء (Delirium) والهزال والسـعال والبحاح والهلاس والهيام والخمار والسلاق والفواق والخناق والاباء والخشاء والزقاء والثغاء والنزاء والمواء وغير ذلك من مئات الألفاظ .



أفظع جرائم القرن التاسع عشر

« القطعة الخامسة من الحوادث التي اعتبرت أفظع جرائم القرن التاسع عشر . وكل منها حادثة مستقلة »

٥ — تحت ستار الحب

بعد الساعة التاسعة بقليل من صباح يوم السبت ٧ يناير سنة ١٨٨٢ غادر المسيو جيلوم برناى المحامى الشهير من بلدة أنفرس منزله قائلا لأحد خدمه: انه ذاهب الى بركسل فى عمل يستغرق النهار ثم يعود فى السادسة مساء ليتناول العشاء . وترك خبر السفر على هذا الوجه — أى مع خادم — لم يكن بغير سبب. ونظرة تأمل بسيطة فيه تؤدى بالمفكر الى الشك فى حسن العلاقات الزوجية بين المسيو برناى وزوجته . وفى الحق أن منزل آل برناى كان منشقا على نفسه . وكانت الزيجة التى يرجع تاريخها الى عام ١٨٧٣ غير موفقة ، ومما لا ريب فيه أن الأخطاء كانت من الجانبين على السواء ولكن الظاهر أن الزوج لم يكن عطوفا متسامحا بدليل أنه لم يرب عددا كبيرا من الصحاب . بينا زوجته قد اشتهرت بأنها ذات صفات جذابة وخلابة ، كريمة محسنة بارة . وهذا طبعا فضلا عما كان معلوما عنها من أنها تنظر الى الحياة نظرة رومانتكية خيالية ، وكان برناى رجلا صعب المراس ، عملياً ، ذا مطالع ولو أنها محدودة ، على أنه قد لا يراعى النبل والشرف فى سبيل تحقيق مطامعه، بل قل إنه لا يأبه لها مطلقاً لأنه كان ذا نهمة جشعة ،

وقد نشأ الخلاف بينهما منذ فجر قرانهما ، وما لبثت أن وضعت ابنها الأول حتى انقطع تسريهما ببعضهما كل الانقطاع ، بل إنه لولا هذا الطفل — الذى كان والده مغرمين به على السواء — لكان الطلاق قد تم بينهما قبل بدء هذه القصة بزمن طويل ، على أنه من العدل أن نقول ان كلا من الزوج والزوجة لم يكن يستطيع أن يوجه الى الآخر مطاعن صادقة من النوع الذى يبرر الطلاق . فالزوج رغم شراسته لم يلجأ قط

لما قد يعتبر فى حكم القسوة ، والزوجة لم ترتكب حتى ذلك الوقت الخطيئة المنصوص عليها فى الوصية السابعة

غير أن برناى كان يظهر ميلا شديدا الى خادم رشيقة فى بيته . وانما لم يكن هذا الميل يعدو حدوده الظاهرة ،ومهما يكن من شىء فأنه لم يقم بينهما من العلائق ما يسمى باسم آخر غير مجرد الميل والعطف ،كذلك كانت الزوجة تميل من ناحيتها ميلا أفلاطونيا ــ وأفلاطونيا فقط ــ الى رجل محترم بين قومه يدعى ارماند بلزر ، وإنه لمن أشد العجب ــ ولو أنه حقيقة صارمة ــ أن أمثال هذه العلاقات التى تبدأ وتنمو شريفة يكلأها ويرعاها ملائكة يوقعون أنغامها على القيثارة المقدسة . تكون خاتمتها ونهايتها فى صورة من صور انطباق قوانين الجنايات ، يوقع لحنها رجل البوليس على أوتار من سلاسل وقيود حديدية

ولقد كان ارماند بلزر ينتمى لعائلة من أشهر خصائصها أن توارث السلف فيها عن الخلف غريزة فائقة فى أدراك الشؤون التجارية ادراكا قصيا . ومع أنها (العائلة) من أصل ألمانى فقد استوطنت فى الجيل السابق لحوادث هذه القصة مدينتى فرفيرو ليبج (من اعمال بلجيكا) وولد فيهما اخوات ارماند بلزر ــ صبية وبنات ــ وربوا فيهما كذلك ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى أنفرس حيث أنشأ اثنان من أشقائه بيتاً تجارياً واسع الأطراف كبير المعاملات كثيرها ولكنه لم يلبث أن انقضت عليه سنتان حتى زاد المطلوب منه عن المطلوب له وتقدم لأشهار افلاسه

وفى هذا الوقت كان أرماند ــ وقد امتهن هندسة البناء ــ مقيما فى « بونيوس ايرس » (من أعمال البرازيل فى أمريكا الجنوبية) فلما بلغته أنباء الكارثة التى حلت باخوته شد رحاله مسرعاً إلى وطنه ، فوصل اليهم وقد بلغت الأزمة منتهاها ولم يبق على اشهار افلاسهم إلا طرفة عين، فجمع كل ما لديه من مال منقول وعقار مضحياً به على مذبح انقاذ عائلته فساءت حالته المالية واضطرب مركزه اضطراباً لا مناص من أن يلابسه بضع سنين

ولقد كان تصرفه النبيل على تلك الصورة الحاتمية الكرم هو الذى استلفت نظر مدام برناى نحوه وجذبها اليه ، ذلك لأن زوجها كان وكيلا عن اخوة أرماند فى الدعاوى التى رفعت ضدهم ، أضف إلى هذا أن عائلة مدام برناى وآل بلزر كانا متصلين

بصلات ودية قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل زواج مدام برناى بزمن ليس باليسير، وزد على هذا أيضاً أن زوجها — رغم ما كان عليه من جمود وجحود نحو كل ما يمت الى العواطف بصلة — كان لايفتأ يذكر عمل أرماند بلزر فى شيء كثير من الاعجاب والتقدير، بل إن ذلك المحامى الجاف الذى لم يكن له من الصحاب — بله الأصدقاء — ما يبلغ أصابع اليد الواحدة قد اندفع بكليته نحو أرماند بلزر وأصبح يتفقده فى غيابه بأكثر مما يتفقد حديث عهد بالحب حبيبه، فما لبث أرماند أن أمسى ضيفاً مستديماً على بيت آل برناى

وكان أرماند بلزر أرمل وله ابنة صغيرة قد وقف نفسه وحياته رهنا عليها، وكانت ذكريات زوجته الفقيدة وما كانت عليه من خصال حميدة وأوصاف غالية ما تفتأ تستثير أشجانه وتستدر دموعه سيلا مدراراً، فما بالك وهو قد كان — إلى جانب هذا — يعانى أزمة مالية عنيفة لغير ما جريرة ارتكبها ولا خطأ وقع هو فيه ؟!

وأنت تعلم ان مدام برناى امرأة عطوفة إن لم تكن إحساسية، وقد ضاعت عواطفها وحساسيتها هباء على زوجها. وكما قال بيرون« إن ما يهمله رجل يلتقطه آخر» وعلى ذلك ليس عجيباً أن يتبادل ارماند بلزر ومدام برناى شعور المودة فالحب، ألسنا نريد أن نجزم بنوع العلاقات التى كانت قائمة بينهما، على أن ما قد تأكد أمره — ان خطأ وان صوابا — هو أن شكوك المسيو برناى الزوج قد أثيرت بواسطة خطابات غفل من التوقيع تارة، وبما كان يشاهده على وجوه الخدم من الأشارات ذات المعانى تارة أخرى؟ فما جاء شهر سبتمبر من عام ١٨٨١ حتى كان أرماند بلزر قد حرم عليه قطعياً دخول بيت آل برناى، بعد أن كان حتى ذلك الوقت رسول السلام والمصالحة بين الزوج وزوجته إذا ما شجر بينهما خلاف، وما أكثر ما كانا يختلفان...

على أن ذلك التحريم من الزوج على صديقه كان لا يمكن أن يخلو من اتهام صريح.. وكان من الطبيعى أن يدافع ارماند عن نفسه، كما أن مدام برناى لم يكن لها مندوحة عن ذلك..

وقد بلغ الحال حد تدخل والدها وصديقاتها وأصدقائها فى الامر، وقد أشار بعضهم عليها باتخاذ خطوة حاسمة صيانة لشرفها، ولم يكن من الطلاق مفر،

ولكنها تراجعت . . . ومن المحتمل أن إحجامها فى هذه المرة الثانية عن طلب الطلاق كان لنفس السبب الذى امتنعت أول مرة عن طلبه من أجله .. ذلك هو الطفل ! ! وكان الآن قد جاوز الثامنة ، وما زال أبواه على فرقتهما وعدم تـربهما يعضهما منذ ولادته ، ولكنه الآن قد أصبح غلاما ذكيا جميلا مبشرا بمستقبل زاهر . فكيف تستطيع مع هذا أن تقدّم على تلك الخطوة الجريئة ؟ . . . الطلاق ! ! نعم ، لقد ترددت هذه الفكرة ودار البحث حولها بين مدام برناى وآلها وصحبها ، ولكنها طردتها عاجلا . وتلقت قرار حرمان ارماندمن دخول منزلها — بسبب ما تواتر من الاشعات عن العلاقة بينهما — بكل شمم واباء قائلة إنها لا تكترث للأقوال الكاذبة مهما كانت كثيرة وقوية ما دامت هى واثقة من براءتها وطهرها وإذن فقد استمرت مقيمة فى منزل زوجها . لا تراه إلا على المائدة . . . وإلى جانب هذا كانت ما تزال محتفظة بكرامتها بحيث أنها اذا تقابلت عرضا مع أرماند فى بيت أبيها فأنها كانت تسلم عليه وتلاطفه على مرأى ومشهد من الجميع . بل وما زالت ابنته ، اليتيمة الام ، والتى كان أرماند ما يزال على اعزازه لها ولذكرى أمها ، فكانت تلك الفتاة قد نشأت على حب مدام برناى ، كما تعلقت بها مدام برناى نفسها . ولم تجد مدام برناى بدا من المحافظة على كرامتها ازاء الاتهام الكاذب الذى وجه اليها . فجعلت تستقبل تلك الفتاة وتعنى بها كما تعنى الأم الرءوم بابنتها

وفى هذه الأوقات — أى بعد أربعة شهور من تحريم دخول أرماند بلزو منزل صديقه المحامى جيلوم برناى — سافر هذا الزوج من منزل فى أنفرس صباح السبت ٧ يناير سنة ١٨٨٢ دون أن يخبر أحدا بسفره إلا خادما . وكل ماقاله لتلك الخادم إنه مسافر فى عمل الى بروكسل ، وأنه سيعود قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه ، أى قبل ميعاد العشاء . . .

وجاءت الساعة السادسة ولم يجىء جيلوم برناى ، وانقضى الليل ولم يعد ، ولا فى النهار التالى ، وفى الحق أنه غطس فى بئر مدة العشرة الأيام التالية ، ولم يسمع عنه فيها أى خبر ولا أثر .. على أن البحث عنه — وقد قامت به زوجتها وأصدقاؤها لم يكن جادا .. وطبيعى أن يكون السبب فى ذلك الحادثان التاليان :

أولا — لأنهالم تتلق ردا عن البرقية التى أرسلتها الى صهرها فى بروكسل صباح اليوم الأول

لغياب زوجها، ابنه، فسافرت بنفسها الى بروكسل، ولما ذهبت الى منزل صهرها وجدت بابه مغلقا .. ومن حق القارىء أن يعرف هنا شيئا عن المسيو برناى الأب فهو قدكان يهوديامن المحافظين، وهى مسيحية كاثوليكية، فلما خطبها جليوم رأت من السخافة أن يكون اختلاف العقيدة الدينية سببا للرفض،ولم يلبث برناى — الابن والزوج — أن انقلب كاثوليكيا، فانقطعت كل صلة بين الابن ووجه وبين بيت أبيه، الى حد أنه عند ما حلت الكارثة أفهمت مدام برناى أنها لاتستطيع الاعتماد على عائلة زوجها فى البحث عنه

ثانياً — لم تكن مدام برناى تظن مطلقاً أن سوءاً أصاب زوجها، لاسيما وهو قد كان أعلن منذ بضعة شهور عزمه على الانقطاع عن العالم وقضاء الباقى له من أيامه فى دير . . . فابرقت إلى القسيس الذى عمد زوجها فى باريس، ومع أن هذا اجابها بأنه لايعرف شيئاً عن مكان زوجها فانها كان بداخلها أن زوجها لابد قد ذهب إلى دير آخر . . وقد ثبت تماماً فيما بعد أن مدام برناى كانت على ثقة من أن زوجها لم يلاق حتفه . وأنها ما كانت تشعر بأى خوف أو ريبة سوء عن غيابه ولذلك لم يكن البحث حاراً كما قدمت لك

وقد لبث الموقف عند هذا الحد حتى ١٨ يناير . . . وفى صباحه وصل إلى نيابة أنفرس خطاب عليه طابع بريد من بال (سويسرا) بتوقيع « هنرى فوجان» يقول فيه كاتبه انه تعجب إذ قرأ فى الصحف البلجيكية نبأ اختفاء المسيوجيلوم برناى حيث أنه قد كتب خطابين إلى رئيس نيابة بروكسل وضح له فيهما الحقيقة، ثم استدرج إلى ذكر هذه الحقيقة بقوله « ولا شك أن عدم وصول هذين الخطابين إلى رئيس النيابة قد زاد فى وقع المصيبة . . . تتلخص الحادثة فى أن المسيو جيلوم حضر لمقابلتى فى بروكسل فى ٧ يناير، وبينما كنا نتحادث شاهد مسدساً معي فاراد أن يتفرج عليه، وبينما انا أفرجه وقد فتحت الخزانة وأردت اغلاقها ثانية فانضغط الياى وخرجت الطلقة فخر المسيو برناى صريعاً، فظننت فى أول الأمر انه جرح جرحا بسيطاً فاسرعت وأحضرت الصحن وماءاً للغسيل وماءنشادر ومنشفة ورباطا وعدت مهرولا فوجدت الدم يتفجر من أنفه وما لبث وا أسفاه أن مات . . مقتولا بيدى . وأول خاطر وقع لى أن استدعي البوليس وقاضى التحقيق، ولكني ما لبثت أن أدركت ان مركزى

فى بركسل — حيث لا أصدقاء لى ولا معارف — سيكون حرجا ، ثم تذكرت أن زوجتى وابنتى المريضتين تنتظران عودتى بين آونة وأخرى لأسافر بهما الى الجنوب قصد الاستشفاء بدفئه فى الشتاء ، فقررت أن أسافر لأراهما أولا وأخبرهما بالمصيبة التى حلت بى والتى لا تزال تنتظرنى إما باعدام أو بقضاء بقية العمر بين جدران السجون ، ثم يقدم هذا المعترف على نفسه الأدلة الدامغة على أنه هو القاتل حقيقة ، ويختم خطابه قائلا « وإنى لعلى أتم استعداد لتسليم نفسى الى السلطات لتجرى العدالة مجراها ».

فلم يسع النائب العمومى عندما قرأ هذا الخطاب إلا أن يقوم بنفسه مستصحباً الطبيب الشرعي وطائفة من رؤساء الشرطة ويتوجه الى المنزل الوارد ذكره فى الخطاب ، وهناك وجد منزلا مهجوراً ليس به من الأثاث الا قطع متناثرة ونوافذه بعضها مغطى بالستائر والبعض الآخر لم تمسسه يد المنظف منذ شهور .. على أن احدى الغرف كانت الستائر فيها مدلاة الى ما تحت النافذة وعلى مقعد فى هذه الغرفة كانت مكومة جثة جليوم برناى وقد اخترقت رصاصة عنقه ما بين الجوزة وأسفل الذقن حتى لقد قرر الاطباء فوراً أن الوفاة حدثت بمجرد الأصابة

وبتدقيق للنظر تبين أن هناك بعض بقع دم على البساط مقابل الكرسى المكومة فوقه الجثة . وبعيدا قليلا .. حوالى منتصف الغرفة يعثر المحققون على بقعة كبيرة من دم متجمد . وقرر الطبيب الشرعى أن هذا الدم هو الذى انفجر فى أول الأصابة ، وكان الاستنتاج الوحيد من ذلك هو أن القتل حصل فى غير المكان الذى وجدت فيه الجثة كما ثبت لهم أيضا من عدم وجود بقع من الدم على خط مستقيم بين مكان القتل والمكان الذى وجدت فيه الجثة على الكرسى أن نقل الجثة من مكانها حدث بعد القتل . وأضاف الشرطة الاخصائيون فى قص الأثر أن النقل حصل بعد القتل بأيام ، وإذن فقد كذب « هنرى فوجام » فى قوله أنه لم يعد الى محل الحادثة من يومها !!

ولكن المهم هو معرفة من هو « هنرى فوجام » ؟ هل كان عميلا من عملاء جليوم برناى ؟ وقبل كل شى هل هو بلجيكى — رغم أن اسمه يدل على غير ذلك ؟! ومن يدرى حتى اذا كان هذا هو اسمه الحقيقى ؟ والى أن تستطاع الاجابة على تلك الاسئلة لا يستطيع البوليس الكشف عن غوامض هذه الجريمة .. ولكن الظاهر أن « هنرى فوجان » كان سخيا جدا فى ترك الآثار التى يستدل منها على شخصيته .. فقد وجد

المحققون فى العرفة التالية عدة قوائم حساب وفواتير واتفاقات مع بعض المحامين المعروفين جميعهامعقودةباسم«هنرىفوجان»، وفى اوراقه انه نزل فىلوكندات مشهورة فى بلدان عديدة مثل امستردام وهمبورح و بريمن وغيرها ، وعلى ذلك أصبح بعيدا عن الشك أن هنرى فوجان نكرة ، لأنه فضلا عن أن فواتير الفنادق باسمه كانت جميعها لفنادق من الطبقة الأولى فقد وجدت فى جيوب القتيل كل الاشياء الثمينة وأضف الى هذاأن مدام برناى—عندما شاهدت جثة زوجها فى اليوم التالى — قررت أن هنرى فوجان من عملاء زوجها و إن كان حديث عهد بهذه المعاملة ، كما تبين بعد ذلك أن تحويلا بعشرين جنيها كان قد وصل المحامى القتيل من عميله القاتل قبل وقوع الحادثة بقليل ، وعرف كذلك أن أول مخابرة دارت بين المحامى وعميله كانت باللغة الانجليزية — على أنهذا أيضالم يكن كافياً لتعرف شخصيةفوجان— ومادامت فكرة القتل من أجل السرقة قدانتفت ،فأى دافع آخر يمكن أن يحمل هنرى فوجان على قتل جيلوم برناى ؟ لاشئ . وعلى ذلك أصبح جميع المحققين فى مقتل برناى واثقين ومقتنعين بأنه لابد أن يكونصحيحاً اعتراف هنرى فوجان بأن القتل قد حصل خطأ

وكاد يكون هناك اجماع على هذا الرأى إلا أن مدام برناى كانت ضمن أقلية ممن لم يأخذوا تلك الأمور قضايا مسلمة ، بل إن شكوكها فى مقتل زوجها قدجاوزتهذا الحد وبلغت أنها جعلت تهجسفى نفسها « هل هنا أية علاقة بين « هنرى فوجان» و « ارماند بلزر » ؟

ولما عادت من بروكسل — عقب تعرفها على جثه زوجها وحضورها التحقيقات الموضعية — ذهب اليها أرماند بلزرليغريها ، ولشد ما أفزعته بسؤالها اياه « اقسم لى بأقدس شئ لديك ، بحياة ابنتك ، انك لاتعرف هنرى فوجان هذا ؟ »فكانجوابه على ذلك « « هذا خلط لست أفهم له معنى !! أى خاطر طرأ لك ؟ »

* * *

ومع أن المحققين كانوا قد أصبحوا مقتنعين بأن لاجريمة هنالك . فلا ريب أنه لم يكن بوسعهم إلا أن يستوفوا اجراءاتهم . فبدؤا باستجواب المسيو « ألمين»صاحب المنزل الذى وقعت الحادثة . ثم المسيو « جيوت » تاجر المفروشاتالذى قدمالأشياء التى وجدت بالمنزل ، ولم تغن المعلومات التى أعطاها هذا الشخصان البوليس فتيلا

إذ كانت تتلخص فيما يأتى : فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٨١ حضر الى المسيو ألمين (المالك) رجل فى هيئة رجال الأعمال وقال له إنه من ابناء استراليا ، انجليزى الأب اسبانى الأم ! و أنه قادم من استراليا لانشاء شركة للبواخر بين أوربا واستراليا،و يريد من أجل ذلك أن يستأجر منزله حيث وجده لائقاً لمقر الشركة فى بروكسل ، ولكنه طلب مهلة لغاية ١٠ ديسمبر قبل أن يقرر نهائيا هل يستأجر المنزل أو لا يستأجره . . غير أنه عاد الى مقابلة المالك فى ٤ ديسمبر وطلب منه مد المهلة الى ٢٠ ديسمبر لأن زوجته وابنته مريضان ولأنه مسافر بهما الى الجنوب للاستشفاء ، فقبل المسيو المين ، ن يمنحه امتداد المهلة إلى العشرين من ديسمبر ، ولكنه تسلم خطاباً من فوجان فى ١٠ ديسمبر — وطابع البريد من همبرج — يقول له فيه انه حاضر لكتابة عقد الأجارة فى ١٩ ديسمبر .. على أن كتابة العقد لم تتم إلا فى ٢١ منه ، ودفع المستأجر أجرة ستة شهور مقدماً فأذهل المالك عن اتخاذ الاجراء المتبع فى الاستعلام عن المستأجر .. بل إن ثقة المسيو ألمين (المالك) بالمستأجر — فوجان — قد وصلت الى حد أنه اعطاه خطاب توصية الى أحد تجار المفروشات يدعى المسيو جيو ،وقد شهد هذا بأن فوجان قد حضر اليه وأعطاه ١٥٫٠٠٠ فرنك تحت حساب فرش المنزل الذى قدرت نفقات فرشه بخمسين الفاً من الفرنكات . وقال المسيو جيو إن فوجان كان متعجلا فى طلب فرش جزء من المنزل وأنه علل استعجاله بأنه سيستقبل محاميه فى ٧ يناير — وكانت مقابلته مع المسيو جيو فى ٥ يناير — فلما قال له المسيو جيو انه لا يستطيع قطع الستائر على مقاس النوافذ فى الميعاد المطلوب أجاب فوجان بأنه لا بأس من تركيب الستائر مؤقتاً ، الحالة التى هى عليها واعداد الجزء من المنزل الذى يستقبل فيه محاميه وجماعة من المهندسين القادمين من باريس ولندن لمقابلته . وقال إنه لا يستطيع أن يستقبلهم فى فندق بريطانيا الآن غرفه مؤدية إلى بعضها وهو لا يسعه أن يتحادث فى الأمور الهامة التى سيتحادث فيها مع القادمين من أجلها خصيصا فى مثل ذلك الفندق

هنا نستميح القارىء لنبدى ملاحظة هامة : تلك أن رجال المباحث البلجيكيين قد أطروا أنفسهم اطراء جما عقب الانتهاء من محاكمة قاتلى جيلوم برناى زعماً منهم بأنهم قد كشفوا النقاب عن هذه الجريمة ، والحقيقة أنهم لم يكتشفوا شيئا مطلقاً ! !

ولولا المساعدة التى جاءتهم من الخارج لظل القتلة مجهولين . فأن رجال البوليس قد عجزوا تماما عن إدراك الباعث على قتل برناى ، وبعبارة أخرى مألوفة إنهم « لم يروا أبعد من مواطىء أقدامهم » ، ذلك لأنهم كانوا مقتنعين بصدق الزعم أن هنرى فوجان كان غريباً على آل برناى ، و زاد فى تضليلهم أنه أنفق ما يقرب من العشرين ألف فرنك فى أعداد المنزل للشروع الموهوم . فكانوا من أثر ذلك أميل إلى الأخذ برواية هنرى فوجان نفسه من أن الجريمة إنما هى قتل خطأ .

بيد أن الجمهور — لا سيما جمهور أنفرس — لم ينخدع بمثل تلك السهولة . والظاهر أن الريبة التى ساورت مدام برناي فى ١٩ يناير فدفعتها لألقاء ذلك السؤال الفجائى على أرماند قد أحاطت نفس هذه الريبة بالجمهور كذلك رغم أنه لم يقم دليل على أن مدام برناى قد كاشفت أحداً بوساوسها . والحق أن تلك الريب والظنون لم تكن مبنية على أكثر من الحدس والتخمين . وكان الزارع لبذور ذلك الحدس والتخمين هو أرماند بلزر نفسه بتداخله مع آل برناى ذلك التداخل العميق ثمانى سنوات سويا كانت خاتمتها تحريم دخوله منزلهم قطعيا : غير أنه لم يكن من السهل أن يقطع أحد بأن أرماند بلزر هو القاتل لجيلوم برناى سيما وأن — أرماند — قد شوهد فى أنفرس (والقتل فى بروكسل) طول نهار اليوم الذى قتل فيه برناى من الساعة التاسعة من الصباح إلى ساعة متأخرة من الليل . بل لقد تبين من التحقيقات أن أرماند قد حرص فى ذلك اليوم على أن يراه جمهور كبير من مختلف الطبقات فى جميع ساعات ذلك اليوم . على أن اقتناع الناس بأن ارماند لم يكن هو القاتل ليس يمنعهم من أن يفكروا فى نفس السؤال الفجائى الذى ألقته عليه مدام برناى عقيب عودتها من بروكسل وهو : « أقسم لى بأقدس شىء لديك . بحياة ابنتك . أنك لاتعرف هنرى فوجان هذا ؟ » . . . بل إن الناس قد ذهبوا إلى أبعد من ذلك فى اتهام أرماند فقالوا له كما قال الذئب للحمل : « إذا لم تكن أنت فمن المحتمل أنه أخوك » ، وأرماند لم يكن يستطيع الأجابة بمثل ما أجاب به الحمل : « ليس لى اخوة » لأنه كان له أخوة عديدون وبينهم واحد لا يمكن بأى حال أن يوصف بأنه حمل . ذلك هو « ليون بلزر » الذى يعتبر بحق أس مصائب تلك الأسرة — أسرة بلزر — ومنبعَ أحزانها . وقد كان من صنع يدى ليون هذا الافلاس الذى قدم أرماند من « بونيوس ايرس » من أجله و باع

جميع ممتلكاته ليفتديه ، وكان ليون يشتغل إذ ذاك . بالتجارة مع أخ آخر له فى أنفرس وبعد أن انتشلهما أخوهما أرماند من هوة ذلك الافلاس الذى كادا يوقعان نفسيهما فيه ذهب ليون إلى منشستر فلم يغادرها إلا وقد ترك لنفسه فى دوائرها التجارية اسماً لا يحسد عليه، وعاد فأوقع أخاه ارماند فى نكبة أخرى ، ثم سافر ليون بعد ذلك إلى « بوينوس ايرس » حيث كان يقيم روبرت بلزر — أخ آخر لهم — فلم تمض عليه هناك بضعة أسابيع حتى طرده أخوه أشنع طردة لسلوكه المعيب الشائن فسافر من ثم إلى نيويورك تحت اسم مستعار هو « فردريك البرت » ، وقد اضطر فى نيويورك لقبول وظيفة دون مؤهلاته بكثير ، وماذلك إلا ليعيش ، والحق انه لم يعرف عليه ما يؤاخذ به أثناء اقامته فى العاصمة الامركية ، وليس من العدل أن نجزم بأن نقاء صفحته فى نيويورك كان لعظم اتساعها أو كان من أثر الوظيفة الصغيرة التى لم يكن له مفر من قبولها

ومن جهة أخرى فأنه بالرغم مما كان ليون مشهوراً به من سوء السلوك والنصب والاحتيال فى مدينة أنفرس فان أحداً ممن يعرفونه حق المعرفة في تلك المدينة ما كان ليصدق أن ليون يستطيع أن يلحق الأذى بحيوان بهيم فضلا عن انسان عاقل ، نقول هذا لنبين انه لو لم يكن أخا أرماند لما أقدم أحد على مجرد الاشتباه فى اعتدائه اعتداء بسيطاً على أى مخلوق آخر بله الأقدام على ذلك القتل الغادر

وايضاحاً لذلك نقول إن الناس عندما بدءوا يرتابون فى أنه لابد أن يكون لأرماند يد فى موت برناى ، كان من الطبيعى ان يتلمسوا معرفة شريكه ، فاذا ما أضيف إلى ذلك فداحة الجريمة أمكن استنتاج أن أرماند ما كان ليستطيع أن يفضى بمشروعه إلى شخص غريب عنه و يأتمنه على تنفيذه ، وهذا طبعاً فضلا عن أن أي شخص غريب غير ذى مصلحة ما كان ليرضى مطلقاً بارتكاب هذه الجريمة على النحو الذى تمت به

***

نعود الآن الى تتبع خطوات رجال البوليس فنقول انهم لم يستطيعوا الجمود طويلا ازاء الأشاعات القوية التى أصبحت حديث القوم حول مقتل برناى ، ومع انهم لم يجدوا مبرراً لالقاء القبض على أرماند فقد استدعوه وسألوه عن محل اقامة اخيه ليون ، فأجابهم — بلا أدنى تردد — أن أخاه ليون فى أمريكا ، وقدم تأييداً لذلك خطاباً وارداً منه من سنت لويس تاريخه ١٨ نوفمبر ١٨٨١ ووصله حوالى الوقت الذى

قتل فيه برناى ، ومعنى هذا هو أنه لا يمكن أن يكون ليون بلزر هو بنفسه هنرى فوجان لأن هذا تقابل مع المسيو ألمين (صاحب المنزل) فى ٢ ديسمبر الخ الخ . .

وبالرغم من هذه الأجابة والخطاب الدليل الذى قدم لتدعيمها فقد استمر البوليس موالياً بحثه عن ليون بلزر فى أوربا ، وفضلا عن ذلك وضع أرماند تحت رقابة شديدة، وكذلك مراسلاته ومكاتباته ، فلما شعر بهذا ظن فى نفسه أنه مستطيع تضليل البوليس عن أثره فأصبح يتلقي خطاباته بواسطة بعض أصدقائه بأن جعل عنوانه لديهم ، وأكثر ما كان يتلقي بريده بواسطة صديقه الحميم الدكتور لافيز ، ولكن هذا الصديق بلغ إلى علمه يوماً الشكوك الحائمة حول صديقه المهندس فارتاب هو الآخر ولم يلبث أن ذهب إلى النائب العمومى وأخبره أنه على غير علم منه كان واسطة التخاطب بين أرماند وليون بلزر ، وأن هذا الأخير موجود فى بروكسل صباح هذا اليوم ، ٥ مارس ، فكان هذا الاعتراف بمثابة حل للعقدة التى ظلت زماناً معقدة ، وقبض على أرماند قبل أن تغرب شمس هذا اليوم ، ولبث أخوه يراوغ البوليس ثلاثة أيام قبض عليه بعدها فى « أكس لاشابل »

وحينئذ شرع البوليس يستجمع الأدلة على ثلاثة أشياء هي : أولا أن ليون بلزر وهنرى فوجان ليسا إلا شخصاً واحداً ، ثانياً أنه لم تكن ثم حادثة بل قتل مع سبق الأصرار ، ثالثاً أن أرماند كان شريكا لأخيه فى تدابيره قبل الحادثة وبعدها . . . . فاذا ماثبتت هذه الأشياء الثلاثة يكون البوليس قد كشف عن جريمة من أفظع الجرائم التى ارتكبت فى العالم من جهة الذكاء وأحكام التدبير والجرأة التى لو استعملت فى عمل آخر شريف لجلبت إلى صاحبها شهرة ومالا وفيرين

وقد تبين من التحريات التى قام بها البوليس ان ليون بلزر غادر نيويورك حيث كان منتحلا اسم فردريك البرت وحضر إلى أوروبا تحت اسم بليت ، ثم غير هذا الأسم — بعد شهر — إلى ماريو ، وهذا إلى فالجريف وأخيراً اختار لنفسه أن يكون هنرى فوجان واستعان بأحد الذين يصنعون المكياج للممثلين على المسرح فصنع له هيئة تخفى هيئته الأصلية حتى على أمه التى ولدته فلم يكن يعرفه بها إلا أخوه ارماند . ثم زار ليون — أو هنرى فوجان — امستردام وبريمن وهمبورج وقابل بعض مشاهير المحامين فى كل من هذه البلاد ودفع لهم اجوراً معقولة فى الاستشارات

التى حصل عليها منهم عن مشروعه الموهوم ــ انشاء شركة البواخر ــ وأقام فى الفنادق بهذا الاسم كذلك : وأخيراً ذهب الى بروكسل لاستشارة المسيو غليوم برناى لتقع الحادثة قضاء وقدراً !!

ولماسئل ليون بلزر عن مصدر كل تلك النقود وهو قد عاد من أمريكا لا يملك بضعة دو لارات ؟ أجاب أن صاحب مشروع البواخر هو شخص يدعى المستر مورى فسئل أين هو المستر مورى ؟ فأجاب إنه لا يعرف محل إقامته ولا عنوانه وأنه كان يقابله حيناً فى مقهى وتارة فى فندق ، يوماً فى باريس وآخر فى لندن ، وهنا يبدوالتلفيق للبوليس ويتأكد ان مصدر تلك النقود هو ارماند بلا شك ، وحينئذ يقول الدفاع عن أرماند إن هذا مجرد ظن ؛ فيجيب الاتهام : كلا ، ليس هذا مجرد ظن ، فان دفاتر أرماند كانت مضبوطة وكل صغيرة وكبيرة من نفقاته اليومية مقيدة بالتفصيل ، ولكن ... نعم ولكن هذه صعبة !! فأن ٢٥٫٠٠٠ فرنك كانت مخصومة على النفقات بغير بيان ولا أيضاح . وكل ما قاله محامى أرماند عن طريقة انفاق هذا المبلغ الباهظ هو أنه يحتمل أن أرماند صرف هذا المبلغ فى علاقات نسائية لا يمكنه البوح بها حرصاً على سمعته وسمعة من كان متصلا بهن » ولكن المدعى العمومى دحض هذا القول برد مفحم هو أنه « ان كان أرماند قد صرف هذا المبلغ حقيقة فى علاقات نسائية فأنه غير معقول أنه صرفه دفعة واحدة وفى يوم واحد !! وكذلك يوجد فى دفاتر أرماند بعض مبالغ صغيرة مثل ١٠٠ فرنك مكتوب أمامها (مصاريف سهرة أمس) وهذه المبالغ لو جمعت فى سنة لما بلغت ثلاثة آلاف فرنك !! فكيف يصدق أنه ينفق ثلاثة آلاف فرنك فى سنة بطولها و يأتى فى مرة واحدة ويدفع ٢٥ ألفاً ؟؟ أضف إلى هذا أنه كان فى أزمة مالية ، وهذا المبلغ الذى لم يعرف طريق انفاقه قد اقترضه من مصدر معروف

ثم قال المدعى العمومى :

« إن ٢٥ ألف فرنك ليست كثيرة على كل حال اذا نظرنا الى الدوافع التى أنفقت من أجلها فهى ليست كثيرة للتخلص من رجل كرهه أرماند كرهاً شديدا ، إذ هو فضلا عن كونه عقبة فى سبيل أرماند دون من أحبها بقلبه وروحه وعقله معاً ، فانه كذلك عقبة فى طريق مستقبله المادى حيث كانت مسز برناى ــ زوجة المحامى الصديق القتيل ــ غنية وتكفى ثروتها لأقالة آل بلزر من عثرتهم المالية »

«هكذا كان الحب والمطامع التي صاحبته سبباً في ارتكاب هذه الجريمة الشنيعة من رجال كان من حق العلم ووجاحة العقل عليهم ان يخدموا الأنسانية التي انجبتهم ، ولكنهم كانوا حرباً عليها بعلمهم وتثقيفهم »

« وإذا لم تكن كل هذه الأدلة كافية يا حضرات القضاة لاثبات سبق الأصرار فاني اقدم لكم دليلا آخر هو شراء ليون بلزر ثمانية مسدسات ليختار من بينهما أصلحها لتنفيذ الجريمة »

فلم تجد المحكمة بدا من أن أصدرت قراراً بالاجماع باعدام أرماند بلزر واخيه ليون!

« ا . م »

استدراك

حول نقد نشر فى العصور

استوقفنى اليوم من مجلتكم الغراء ما جاء بها فى صفحة ٤٨٩ اثناء الكلام عن كتاب « مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام » للاستاذ عبد الله عنان . خاصا بما نقله المؤلف عن المؤرخين العرب فيما يختص باموال الجزية التى كانت تؤخذ عن الرجال والشبان باعتبار دينارين عن كل رأس وما ذكروه من أنها بلغت ثمانية آلاف الف درهم

وقد أخذ حضرة الناقد المحترم على الاستاذ عنان انه نقل هذه الرواية عن العرب بدون تمحيص ، وانه لم يملك نفسه من الوقوع صريع اكاذيبهم . ولقد ساءنى والله ان يتعجل فى حكمه و يرمى الأولين والآخرين بالكذب وعدم التمحيص ، وما كان اغناه عن كل هذا لو تريث قليلا

يقول حضرة الناقد المحترم : هل يعقل ان مصر كانت تحوى فى زمن عمرو ٤٠٠٠٠٠٠ شابا ورجلا أو بمعنى آخر حوالى ١٦٠٠٠٠٠٠ نفسا فى عهد الفوضى والانحطاط الاجتماعى

حقا ان هذا لايعقل ولكن من ادعى ان مصر كانت تحوى مثل هذا العدد أو كيف استنتج هذا ؟ ان كل مايؤخذ من رواية العرب عن أموال الجزية التى قالوا انها بلغت اربعمائة الف دينار

ان عدد الدين وجب عليهم دفعها كانوا مائتى الف فقط فمن أين أتت هذه الملايين الكثيرة التى بني عليها الاستاذ الناقد حكمه على العرب بالكذب وعلى الاستاذ عنان بعدم التمحيص

على انى ان كنت قد استأت كثيرا من اتهام الابرياء بناء على العجلة وعدم الانتباه الى مميز العدد ان كان دينارا أو درهما فقد تألمت كثيرا لصدور مثل هذه الغلطة

من مجلة كالعصور لسنا نعرف الا انها مثال التمحيص والنقد القائم على التثبت وحرية الفكر ، وقد والله تملكتنى الغيرة على سمعة هذه المجلة الناهضة ان يعكرها معكر وهذا هو الذى دعانى لأن أكتب اليكم هذه الكلمة راجيا ذكر هذا التصحيح فى العدد القادم احقاقا للحق

محمد طه الحاجرى

العصور — اذا كان ناقد العصور قد بالغ فى تقدير الدراهم بدنانير فلم يسلم بأن مقدار مصر فى عصر الانحطاط الاجتماعى قد بلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر١٦ نسمة ، فكذلك يظهر ان حضرة المستدرك لم يفطن الى ان ٠٠٠ر٢٠٠ نسمة تستحق عليها الجزية ينزل تعداد مصر الى ٠٠٠ر٨٠٠ نفس . وكلا التقديرين مبالغ فيه . فاذا كان أولهما بالغاً حد الكثرة فالثانى بالغ حد القلة فهل لحضرته أن يهدينا الى الصواب ؟

ياللعلم وياللادراك؟

ألم تصلك أخبار الأفغان حاوية لمبتكرات علمائنا الأعلام نفعنا الله بجهلهم وأدخلنا الجنة لتقبيل أقدامهم؟ وكيف لانفعل وهذه هى الأقدام المقدسة التى ستحمل (فضائلهم) أمامنا إلى الجنة. سيدى القارىء سأرصد لك مطالب الثورة الدينية المقدسة فى افغانستان وسأقوم مقام دالوز وجرسون وجاروفوانييه يشرح هذا الدستور الكلى الاحترام

قامت ثورة (الاصلاح) الدينى باسم الشريفة وبكلمة الله كى تهدم معالم الكفر وتنسف (الاضمحلال) فقدم الثوار ثمانية عشر بندا يصح أن توضع مقام الوصايا العشر أو بنود الجنا شرتا [1] وسأحاول بمنه وإذنه تعالى إن أثبت (إجتهادى) وتفسيرى بعد بسط النص لكل مادة

المطالب الاصلاحية الراقية

(١) يؤلف الملك مجلساً أو برلماناً من خمسين عضواً يكون معظمهم من مشايخ الطرق (احم) الصوفية (احم مرتان) وطائفة العلماء الا خروا سجداً أيها القراء فقد ذكر رمز الصلاح والتقوى (وتكون بهذا المجلس) الموقر بالطبع (الكلمة العليا) جداً فى جميع الشئون (١) الاجتماعية (٢) والمدنية (٣) والسياسية (٤) والحربية

قال دالوز والله أعلم نقلا عن فلان عن علان المولود فى اصبهان من زمان أن لفظة برلمان لم تذكر فى النص بل دسها الجهلة الضالون لعنه الله عليهم فى الدارين فانها كلمة أعجمية لقنها إبليس اللعين (كفانا الله شره آمين) للكفرة فوصموا بها جهاد الأئمة الشريف الذى كتب على مآقى المهج بسطور من ذهب وقال بعضهم بل فيها قولان فبرلمان تحريف برم ألمان وبرم يبرم لبرم البلاد ومعناها ذهب يملأ جيب القفطان وأما «المان» فزيدت للاطلاق وفى محيط المحيط قول بأنها أضيفت لوزن الشعر

---

(١) المرسوم الذى بنى عليه الدستور الانجليزى

أما سبب تعيين رقم ٥٠ فلأنه يحوى على خمسة وخميسة فى عين الذى لايصلى على النبى (و حدوه) والعشرة الباقية هى عشرة لاأقل ولا أكثر ،فان فهمتها كان بها والا فأقسمها على اثنين تنتج خمسة أخرى هى رديف للخمسة الأولى يحتفظ بها كاحتياطي للجيش العامل وأما الاثنان فهما رمز لايعرف بواطنه الا الواقفين على الحقائق الراسخين فى العلم من مشايخ الطرق والعلماء الأعلام(راجع علم حساب الجمل ولك الأجر والصواب،والمقصود من لهم الكلمة العلياهو الكلمةالهابطة من العلا كهبوط إبليس . وأما الشئون الاجتماعية فعبارة عن الاستنجاء والغسل مع الوضوء والتيمم . ومعنى المدنية هو قصر الاكل على البلح المسوس وسف الشعير ولبس قميص وسخ على البدن . والسياسية هو عقدمعاهدة مع من مدهم بالسلاح لقبض براميل مملوءة نحاسا أصفر قال فيه الشاعر « لولا التقى لقلت جلت قدرته » . ومعنى الحربية هو حمل القوس والنشاب لسبي النساء والأولادوجعلهم مما ملكت أيمانهم وكفى الله المؤمنين القتال

بثبت الملك (« لاملك الا الله »)انه مؤمن صادق فتدروش ويلبس التقاوق وذلك بتنفيذ الأحكام الشرعية وباتباع جميع أوامر الدين والقيام بجميع التقاليد الاسلامية

ومعنى هذا صعب شرحه بالمقصود منه يحتاج الى نص أوفى فهل المقصود من الأحكام الشرعية مافى المادتين المقدستين الحادية عشر (فى عين العدو) والرابعة عشر وسنشرحهما بعد . أم فى المادتين ١٦ و ١٧ ؟ قال عباس عن الخناس بل المراد هو قطع الأيدى وربط الاطراف باربعة من الجياد ثم اطلاقها لتعدو فى طرق متعارضة وارجاع عهد الخازوق ، وانتهاك الاعراض باسم الجهاد لحماية الدين الى غير ذلك من رجم وتشويه مما تحيله الانسانية المتوحشة على هذه القلوب الرحيمة .

٣ ويجب فى جميع القضايا المدنية أوالجنائية أن يدافع محامون عن المدعين والمتهمين قال فوانيه ولم تذكر القضايا الشرعية لان محاميها هو القاضى صاحب الجيب الواسع من جهة ، وشبيهه من جهة الاخرى ، فما على الخصمين الا وضع مستنداتهما كل فى جهة لكى يتضح الحق بعد البحث عن أيها هو الاثقل . وأما تخصيص القضايا المدنية والجنائية هنا فلأجل ان يفسح المجال امام المتشرعين من رجال « برم المان » وهكذا النزاهة والا فلا ، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

٤ يأمر الملك برجوع جميع البنات الافانغيات اللواتى أرسلهن الى تركيا لتلقي الطب الحديث وعددهن خمسون بنتا

قال فلتؤوس وكيف لايحدث هذا وفى رجوعهن طبيبات ضرر على المتصوفة وعلى العلماء وهم أدرى من غيرهم بفن التوليد وباطلاق البخور لطرد الشياطين مع كتابة الاحجبة على الطريقة الامريكية لفك عــــثرة العاقر ! ياحمرة الخجل أين أنت ؟

٥ يلغى الملك أمره بمنع علماء مدرسة ديوبند (الهندية) من الدخول الى افغانستان ويكون لهم كامل الحرية فى المجيء الى هذه البلاد اذا شاؤا

والمعنى هنا فى بطن الشاعر فقد طرد الملك هذه البعوث لسبب ما فأصبح من الواجب السماح لهم بالرجوع ،ومن يدرى فقد يجوز ان هذا الشرط مذكور ضمن معاهدة تسليمهم السلاح ومدهم بالمال الخ الخ وفوق كل ذى (هند) عظيم

٦ تنفذ المواد الخاصة بالراشين والمرتشين بكل شدة

مفهوم بالطبع ان تقديم المستندات لاتدخل تحت هذه المادة المباركة

٧ يجب على النساء اللواتى يخرجن من بيوتهن أن يضعن على وجوههن نقابا كثيفاً وأن يراعين بكل دقة أو امر الحجاب

فاذا شكت امرأة رجلا بأنه زوجها يمكن اثبات ذلك بشهادة اثنين من العلماء أو من المتصوفة بعد اتخاذ الاجراءات الكاشفة والافكيف يحكم القاضى(صاحب الضمير الحى) عما اذا كانت الشاكية متزوجة أم لا

٨ يلغى الملك امره الذى يقضى على جميع العلماء والمشايخ بأن يأخذوا الرخصة الرسمية قبل أن يعلنوا عن انفسهم أنهم علماء أو مشايخ متصوفون

كذب القائل : (ولا كل من لبس العمامة عالم ولا كل من ركب الحصان خيال) فان مجرد الاتشاح بوشاح العلم يصير الحمار عالما

جهلت وما تدرى بانك جاهل فمن لى بمن يدريك أنك لاتدرى

وهذا انصاف من حماة العلم والدين لاخوانهم الجهلا. لأن من المؤكد أن(بخيت العن من بخيته)

٩ لاتكون الخدمة العسكرية بعد الآن اجبار يه وذلك حتى لايوجدجيش يتمكن من صد سيادتنا العلماء

١٠ تعاقب الحكومة اشد عقاب كل افغانى يشرب أى نوع كان من الخمر

قال جعلص أن الخمر الالهية التى كان يرتشفها ابن الفارض وعمر الخيام تدخل ضمن (أى نوع) وقال افلاطون أن البوظة لاتعد خمراً والله اعلم

١١ (افتحوا اعينكم جيداً) يسمح الملك للعلماء (العفو انتم اسيادنا ولكم الامر لاللملك) من جديد بأن يقفوا فى الطريق من يحبون ايقافه (حتى المدموازيلات) ليمتحنوا عقائده الدينية (ولهم فى ذلك طرق شتى) فان تبين لهم أن عقائده فاسدة (ومايدريكم) وجب على الحكومة أن تعاقبه عقاباً شديداً

وهذه المادة آية جديدة تنسخ «إنك لن تهدى من أحببت» ويظهر أنهم سيحتفظون لانفسهم بحق شق قلوب الناس للتحقق من وجود الايمان فيها (ياديوان تفتيش الأمور)

١٢ يلغي الملك عطلة يوم الخميس التى قررها أخيراً ويرجع الى عطلة يوم الجمعة القديم الدينية

وهذه العطلة الدينية هى المنصوص عنها فى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة فى يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع (اتركوا البيع) » . . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله . »

١٣ يصح للنساء ارتداء البرقع ويحظر ارتداء الملابس الافرنجية على النساء قاطبة ولا تستثنى من ذلك حتي الملكة نفسها

وليتيسر لحماة الدين التثبت من تنفيذ هذا الامر لهم أن يوقفوا فى الطريق كل من يحبون إيقافه ليمتحنوه (راجع المادة ١١) ولهم أن يهاجموا الخدور (ايوه أكثروا من هذه البدائع يا أولياء الله فلا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)

١٤ (بسم الله الرحمن الرحيم) ! اللهم أمددنا بعقل قليل من لدنك يخول الملك من جديد كامل الحرية لجميع أبناء الشعب أن يقصدوا المشايخ المقدسين (كده كده اللهم اجعلنا من بركاتهم) المعروفين ويقدموا لهم أمارات الاحترام الكبير كالانحناء لهم (يا كده) وتقبيل أقدامهم « الشريفة» وان كل كلمة « يتنازل » ويفوه بها أحد هؤلاء المشايخ المبجلين تعتبر كأنها أمر إلهى مقدس « سبحانكم آلهة آخر

الزمن عليكم لعنته أيها الوثنيون » فلا يجوز لأحد معارضتها أو الانتقاد عليها « وإلا يكفر » بل تكون كلمتهم نافذة فى جميع الأمور المدنية والعسكرية والدينية « وكان يجدر ذكر الاجتماعية والكيمية والطبية الخ الخ»

يظهر للجهلة أن هناك تناقضا بين هذه المادة والمادة الثامنة ولكن كل هذا تخريف، فكما سبق وقلنا أن لبس القاووق كاف لملء الدماغ علما حتى ولو كان دماغ حمار ،و إن يملأ الجسد قداسة ولو كان جسدا قذرا

١٥ يسمح من جديد لطلبة المدارس أن يتزوجوا وهم تلامذة بعد حتى ينهمكوا فى المذاكرة بعد الانتهاء من الدراسة .

١٦ تقفل جميع المعامل الصناعية حالاوتستبدل بخاتم سليمان فاذا احتاج الناس لسيارة مثلا مسحوا الفص فيقول لهم سا كنه « لبيك ما تريده يصل اليك »

١٧ تقفل جميع مدارس البنات حالا فكفاهن معرفة ما يعرفه العلماء الجهلة

١٨ يكون للناس كامل الحرية فى أن يرتدوا من الملابس مايشاءون الا الزى الذى يعوق أداء الفرائض الدينية بسهولة

وما قولكم دام فضلكم فى لبس الفساتين الديكولوتية العصرية فهى تسهل مهمة الطهارة والوضوء ؟ و هل البنطلون و الجكته مغضوب عليهما دون غيرهما (خليكم ذوق وأنصفوا لبس الانجليز)

تذييل صادف أهله

هنا يجدر بى أن أضيف زهرتين إلى هذه الباقة الجميلة واحدى هاتين الزهرتين نبتت بين جوانب الأزهر الشريف العامر

١٩ — عدم تطهير الأزهر من جراثيم الكولرا بعد فصل المصاب كى يستشهد العلماء فى سبيل الله، حدث هذا فى نظارة حماده باشا لأن هذا كفر و العياذ بالله ولا أريد أن اآتى بأمثال أخرى من أن مثل علم الجغرافيا كفر

و أما الزهرة الثانية فقد نبتت فى بلاد الفرس

٢٠ — تحريم مقاومة الاستعمار بالبنادق لأن السنة تواترت على أن النبي كان يحارب بالقوس والنشاب وما يخالف ذلك بدعة والبدعة تؤدى إلى النار

تذييل

والآن وقد عرف القارىء عظم المصاب الذى تحملته فى شرح وتفسير هذا الدستور المعقول جداً مع التذييلات التى اقتضاها الحال ، أجد نفسى فى حاجة إلى نظم شعر على نسق شكسبير

ايتها الجراثيم القتالة الفاتكة ،

و يا أيتها الأمراض المجتاحة الوافدة .

و يا أصناف الجليوتنيات . و يا كاسرات النظام الهائلة

الحقينا

هـذا مجال متسع للعمل فساعدى العلماء

على الذهاب سريعاً للجنة الفيحاء

بعد احتمال عذاب كما أتى الشهداء

ولك الاجر والثواب ! ! !

كتبه الهوتيفونى الظافر — الرافض تقبيل الارجل الشريفة

« حسين محمود » — عليه اللعنة الابدية

نحن وتركيا

نحن الآن ننظر الى تركيا الحديثة مختلف النظرات . فبعضنا يراها قد ضلت . وبعضنا يراها قد أحسنت كل الاحسان . وبعضنا له رأى وسط . وأحب الآن أن أن أحدثك عن تركيا الجديدة حديثاً معتدلا فيه متعة وفيه عبر . فان تركيا هذه لتشبه طيرا كان محبوسا فى قفص . مهيض الجناح محطما . طفق يرقب حتى اذا واتته فرصة انقض فيها على ساجنيه وفر يعلو سراعا ونحن نرقبه يعلو ويمعن فيأخذنا عليه أشفاق مخافة انتكاس وعثرة . ولكن الحق أن تركيا هذه قد أدهشت بقفزها هذا السريع فى سبيل المدنية الحقة والرقى القويم . ونحن وأن كنا نأخذ عليها بعض حدتها فى تنفيذ كل فكرة طارئة . نعجب بها حقا ونرى أنه يجب علينا لنتبوأ المركز اللائق بمجد أمتنا أن نحتذيها فى كثير ، ومن الغريب أن كثيرين من الناكرين لعظمة تركيا المدنية ينسون أو يتناسون أن قادتها الذين يقفزون بها الى أوج الحضارة الغربية هم الذين خلقوا مجدها هذا وبعثوها امة حية بعد أن كانت عظاما نخرة لا حياة فيها . بفضل أولئك الخلفاء (ظل الله على الارض . . .) على أنى لأشهد أن ما قام به (ويقوم) قادتها الآن من تجديد وبعث . لا يقل فخرا ومجدا عما قاموا به من قبل فى سبيل تحريرها سياسياً .

والذى يدلك على أن النهضة الحديثة فى تركيا تؤسس على أصول لا تتزعزع انها لا تعنى بالمظاهر فقط من صور الحضارة . بل ترى لها سجلا فاخرا من أعمال التجديد والعمران فى مرافق البلد الحيوية ومصالحها الضرورية . وإن الغيرة التى يبديها الغازى والمثل الاعلى والدأب الذى يدأبه ليدل على أنه صادق حقا فيما يعتزم من تحرير تركيا فى الافكار وفى كل شىء مثلما ماحررها هو ورجاله فى السياسة . وبهذا الاخلاص وحسن النية نعجب بالغازى كرجل تركيا الاوحد (رغم ما نأخذه عليه أحيانا) ،

وشىء من المقارنة بيننا وبين تركيا يظهرك على أنا مخلصون حقا حين نرجو أن

تحتذيها و تتبعها ، ويمكنك أن تقول عنا أننا محتلون لا بالأنجليز فقط : بل بتركية أيضا .. لعلك تعجب ... ؟فاستمع أذن ..

يمكنني أن أقول — و يمكنك أن تقول معي — أن تركيا الآن — أقصد تركيا القديمة — ليست فى هذا القطر الذى نعرفه بحدوده على الخارطه . بل هى فى مصر هذه .. تعال وانظر ألى ما تعلم من مظاهر هذه الحياة التركية القديمة وابحث عنها الآن فى (تركيا) فأنك لن تجدها . فقد اقتحمتها الحياة الجديدة و تركزت مكانها . ولكنك تجدها عندنا بكل مساوئها (ومساوىء غيرها من حضارات أخرى — أن كانت هذه حضارات) . أنك تجدها عندنا فى التكايا (أو التنبلخانة كما سماها جلالة ملك الأفغان أزال الله محنته) والفرق الصوفيه وأفواج الأغوات — على قلتهم الآن — وحجاب المرأة وتجد عندنا فضلا عن الملابس التركية كالطربوش الأفكار التركية . وتجد عندنا جلسات (الشيشة والشطرنج والطاولة) شهيدة على بقايا هذه الحياة المتأصلة فى مجتمعنا . ولعلك بعد أن رأيت ذلك الاستعراض لمناظر تركيا القديمة بتكاياها وخمولها واجد منها الكثير فى حياتنا المصرية ، وبعد ذلك نعيب أو يعيب بعضنا حركة التجديد و البعث التى يقوم بها أبطالها ، وأنا لنقول فى حرارة مرة . أن التجديد مهما اعتوره من كبوات بل ومحن . خير ألف مرة من هذا الخمود الذى نعيش فيه والذى يكاد يجعل منا (أمة أفيون) أخرى كالصين الضخمة الفارغة . ولكنا نحمد الله على هذه الحركات البطيئة عندنا . ونرجو لها كل الخير والنجح ،

أن الخطوات التى نخطوها الآن نحو عالم المدنية بطيئة جدا . لا تكاد تكفل لنا اللحاق بموكب الأمم السائر ألى الأمام بخطى الجبابرة . وأنا أذا أردنا أن نحيى مجد مصر العظيم . ونبوئها مكانها الذى يتفق مع مالها من ماض منقطع النظير ، يجب أن نسرع . ونسرع كثيرا فيما نراه مثمرا ومحققا لآمالنا فى هذه الحياة . ويجب أولا أن نكون جريئين أحرار الفكر . نعجب بل و نحتذى أمثال تركيا وننتفع بتجاريبها . بدل أن نتبرم بها و نسخط ،

أنا لنحييك تركيا الحديثة المجددة من كل قلوبنا المملوءة أملا وثقة فى المستقبل . ونرجو ونلح فى الرجاء . ذلك اليوم الذى نرى فيه مصرنا العزيزة تسير فى الطريق الذى تشرعين ، فالى الأمام بإقادة الشرق ؟

محمود على الشرقاوى

الطمأنينـــــة

لشاعر الوجدان الاستاذ المجدد الكبير « أبي شادى »

فؤادى بالمحبـــــةِ يَستقلُّ ... ويمنحها القلوب ، فلا تَقِلُّ
ومالى حظُّ إشعاعٍ ولكنْ ... لى الحظُّ الذى يَلقاه ظِل
وما فضْلى ورُوحي فضلُ ربٍّ ... أُنيرُ بنورهِ وبه أُجِلُّ ؟
فأنقل كالأثيرِ سَناهُ بَيْنَا ... كِيانى الظِّلُّ لا النُّورُ المُطِلُّ
على أنّ الظِّلالَ ذواتُ رُوحٍ ... سواءٌ تعتَلِي أو تضمَحِل
إذا هي بُدِّدَتْ كانَ اندماجاً ... تَبَدُّدُها بنورٍ يَستَقِلُّ
فَعُمْرى لا يُقاسُ بعمْرِ جسمى ... ونفسى لن تَذِلَّ ولو أُذَلُّ
وهذا الجسمُ ليس له فناءٌ ... فكيف الرُّوحُ وهو هو الأَجَلُّ ؟
وأُقسمُ إنّنى أَحيا كأنّى ... أعيش على الدّوامِ ولا أَضِلُّ !
ولى مُلْكُ الطبيعة ، وهى حَوْلى ... كأُمٍّ كم تُعِينُ وكم تَدُلُّ
تعاف لىَ الفَناءَ ، وكيف تَرْضَى ... فَنائى وهي لى أُمٌّ وخِلُّ ؟
وما فيها مماتٌ ، بل حَياةٌ ... لها فى كلِّ مَرْحَلَةٍ مَحَلُّ
أخاطبُها بأحساسى وأبىّ ... وَينقلُ عَطفَها أُلقٌ وطَلُّ
فأسْتَمْلِى المَحَبَّةَ مِنْ رِضاهَا ... وليس لمهجتى حقْدٌ وغِلُّ
وأنعَمُ بالحقيقـــةِ مطمئناً ... وهل غَيْرُ الحقيقةِ ما يُجِلُّ ؟
وكم من عائبٍ إيمانَ نفسى ... ونَفسى نَفسُه والجزءُ كلُّ !

سوى أنّى الطّليقُ بلا حدودٍ ومَنْ كان الطليقَ فلا يَملُّ
وغيرى ساخطٌ فى غُلٍّ نَفْسٍ ومِنْ تَمْييـدِها أبداً يزَلُّ!
وأضحكُ مِنْ غُيومِ الدّهرِ عِلْماً بما خَلْفَ الغُيومِ وأستقِلُّ!
فما مرّتْ برغم البؤسِ نفسي وماثل شُهْدَها صابٌ وخَلُّ
ووحّدت الوُجُودَ أمامَ ذِهْني وصاحبتُ الغِنَى وأنا المُقِلُّ
وما أشكو المَلاَلَ، فليت شِعْرى برغمِ مَحبّتى أأنا أُمِلُّ؟

أبو شادى

آخر مثال !

صــورة

من رأى الشمس وضحاها فى رمل الاسكندرية لم ير فى الطبيعة منظرا أمتع منه حياة تفيض مع الأشعة ونسيم فاتر كأنفاس العذارى . وروح يسرى إلى الاجسام فيزيد فى حنينها . وعطر وخضرة تغمر البيوت كما يغمر الامل اللين القلب الشاب

غير أن الطبيعة حين تضحك للناس لا يستمع لضحكها إلا القليل . ولعل أعظم الناس إدراكا للاشياء يدرك كل شيء إلا سر الاستمتاع بالطبيعة، وهو سر يحسه العامى أحيانا كما يحسه الشاعر . الشاعر الذى تنطلق عواطفه فى إعجاب وعبادة أمام كل متناسب وكل شاذ فى الطبيعة

كذلك كان « سرحان أفندى » الشاعر الشاب . قدم الاسكندرية بفطرة ريفية كالخام من المعادن لم تصقله حياة الحضر . وقد ظل فى غيوب عنها إلى سن العشرين انحدر من أقصى الصعيد إلى طرف وادى النيل على شاطىء البحر الأبيض . ليس له رأس مال غير طموح فطرى أيضا إلى تجديد خلقته الاصلية . أى أن يعود سيرة جديدة فى شخصه وخلقه وعاداته . وليس هناك طريقة يفلت بها الريفى من خشونة الفطرة سوى الطريقة التى يختارها لنفسه. وقد اختار سرحان أفندى نظم الشعر طريقة إلى تمدين ذاته . ولا بد من الاعتراف بأنه كان يضم إلى طبعه الريفى نفحة شعرية

غير أن نظم الشعر طريق لا توصل إلى تلوين الفطرة الريفية باللون الحضرى . وعلى الاخص فى حالة الطفرة . وكان ينبغى أن يتبع سرحان أفندى طريقة التدرج فى تهذيب طباعه . كأن ينتقل من أقصى الصعيد إلى طنطا فى البدء ثم إلى القاهرة فالأسكندرية، وهو مبدأ متبع فى التعليم فان الطالب لا ينتقل إلى القسم العالى إلا إذا مر فى امتحان القسم الثانوى .

* * *

فى ضحى يوم وضاح من شهر مايو احتفلت فيه الطبيعة وتانقت فى زينتها أى تأنق .

فلم تترك فى الاغصان ورقة جافة ولا فى الفروع زهرة غير نضرة . وانبسطت الخضرة على مدى النظر يحف بها النوار الابيض كما يحيط الزبد بامتداد الموجة الزرقاء .

انطلقت قدما « سرحان » أفندى إلى شاطىء الرمل لكى يستوحى الطبيعة والبحر والأشجار والسماء ، وما أكثر ما يغرب الالهام ويأفل الخيال وتفر عرائس البحر وتنقطع أوتار قيثار الشعر فى تلك الحالات . وهو ما اتفق بالفعل لسرحان أفندى . فقد اعتراه الذهول واستغرق فى هستيريا خيالية كالتى تعترى النائم الذى يصاب بالكابوس

وحانت منه التفاتة فأبصر رجلا نحاسى اللون فى جلباب أزرق ولبدة بيضاء قد تعمم عليها حافى القدمين . قعد على الشاطىء ينحت فى حجر رملى . ولما تأمل سرحان أفندى مليا فى صناعة الرجل لمح رأس مومياء قد برزت فى الحجر . فدفعه الفضول إلى الاقتراب من ذلك الذى ينحت الحجر على طريقة القدماء

وما كان أشد دهشته حين رأى فى الرجل صديقا من « بلده » قدم معه الاسكندرية فى قطار واحد ، ولغرض واحد أيضا : فليس من المعقول أن يكون سرحان أفندى قد وفد على الاسكندرية لمجرد نظم الشعر . فانه عمل لا يشبع من جوع

* * *

ودار الحديث بين سرحان أفندى وصاحبه . وأول ما لفت نظر هذا الاخير فى « ابن عمه » بذلته الافرنجية ، ثم اعتدال « لهجته » قليلا

وكان « أبو رحاب » صاحب سرحان أفندى قد قدم الاسكندرية لكى يتكسب من صناعة لا تفضل صناعة ابن عمه سرحان أفندى . هذا ينظم الشعر . والشعر بضاعة مزجاة فى سوق الاسكندرية . وذاك يصنع من الحجر الرملى أمثلة الموميات ثم يعرضها على السياح . لعله آخر مثال مصرى . هو خلف ذلك الذى نحت من الجرانيت طريق الكباش . وخلد صورة رمسيس فرعون مصر فى تمثال جليل لا يزال نموذج الفن المصرى القديم .

كان أبو رحاب ينهض من نومه مبكرا فيقتطع من « المكس » حجراً رملياً ويعود به إلى ساحل الرمل فينحت منه مثال مومياء قديمة . فلا تضرب الشمس حتى يكون

قد انتهى من نحت المومياء ووضعها فى « عبه » ويقف فى الشوارع الكبيرة مترقبا مرور السياح أو هواة « الانتيكات » من الافرنج . فلا يزال يعرض بضاعته على الهواة من الاوربيين وغيرهم حتى يحصل فى مقابلها على ثمن يرضيه .

وعلى أثر ذلك يعود الى كوخه الحقير حيث تجمعه و « الاخوان » حلقه تتنقل وسطها « الجوزة » بين الأيدى وتتصاعد الانفاس الى منتصف الليل

* * *

كان أبو رحاب قدانتهى من نحت المثال المصغر من المومياء القديمة عندما اقترب منه سرحان افندى . وكانت المقابلة الأولى بينهما فى الاسكندرية . فدعا ابو رحاب ابن عمه و بلدياته سرحان افندى الى عشاء يعده له فى كوخه . وأشار اليه من طرف خفي انه سيعقب العشاء نوع من « الكيف » ولم يشأ ان يوضحه .

ومثل سرحان افندى الذى يعيش بمخيلة شاعر ومزاج شاب ريفى يريد ان يتذوق كل شيء . قبل الدعوة . ولم يكن يستطيع ان يفعل غير ذلك .

واتفق فى ذلك اليوم ان صادف ابو رحاب سائحا امريكيا سهل عليه اقناعه بان المومياء قديمة ترجع الى عهد « منقرع » فاشتراها الامريكى بعشرة جنيهات .

عاد « أبو رحاب » الى كوخه فرحاً يحمل معه بدل « المومياء » ثلاث أوقيات من الحشيش الطيب

وبقي طول الطريق يحلم بضروب من التجميل يزين بها كوخه : حصيرة ملونة ولوحات مصورة من مثل « ابى زيد الهلالى » و « عنترة » و « الزير السالم » و «عزيزة» و يونس » و « لبلابه » تغطي بفروعها المشتبكة ألواح الصفيح التى بنى بها الكوخ وبعض (قصارى) الازهار .

والى ذلك « جوزة » جديدة « مدندشة » تليق بان تقدم لمن ينزل ضيفاً على « الاخوان » .

فكر ابو رحاب فى كل هذه الاشياء دون ان يخطر بباله انه محتاج الى ثوب جديد وانه معرض للعلل مادام بلا نعلية . وانه ــ وهو بلا زوج ولا ولد ــ يمثل العقم فى حياة كلها انتاج وفى وسط طبيعة كلها ازدهار .

وكانت ليلة مقمرة غمر فيها نور البدر كوخ المثال المصرى وكان فى فضاء من الارض المعشبة وهب الهواء البليل من الساحل يحمل أرج البساتين

وجلس الاخوان فى حلقة كملت بسرحان افندى وكان بعضهم من الفعلة والبعض الآخر من عمال الفحم وتوسطت الجماعة « دفاية » كبيرة مشعلة ولما ابتدأت «الجوزة» تنتقل من يد الى يد وتصاعدت الانفاس مقرونة احيانا بالسعال الحاد جعل سرحان افندى يحاول ان يدخل فى عقول الاخوان شذورا من فلسفة العشبة الالهية

وكانت أنفاس الحشيش قد خدرت ثورة أحلامه الهستيرية .

نظر سرحان افندى الى المثال المصرى الاخير زمانه قابضا بيده على الجوزة مصعداً نفساً طويلا وقال : كأنى بهذه « الجوزة » رمز كامل للاشتراكية .

فحدق فيه الاخوان فاغرين افواههم كمن لا يعقل شيئا مما يسمع . وقد تناسى سرحان افندي انه بين عاميين . افصاح فى العامية . فاستطرد كلامه « نعم . هى رمز كامل للاشتراكية . فانها تدور على الجميع بنصيب متساو تقريبا . « لا تحتكر لاحد من جماعة .

ثم هى تساوى بين الطبقات فى المزاج وفى الخلق والعادات . وما رأيت عظيما يدخن فيها لا يشبه فى مزاجه وفى خلقه بل فى صوته الحقير الذى أدمنها وادمن عليها . »

وقال سرحان افندى وكأنه فى غيبوبة عن حوله : « ما أظنكم قرأتم التاريخ حتى تعرفوا « شيخ الجبل » ؟ »

فاجاب احد عمال الفحم مدعياً « المعرفة : الفاتحة لروحه . والله ما زرته إلا عدت موفقاً فى امرى مقضياً حاجتى »

فضحك سرحان افندى وقال : « كلا . ليس « شيخ الجبل » من اولياء الله . لقد كان زعيم شيعة تحارب الملوك والامراء . وكان تدخين هذه العشبة او مضغها علامة مذهبه . اذن فاشتراكية « الجوزة » عريقة فى التاريخ »

وكان ضباب الدخان قد عقد سحابة كثيفة فى سماء الكوخ فازدادت ضآلة النور الذى كان يرسله مصباح صغير .

عبد الحميد سالم

قصة شمسون Samson

جبار بني اسرائيل

(١)

لابد أن تعثر فى كل عصر من العصور على قصة جبار قوى، وليس هركيولز « Hercules » إلا لمحة من أمثلة البطولة التى تعلق بأذهان جميع الشعوب . وشمشون أحد هذه الأمثلة . ويظهر أن المقدرة على اختراع الأساطير لا تتجه إلى هذه الناحية إلا لتمنح الانسان المثل الأعلى فى القوة الجسمانية التي نصبو إليها .

وحياة شمشون - كما رواها سفر القضاة - قصة بطولة تتمثل فى رجل هائل القوة ذى طبيعة خارقة ، وهي قطعة كاملة من الحياة اليهودية التاريخية ، حتى لقد حاول بعض الباحثين المعاصرين أن يوجدوا نسبا بينها وبين خرافة الشمس «The Solar Myth» التى تدور حول هركيولز Hercules وأعماله . ولكن قصة شمشون لا تدل على شيء من ذلك . على أن من يحاول إيجاد هذه الصلة يستدل على ذلك بأن لفظة شمشون تعنى الشمس الصغيرة وأن مدينة الدانيين « بيت شمس Beth-Shemesh » التى تعنى «مدينة الشمس » كانت بالقرب من ديار أبيه — ومهما يكن من شيء فالظاهر أن أسبابا واهية هى التي كونت من معنى القصة البسيطة فاجعة لبطل عبرى مشهور

(٢)

تمر السكة الحديد بين يافا والقدس فى وادخصيب يجد المسافر على المنحدرات الشمالية منه قريةصغيرة تسمى زورا Zorah وقد لصق بها هذا الاسم أيام كان يسكنها « منوح Manoah » والد شمشون قبل أن يحكم داود أورشليم بسنين عدة وكان اليهود إذ ذاك مضطهدين فى فلسطين والفلسطينيون وهم الشعب السائد فى الجزء الذى عاش فيه منوح وعشيرته الدانيون (The Tribe of Dan) يسومونهم سوء العذاب وهم صابرون وليس منهم من يثور فى وجه المتعسفين ! وبقى الفلسطينيون مسيطرين على اليهود أربعين سنة وبعدها تبدأ القصة .

تنشأ المنازعات العائلية بين الفلاح اليهودى (منوح) وبين زوجته فهما يأسفان جد الأسف لأنهما لم يرزقا بأولاد يقومون بفلاحة الأرض عند ماتدركهما الشيخوخة ولكن زوجة منوح تتلقى فى أحد الأيام نبأ من زائر يقول فيه « تحبلين وتلدين ابنا ، والآن فاحذرى ولاتشربى خمراً ولامسكراً ولاتأكلى شيئاً نجسا إنك تحبلين وتلدين ابناً ولا تعلو موسى رأسه لأن الصبى يكون نذيراً لله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين » — فهي تعيد هذا الحديث على زوجها وتصف له الشخص الغريب فتقول « جاء إلى رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهوب جداً ولم أسأله من أين هو ولاهو أخبرنى عن اسمه »

قد يجذب قارئ القصة ذلك السحر فى هذه البساطة فنحن نجد (منوح) — وقد سمع قصة زوجته يضرع إلى الله فى طلب الهداية « أسألك ياسيدى أن يأتى أيضاً الينا رجل الله الذى أرسلته فيعلمنا ماذا نعمل للصبى الذى يولد » وتجاب دعوته فبينما تعمل زوجة منوح فى الحقول وإذا بالغريب — ملاك الله — يهبط عليها وهى تسرع فتحضر زوجها فيسأل الملاك « ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته ؟ » فيتلقى الجواب « من كل ماقلت للمرأة فلتحتفظ » وتتكرر التعليمات السابقة . وتقع حادثة لطيفة تتجلى فيها أخلاق والد البطل وأمه إذ يستولى الرعب على (منوح) مما حدث فيقول « نموت موتاً لأننا قد رأينا الله » وتقول زوجته فى سذاجة « لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه »

يولد شمشون فأذا بتغيير فجائى يتناول شكل القصة وطبيعتها . وليس يعنينا سرد الحوادث الصوفية الغريبة ولكن نقتصر على ألعاب المصارعة العجيبة التى يأتيها الفلاح اليهودى الصغير شمشون وقد لاتتفق المخاطرات المدهشة للتي يقدم عليها هذا الشاب والأقوال التى كانت بين والديه والزائرين السماويين فلابدع إذن أن يعتبر الباحثون المعاصرون قصة ميلاد شمشون الغريبة إضافة متأخرة .

وكان شمشون الصغير بشعره المرسل المنثور وجسمه القوى سيدا فى منزل والديه . والاعتقاد السائد عند نساك ذلك العصر أن الشعر الطويل يكسب الانسان قداسة خاصة فليس بعجيب أن يكون شمشون فخوراً بشعره الطويل الذى يوافقه جدا الموافقة ويكسبه قوة التأثير ، ويذكر السير جيمس فريزر — « Sir games Frazer » فى كتابه

٭ كل العبارات المحاطة بهذه الأقواس منقولة حرفيا من سفر القضاة فى التورات .

الغصن الذهبي — The Golden Bough أن الناس كانوا يعتقدون ان الشعر المرسل يمد صاحبه بقوة سحرية — وهذا ما اعتقده اليهود فى ذلك العهد .

يخبر شمشون والديه بأنه قد أحب امرأة من بنات الفلسطينيين فى «تمنة Timnath» فيعارضانه : ألم يجد من توافقه من بنى جنسه ؟ وهل يجوز له أن يختلط بالوثنيين ؟ لكن شمشون يرد على ذلك لاأريد سواها لأنها حسنت فى عينى » — ولايجد والداه العزاء إلا فى قولها إنه من الرب . حيلة مدبرة ليزرعا الكراهية فى قلب شمشون للفلسطينيين .

يهجر شمشون ووالداه مزرعتهم ويذهبون إلى تمنة Timnath — وهى مدينة فلسطينية جميلة ليسكنوا بين الكروم والبساتين ويسمع شمشون زئير أسد فى الطريق فيتقدم ويشق الحيوان شقين بقوة خارقة مبعثها الفتوة والشباب.

ويمر المنظر الأول مع الفتاة الفلسطينية على أتم ما يكون من النجاح ويعود شمشون أخيراً ليتخذها زوجته فيمر على جثة الأسد الذى قتله ويجد لفرط دهشته كثيراً من النحل فى جوفه فيأكل العسل الذى يجده فى أجته !

تستمر حفلة الزواج سبعة أيام ويقوم ثلاثون شابا من الفلسطينيين بأحضار العروس إلى شمشون والمحتمل — كما هو الحال الآن فى حفلات الزواج بالشام — أنهم قاموا بتسديد كل النفقات عنه . وفى اليوم الأول والقوم فى سرورهم العظيم يضع شمشون لغزه للثلاثين شابا الفلسطينيين مقدما لهم ثلاثين قميصا وثلاثين حلة إذا قاموا بحله :— « من الآكل خرج أكل ومن الجانى خرجت حلاوة » وتمر أيام ثلاث دون أن يستطيع الشبان حل اللغز فهم يلجأون إلى العروس الصغير يهددونها بالحرق فى منزل والدها إذاهى لم تكشف سر زوجها . وهنا تبدأ أول مأساة فى حياة شمشون فقد كان مثل غيره من الأقوياء ضعيفا أمام المرأة ودموعها وهو يستعمل الشدة أولا ويأبى أن يجيبها ولكنه بعد بضعة أيام لم ينقطع فيها البكاء لا يستطيع أن يصبر فيسر إليها بالحل .

جاء آخر يوم وكاد ميعاد الحل ينتهى إذ أقبل الثلاثون فلسطينيا على شمشون وقالوا „ أى شىء أحلى من العسل وأى شىء أجفى من الأسد؟ „ وهذا الجزء من القصة سؤال يحتاج إلى جواب

(٤)

يظهر الغضب فى عيني شمشون ولـكـنه يضبط نفسه و يقول „ لو لم تحرثوا على عجلتى لمـا وجدتم أحجيتى » — و يذهب بعد ذلك إلى عسقلان(Ashkelon) البلدة الفلسطينية المجاورة فيقتل من أهلها ثلاثين رجـلا و يأخذ أسلابهم و يعطي الحلل للثلاثين الذين أجابوا على سؤاله . ومن هذه الحادثة يبغض شمشون الفلسطينيين و يشتد بغضه عند ما يريد صهره ان يعطى زوجته إلى واحـد من الثلاثين الذين حضروا الزواج فهو يبدأ الآن بتخريب أراضى الفلسطينيين بأن يطلق على محصولاتهم ثلثمائة ثعلب ذيولها مربوطة ببعضها والنار مشتعلة فيها ولـكن عشيرة شمشون تحت سيطرة الفلسطينيين فهى تصده عن أعماله كلما طلب الفلسطينيون منها ذلك ويجد فى لهجتهم بعض الضراعة عندما يأتون إليه قائلين „ أماعلمت أن الفلسطينيين متسلطون علينا فماذا فعلت بنا ؟ » فيقول شمشون „ كما فعلوا بى هكذا فعلت بهم . . . . . . احلفوا لى أنكم أنتم لاتقعون على » ويتفقون على هذا و يسلمون شمشون فيحل وثاقه و يذبح عددا عظيما من الحراس بفك حمار — ألفاً كما تقول — رواية التوراة — وعند ما يعطش تنفجر له عين ماء من فك الحمار .

وفى حادثة أخرى يكون حب شمشون وبالاعليه ! امرأة فلسطينية تجذب عقله فيذهب اليها فى بلدة « غزة » و يعلم أعداؤه أن اليهودى الخطر قد نزل بينهم فيضعون الحراس على باب المدينة و ينتظرون الفجر ويقرر رأى الفلسطينيين على الفتك به ليلا ولـكن شمشون الماكر ينسل تحت جنح الظلام و يقلع باب المدينة العظيم من أصله و يحمله أربعين ميلا ويضعه على رأس جبل بالقرب من « حبرون » Hapron لـكن الشقاء الذى ينتظر شمشون والذى هو سبب نكبته لم يكن إلا من ضعف طبيعى فى أخلاقه

(٦)

يقع شمشون فى شراك دليلة Delilah الجميلة الغادرة و يرشوها أقطاب الفلسطينيين بألف ومائة من القطع الفضية لتخبرهم عن السر فى قوته وتذهب مجهودات المرأة سدى ثم تمر الأيام فيخبرها شمشون بأنه إذا أوثق بأوتار طرية لم تجف فأنه لايقدر على الهروب وأن الحبال الجديدة تضعفه وأنه لوضفرت سبع خصلات من شعره مع

السدى لأصبح رجلا ضائعا . وهى فى كل مرة تقول « الفلسطينيون عليك ياشمشون» ولكنه يحل قيوده فى سهوله ويستعد للدفاع عن نفسه بقوته الهائلة . ولابأس من الاطلاع على النص الحرفى الذى يصف نكبته فى التوراة : —

« فقالت له كيف تقول أحبك وقلبك ليس معى ! هو ذا ثلاث مرات قد ختلتنى ولم تخبرنى بماذا قوتك العظيمة

ولما كانت تضايقه بكلامها كل يوم وألحت عليه ضاقت نفسه الى الموت فيكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى رأسى لأنى نزيل اللهمن بطن أمى فان حلقت تفارقنى وتى وأضعف وأصير كأحد الناس

ولما رأت دليلة أنه قد أخبرها بكل ما بقلبه أرسلت فدعت أقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لى كل قلبه فصعد اليها أقطاب الفلسطينيين وأصعدوا الفضة بيدهم

وأنامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل رأسه وابتدأت بأذلاله وفارقته قوته وقالت:الفلسطينيون عليك ياشمشون فانتبه من نومه وقال أخرج حسب كل مرة وأنتفض ولم يعلم أن الرب قد فارقه »

(٧)

أما وقد فارقه شعره المنذور فهو يقع فى يدالفلسطينيين ويعجز عن الدفاع ولكن خاتمته تكون مع ذلك مجيدة بالبطولة وإن لم تسلم من أثر الخيال اليونانى .يبتدىء شعر شمشون فى النمو ثانية وهو فى سجن الفلسطينيين أعمى وذليل ! يجتمع أقطاب الفلسطينيين ليقدموا ضحية عظيمة لداجون Dagan إلههم ويستدعون شمشون ليهزؤا به فيطلب من الغلام الذى يقوده أن يذهب به إلى الأعمدة التى يرتكز عليها البيت .

يأخذ أعداء شمشون فى معاكسته كحيوان فى قفص غير أنه يصلى لله طلبا للقوة عندما يلتف ذراعاه العظيمان على العمودين اللذين فى وسط البيت

« ياسيدى الرب اذكرنى وشددنى ياألله —— لتمت نفسى مع الفلسطينيين ! »

« وينحنى بقوة : فيسقط البيت على الأقطاب وعلى كل الشعب الذى فيه فكان الموتى الذين أماتهم فى موته أكثر من الذين أماتهم فى حياته » ولكنه أيضا قدفاضت نفسه بين الأنقاض !

بتصرف عن الانجليزية — عبد الحليم محمد حموده

لو

عن كبلنج

لو فقد الناس صوابهم ولم تفقده
بالرغم من أنهم يلقون كل تبعة عليك
لو وثقت بذاتك حين يشك فيها الكل
دون أن تدعى بأنك عن الخطأ منزه
لو انتظرت ولم يتعبك الانتظار
لو كذب الناس عليك ولم تنوح نحوهم
لو كرهوك ولم تعاملهم بالمثل
بشرط أن لاتبد كثير الطيبة كامل العقل
لو كنت تحلم ولا تستعبد نفسك للاحلام
وتفتكر دون أن تجعل الافتكار مرماك
لو واجهت رغد العيش كما تواجه الضيق
دون أن تهتم بأحدهما أكثر من الآخر
لو أمكنك تحمل عواقب ما تقوله من الحقائق
حين يستعملها الجاهل شبا كاللاغبياء
لو قدرت على رؤية ما تشيده ينهار
فتقوم كى تشيده ثانياً من جديد

لو جمعت كل ما تملكه معا
ووضعته عرضة للربح والخسارة
لو خسرت وكنت رابط الجأش
مستعداً للعمل بقلب كى تستعيض الخسارة

لو أجبرت قلبك وأعصابك وعواطفك

لاطاعتك بالرغم من أنهم خانوك

لو بت كما كنت فعدت

كل شيء سوى الارادة شغفاً بالاستمرار

لو احتفظت بفضائلك بين الجماهير

ولم تفقد شخصيتك فى حضرة الملوك

لو اعجزت الأصدقاء والأعداء عن أذاك

وساويت الناس ببعضهم دون تفضيل

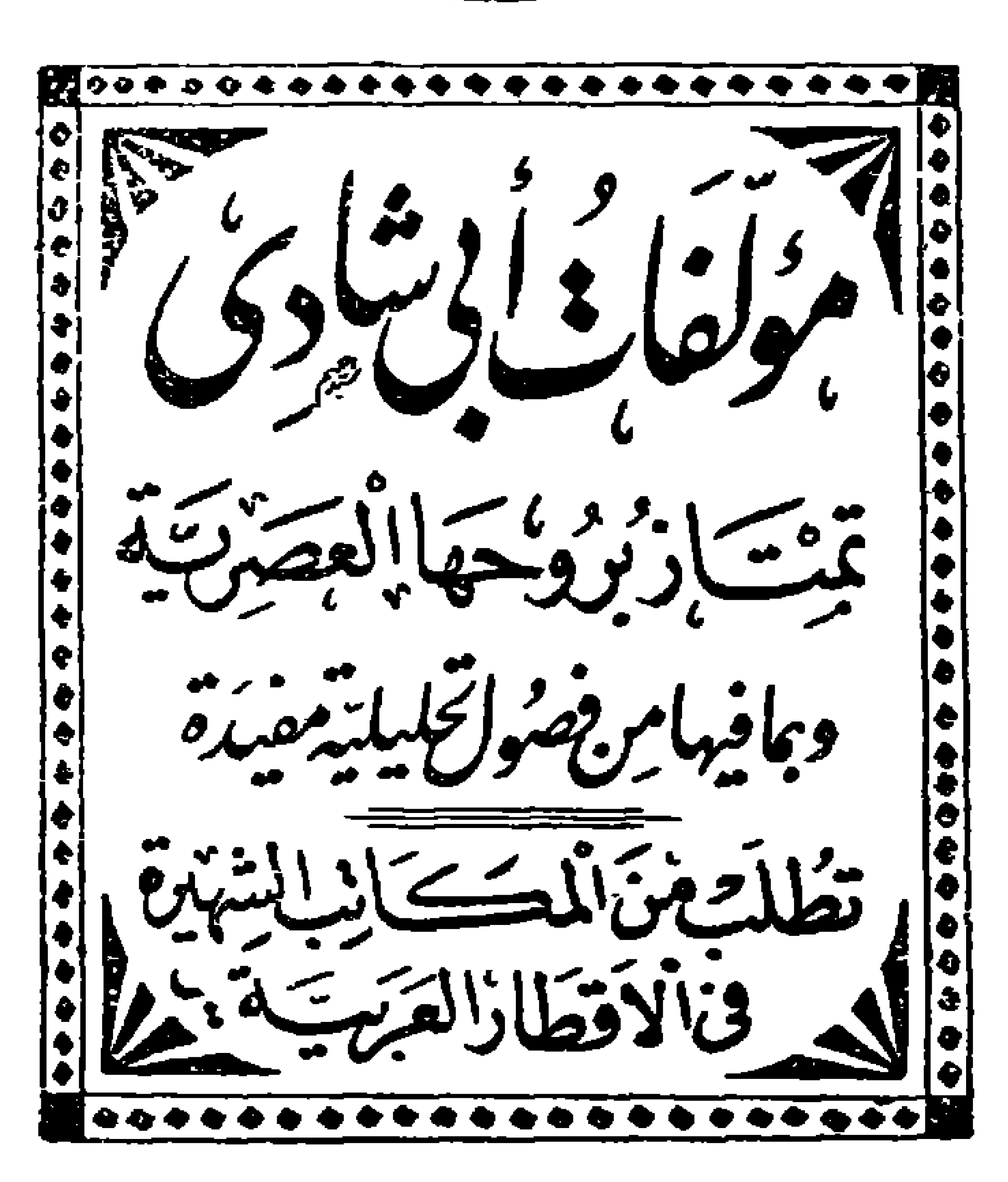
لو ملأت كل دقيقة لا ترد .

بستين عملا كلهم فى حاجة إلى جهد

تكون سيد العالم مالكا لكل مافيه

وفضلا عما سبق تكون رجلا يابني

« اديب »



النقد والتأليف

كتاب المساكين

تأليف مصطفى صادق الرافعي — صفحاته ٢٨٧ —
طبع بمطبعة العصور — ثمنه عشرة قروش مصرية

مما أحفظه من روائع الأديب الشهير سويفت (Swift) ما معناه أن الخيلاء أمارة الضعة قبل أن تكون شاهد الاعتزاز . وهي ملاحظة سديدة أتاحت لي ظروف الاجتماع أن أخبر صحتها تكراراً ، وآخر مرة لذلك عند اجتماعي بالاستاذ الشاعر مصطفى صادق الرافعي في مجلس أدب بدار « العصور » كان من بين أعضائه الأساتذة اسماعيل مظهر ، وعلى أدهم ، وشعبان زكي ، وعبدالحميد سالم ، وسواهم . وكانت قد عدت سنوات كثيرة لم أر فيها الاستاذ الرافعي الذي زادت شهرته ذيوعا . فما وجدت الرجل الا على ما كنت أعهد فيه من بساطة لايشوبها غير أنه يعيش في عالم من نفسه ، ولا أريد أن أقول لنفسه وحدها . فكان هو هو الرافعي الهادئ الوديع في محادثاته مع زملائه الأدباء ، حتى يشوقه التحدث عن خصومه ومخالفيه من الكتاب والنقاد فيجنح الى أسلوب التهكم في غير عنف ، وإن كان في غير تسامح . والرافعي أديب كبير الاعتداد بنفسه ، لايشعر بنقص فيها ، وهو فردي المذهب وإن كان صاحب (كتاب المساكين) ، ومن أجل ذلك أغنى نفسه وأغنانا عن تصنع العظمة ، وعن الخيلاء السقيمة التي تفشى مرضها بين أصنام الأدب . فجعلنا نغفر له من أجل هذه الحسنة الطيبة مآخذ فرديته التي لاتعرف التعاون الأدبي لغيرها وإن شاءته لنفسها !

وتفضل الأستاذ الرافعي فسألني أن أنقد (كتاب المساكين) وشفع ذلك بقوله إنه يعتقد في الصدق . فمن أجل هذه الثقة الغالية أكتب هذه السطور انصافاً للأدب العصري وتقديراً لمواهب الرافعي الذي ترجع صلاتي الأدبية به الى اكثر

من عشرين سنة لم يعهد فى خلالها تقلباً منى ولاخيانة لمبدأ صراحتى واخلاصى الأدبى. ولهذا لا أشك فى أنه سوف يتقبل نقدى الحر تقبلا حسناً .

***

(كتاب المساكين) تصنيف كبير حسن التنسيق والطبع ، وقد ظهرت طبعته الأولى من احدى عشرة سنة وأمامنا الآن طبعته الثانية ، وقد كتب المؤلف على جلدته : « أردت به بيان شئ من حكمة الله فى شئ من أغلاط الناس » .

قرأت تصديره البليغ الذى رفع به الى جلالة الملك فؤاد الأول ، فكان شعورى عند اتمام قراءته أن سيف الدولة لم يقبل رأس المتنبى لأحسن من هذا ! فهو تصدير مفعم بالفكر ، جميل البيان سامى العبارة ، بعيد عن التملق الذى ألفناه طويلا فى مخاطبة الملوك ، وهو خير مايمكن أن تنتجه لنا براعة الرافعى من انشاء بديع لشعور جليل وذكر سام .

ولكن المؤلف يذيع ذلك بكلمة من الأستاذ احمد زكى باشا الذى يقول : « لقد جعلت لنا شكسبير كما للانجليز شكسبير ، وهيجو كما للفرنسيين هيجو ، وغوته كما للألمان غوته » ، فيقضى ذلك على ارتياحنا واعجابنا ، لأننا نعيش فى زمن لا يرضينا منه الابهام ولا القاء الكلام جزافاً . ولو كان العلامة الباشا تفضل وأتحفنا بفصل تحليلى لأدب الرافعى — وإن جاء كله تقريظاً فى تقريظ — لحمدنا هذا الأثر ولانتفعنا بدراسته خير انتفاع .

أما وهو يكتفى بمثل هذه العبارة المطلقة التى لايعززها بدليل فما كان أغناه عن كتابتها ، وما كان أغنى الرافعى عن الاستشهاد بها .

وللمؤلف بعد ذلك وبعد كلمات مأثورة مقدمتان للطبعتين الأولى والثانية، ثم فصول تناول فيها غرض الكتاب ووصف « الشيخ على » الذى أجرى على لسانه ماشاء من أحاديث وعظات عن لؤم المال ووهم التعاسة والسعادة والبخل والغنى والفقر والحب والبغض والحظ والسلم والحرب والجمال والدين ، ونحو ذلك من مسائل الحياة والايمان وبرغم صفحاته العديدة ، وبرغم ما تناوله من مسائل شتى ، وبرغم تحبيذ دراسته فى معاهد الدرس فقد تجرد الكتاب من فهرس مطول يساعد القارئ كما يساعد الطالب على الأخص على تتبع آراء المؤلف ونظراته فى شتى الفصول، وهذا العيب كثير الملازمة

لمطبوعاتنا المصرية ؛ وما كان يضير الكتاب بل كان يزيده رونقاً لو أنه عنى بتضمينه عدداً مناسباً من التصاوير الفنية .

***

و يقال لنا إن «كتاب المساكين» يترجمه الآن أحد كبار العلماء المستشرقين للغة الفرنسية لأنه لم يجد فى البلاغة العربية مايساو يه ، ولما اطلع محرر جريدة (الطان) الشرقى بباريس على الطبعة الأولى منه قال : لو كان هذا الكتاب ظهر فى فرنسا لجمع منه مؤلفه عشرة ملايين فرنكا فى أسبوعين » فما هى إذن مزايا (كتاب المساكين) ؟

قصارى ماوصل اليه اجتهادى فى تقدير هذا التأليف — وأنا بين مقدرى الرافعى ومحبيه — ينحصر فى هذه النقط — وماهى بالقليلة —:

(١) الكتاب تأليف شعرى فلسفى فى كثير من جوانبه .

(٢) أسلوبه من أقوى الأساليب العربية الصحيحة ، ولعله أصدق مثال بيننا للأسلوب العربى الكلاسيكى القديم .

(٣) نجح المؤلف فى مواقف عدة فى التأثير على العاطفة — مابين استثار وتهدىء — بلغة المنطق والفكر والتأمل ، لابلغة الدموع والآهات المألوفة .

(٤) انتصر لمبدأ « الأخوة الانسانية » انتصاراً نبيلا حكيما ، وضرب ضربات موفقة فى الذود عن الاخلاق والايمان .

ولن يشق على الناقد المنصف أن يجد الأدلة الكافية على صحة ماذهبنااليه فى حكمنا هذا . فمن شعر الرافعي المنثور فى كتابه هذا قوله : « وأين كل ماصبته الشمس والكواكب من نيرانها ، وما أخرجته فصول الأرض من وشيها وألوانها ، وماهتفت به الطير من أغاريدها وألحانها ، وماتلاطمت به الدنيا من أمواج إنسانها ؟ أين ماصح وما فسد ، وماصدق أوكذب ، وماضر أونفع ، وما علا أو نزل ؟ فى كل لحظة تمتلىء هذه الدنيا لتفرغ ثم تفرغ لتمتلىء ، وماضيها ومستقبلها مطرقتان يمر بينهما كل موجود لتحطيمه » .

ومن تعابيره الفلسفية البديعة — وهي كذلك شعر صميم — قوله : « أيقيس الانسان نفسه على قياس من الطبيعة في قوتها المتراكبة ، ومظهرها المسخر لكل ما يتفق ، وتركيبها المبني على سهولة الاحتمال ، ونظامها الميسر لعدم المبالاة ؟ ألا ما أحمق الزهرة التي علمت أن الدوحة لا تقتلها الا العاصفة العاتية فقالت . الآن أهزأ بالنسيم ، ثم لمسها النسيم فرمى بها ورقة ورقة ! »

وفي كل هذا ترى قوة أسلوبه الذي يتأثر به في أمانة وافية أساليب القدامى من أعلام الانشاء والبيان .

ومن أساليب تأثيره على الشعور والعاطفة عن طريق التفكير قوله في السعادة: « واني لأرى في اللغة كلمات لم تقع على معانيها ولم تجتمع اللفظة منها بمدلولها ، فكلمة السعادة تبحث عن معناها في الناس وأهوائهم وشهواتهم، ومعنى السعادة يبحث الناس عنه في هذه الكلمة وحدودها وحقائقها ، وربما كان هذا المعنى بجملته ملقى تحت الشمس في زاوية من زوايا القرى . أو متفيئاً ظل شجرة من شجر الجميز . أو نائماً تحت سقف معروش من حطب القطن ، أو جالساً يضحك في ندوة الحي . أو قائماً يتأمل مجرى النهر . أو مضطجعاً يقلب وجهه في السماء . أو هو الذي يسمى الشيخ علي وماذا في السعادة أهنأ من أن توقى شر هذه السعادة فلا تتطلع نفسك اليها ولا ينالك إلا ما تحب أن ينالك ، فأنت بعد وادع قارّ آمن في سربك . معافى في بدنك . خارج من سلطان ما بينك وبين الناس من خلق مستبد . أو رغبة ظالمة . أو صلة عاتية . ولا حكم عليك إلا لمالك الملك . . »

ومن خير كتاباته تعزيزاً « للأخوة الانسانية » قوله : « وفتحت الصفحة الأولى من تاريخ الدم الانساني في الأرض فكان البغض أول سطورها . وجاء من بعده الفقر وخطت بعد ذلك سطور وسطور كلها يلتقي الى هذين المعنيين . يومئذ عرف هذا الفقر وأصبح يلتبس في كل انسان بمعنى يلائمه إذ لم تعد الحياة هي الحياة . بل الوسائل التي يدفع بها الموت ومنها الموت نفسه ، فصار البغض وسيلة ، والحسد وسيلة، والطمع وسيلة ، والقتل وسيلة ، وكل ذلك لأن الانسان فقير بمعنى من معاني الفقر . وما البغض الا فقر من المحبة ، ولا الحسد الا فقر من الثقة ، ولا الطمع الا فقر من العقل » .

وقال أيضاً : « فهذه آثار كرم النفس الطيبة لا تنشأ الا بين نوعين من الحب : حب الرجل الكريم للناس وحب الناس لهذا الرجل الكريم ، لا هو يمطلهم حقاً عليه ولا هم يظلمونه حقاً له ، ولعمري كيف يستطيع المطل أو يستطيعون والدين الذي وجب على

الفريقين هو دين القلب ؟ ولقد تكلمت السماء فى أزمان مختلفة وهبط الخطاب من عرش الله على لسان الأنبياء صلوات الله عليهم ، وما من نبي مرسل الاوأنت واجد فى كلامه وشريعته أن تحب للناس ما تحب لنفسك . فهذا الحب الانسانى محض من نصيحة السماء ، ولا بدع أن يكون فيه بعض الدواء لآلام الانسانية الضعيفة إن لم يكن هو الدواء كله . انظر بعيشك ما عسى أن تكون آلام الفقر الا صوراً من اضطراب النفوس إذ ينصرف بعضها عن بعض وذلك أيسر البغض ، أو ينازع بعضها بعضاً وذلك سبب البغض ، أو يكيد بعضها لبعض وذلك عين البغض ؟ »

ولا يسمح الفراغ بزيادة الاقتباس وان فت بنلك اجادته فى كلامه عن « الضمير الانسانى » وعن التعاون والايمان .

***

فى كل صفحة من صفحات الكتاب يتجلى ذكاء الرافعي وقوة تصويره وشاعريته المتخيلة وسواء حسبت دافع هذا التصنيف عاملا وجدانياً أو نوعاً من الرياضة الذهنية أو نظرة حكيمة الى تفاعل الحياة ، فما لا شك فيه أنه تصنيف ممتاز جدير بالمطالعة والادخار . وقد يستطيع أديب عالم أن يخرج لنا نوعاً آخر من التأليف فى الموضوع ذاته باسلوب أسلس وبحجج أموى مستمدة من العلم ومن الدراسات الاجتماعية وقد تعجب به أيضاً دون أن يكون ذلك حجة على الرافعي فى نهجه ومراميه

وقد نشأ الرافعي — صديق الأديب المجدد فرح أنطون — أديباً مجدداً مثله ، ثم تغلب عليه شيطانه المحافظ ، كما تغلب من قبل على شيوخ أدبائنا فنزع الى القديم وتعلق به ، وزاده إصراراً على استمساكه عناد المجادلات الأدبية التى غشت بيننا فى العهد الأخير فكانت منشأ عصبيات ن نحن فى غنى عنها بدل أن تكون منشأ تحقيق وتمحيص ، واذا أردت أن تتذوق أسلوب الرافعي الصافى الجميل فراجع ما كتبه فى المقتطف عن شعر البارودى أو عن الشعر العربى فى خمسين سنة ، وحينئذ تجده الكاتب المبدع السلس البيان ، البليغ الأداء البعيد عن التصنع ، العصرى الروح . بيد أن تطبع الاستاذ الرافعي بالنمط العربى القديم — كما هو شأن الاستاذ صادق عنبر — قد أصبح أو كاد طبعاً عنده ، ولا يكون أراانا الخاسرين أديباً بذلك ، فليس للجمال الفنى حصر أو حد ونحن لن نستغنى عن القديم كلية — وإن احتجنا الى الجديد — لأن روح الجديد هو روح

التطور الحيوى بلا نزاع ، وما كان التقليد من سنن الحياة فى شئ ماوإن كان القديم من أسسها . هذا مانقوله فى تسامح وانصاف فى حين أن الاستاذ الرافعي جعل شغله الشاغل أن يهزأ بالجديد والتجديد ، حتى كأنما يريد أن يسخر ذكاءه ليجعل المعجبين به يتصوون فى التجديد رذيلة ، حينما هو قانون الطبيعة الحى، وحينما لا يستلزم التجديد أن يكون تجربداً .

أما ما آخذنا الاخرى على الاستاذ الرافعى فمنها :

(١) افتنانه كافتنان الاستاذ صادق عنبر بالتكرار و المقابلة ، مثال ذلك قوله (ص ٦): „ ولن يبرح الناس على ذلك بعضهم من بعض كالهارب منه وهو مضطر اليه ، أو كالمضطر اليه وهو هارب منه ،، ، وهذا إسراف لفظى لاجدوى منه ، والعجيب من الاستاذ الرافعي — بعد ذلك — أنه ينتقد أسلوب الدكتور طه حسين الكلامى .

(٢) احترامه للذوق القديم فى التعبير بغير مبالاة بروح العصر . مثال ذلك (ص ١٣): „ هذا كتاب حاولت أن أكسوا الفقر من صفحاته مرقعة جديدة . ،، فكلمة مرقعة ،، (وزان مسخرة ،،) مماينبو عنها ذوقنا العصرى فى هذا الاستعمال .

ومن هذا القبيل قوله أيضاً (ص١٢ — ١٣)—: قامت أمه عن نجم منطفىء لاتعرفه الأرض وقدزهدت فيه السماء ، فكان رضيعاً ثم فطيما ثم جحش ثم ترعرع، الخ . فليست كلمة « جحش » وإن صفق لها القدامى بما يرحب به ذوقنا العصرى ولا بما يرضى عنها أمثالى من السخفاء المجددين المتهمين بالاساءة الى اللغة والأدب

(٣) استعماله كلمات ثقيلة غريبة لمجرد أنها لغوية مثل كلمة « حسيكة » (ص ٤٤) بمعنى العداوة والغيظ ، وبمثل قوله « تنتآرمأتك » (ص٤٢) و لاأريد أن أذكر شرحها ، و « يترمرم » (ص ٤٨) بمعنى حرك فاه .

(٤) مبالغته فى المجاز والاستعارة بحيث يشط أحياناً شططاً لايستساغ ،مثال ذلك قوله « الصندوق الالهى » كناية عن البطن (ص ٤٣) .

(٥) ضعف أسلوب الحوار فى كتابه كله حتى أننا لاندرى لماذا مهد لنا بخلق شخصية « الشيخ على » حينما لانحس أنه يتكلم ، بل نجد المؤلف يتجلى مسهباً

مكرراً فى وعظه وتحليله . وكان الأولى بالاستاذ الرافعى إماأن يفى اسلوب الحوار أو الاسلوب القصصى حقه ، وإماأن يتخلى عنه كلية .

(٦) إبهامه فى مواضع غير قليلة . مثال ذلك قوله (ص ٦١) — : فلو أنهم أخذوا هدوء القبر لدنياهم . وسلامه لنزاعهم . وسكونه لتعبهم ، لسخروا الموت فيما سخروه من نواميس الكون »

ولعل الابهام ناشئ عن قصورى الذهنى فلا تثريب عليه .

وبعد هذا أقول للاستاذ الرافعى أبدعت وأحسنت !

أحمد زكى أبو شادى

الشعر النسائى العصرى

وشهيرات نجومه

تناولنا « على السفود » فى العدد الماضى من (العصور) وفى هذا العدد نموذجين من نظم أحد المتشاعرين الجامدين الذين يملؤون الدنيا صياحاً بتشدقهم عن حماية اللغة والشعر حينما هم شر الجناة عليها بعقولهم المتحجرة وطباعهم المريضة ، وبنزعتهم التقليدية العمياء لكل ماهو قديم . . . . وما كان يدور بخلدنا أننا سوف نجد عاجلا أمامنا فى كتاب عن الشعر النسائى العصرى مافيه الغنية لاخجال أولئك الأدعياء لو أنهم يخجلون !!

أصدرت هذا التأليف القيم (مكتبة الوفد) بالقاهرة لتنتفع به مدارس البنات الابتدائية ، ضمنته سير نخبة من شهيرات شواعرنا : هن وردة اليازجى ، وعائشة عصمت تيمور ، وأمينة نجيب ، وملك حفنى ناصف ، مع مختارات وافية من أحاسن شعرهن . والحق يقال إن هذا التأليف سد فراغا كان معيباً بين التصانيف

الدراسية لمدارس البنات ولا نقول للابتدائيه منها وحدها ، لأن الواقع هو ان هـذا الـكـتاب الصغير كبير الفائدة لمدارس البنات على الاطلاق ، وما نشك فى أنه يصلح أيضاً للتدريس فى غير مصر من الأقطار العربية الناهضة .

وقد تحرت (مكتبة الوفد) أن تجمع مواد الـكـتاب أو تلخصها من أوثق المصادر ما بين مجلات ودواوين وكـتب ، وعنيت بطبع الـكـتاب أنخر طبع ليكون جديراً بالثقة والحفاوة به ، ولم تفتها العناية بتشكيل النظم تسهيلا لقراءته على الطالبات كل هذا جهد صالح تشكر عليه . بيد أننا كـنا نود لو أن الـكـتاب لم يقتصر على من مضين من شواعرنا — وإن كن فى الذروة من الشهرة الأدبية — بل يتناول الى جانبهن بعض المعاصرات لجيلنا كـنبوية موسى ورباب الـكاظمى ومارى عجمى وغيرهن ، ولـكـننا لانلوم (مكتبة الوفد) على ذلك ، بل نلوم الشاعرات المعاصرات اللواتى لاينشرن دواوينهن ولا يسمحن باذاعة سيرهن الأدبية . وبذلك يضعن العقبات فى سبيل الناشرين . الذين يرتاحون الى خدمة النهضة النسائية من الوجهة الأدبية ولا يجدون المساعدة الـكافية لتحقيق ذلك . وهن بذلك التوارى يسئن أيضاً اساءة بليغة الى كرامة بنات جنسهن فى الوقت الذى تتطلع الفتاة المصرية ـ على الأخص ـ الى مساواة أخيها الفتى فى معظم شؤون الحياة الفـكرية والاقتصادية والاجتماعية .

و (العصور) التى رحبت من قبل بشعر الآنسة مارى عجمى ترحب بالشعر النسائى العصرى سواء أكان من مصر أم من غيرها من الأقطار العربية ، وإن رحبت بصفة خاصة بالشعر المصرى لفتياتنا ، لأنها — وهى المجلة المصرية الشهرية الوحيدة التى تخدم « المدرسة المصرية » فى العلم والأدب والثقافة عامة — لايرضيها أن تقوم النهضة المصرية على جانب واحد فقط حينما يبقى الآخر أشل .

ولا يسعنا الا تـكرار الترحيب بهذا الـكـتاب المدرسى النافع ، راجين له الذيوع الـكبير فى الأقطار العربية . ونوجه اليه بصفة خاصة عناية الجمعيات النسائية ومدارس البنات فى مصر وسورية والعراق ، وفى غيرها من الأقطار العربية التى تحفل بتعليم البنات تعليما عصريا أو تريد أن تنهج هذا النهج .

الوقاية افضل من المعالجة

تأليف الدكتور شخاشيري ـ صفحاته ٤١٠ ـ طبع بمطبعة ودبع أبو فاضل ـ الثمن ٨ قروش مصرية

الدكتور شخاشيري الطبيب والجراح في المستشفى الانكليزي بمصر القديمة أديب ومؤلف نشيط الى جانب نبوغه في منهة الطب . وقد عرف أيضاً باهتمامه بالشؤون الاجتماعية و بالمسائل الصحية العامة و بالمشروعات الانسانية .ولذلك ترى اسمه مرددا في دوائر شتى علمية وأدبية كما أنه رسول الاحسان والاصلاح في جمعيات كثيرة. ونحن اذا نظرنا الى تأليفه الجديد (أو بالاحرى الى الجزء الأول منه) الذي سماه « الوقاية أفضل من المعالجة » وأهداه الى الجمهور ، تمثلنا صفاته هذه الطيبة ودوافع نفسه الغيورة السخية بادية في صفحات كتابه الكبير الذي يرمى به الى انقاذ الناس من خطر الأمراض المهددة إياهم وهم غافلون عنها بجهلهم أو بتهاونهم .

ومن حيث أن الدكتور شخاشيري لا يقصد بكتابه أن يكون تأليفاً مدرسياً منسقاً فلا اعتراض لنا على ترسله في الكتابة . بل لعل هذا من مميزات كتابه السهل الذي كأنما هو حديث حر بين مؤلفه و بينك . فنرحب بجهود المؤلف الفاضل لتنوير أذهان الناس وصيانة صحتهم ، ونتمنى لتصانيفه المفيدة الاقبال الوافر عليها

***

مدفع لويس

نهضة التأليف في الفن الحربي

بعد ان مضى على مصر مئات من السنين والزمان يناوبها الانتصار حيناً والذل والانكسار حيناً آخر ، فكان في الطور الأول يزورها بعظام القواد والفاتحين، وفي الطور الثاني يسلبها ما يكون قد أعطى ، ويسترد مايكون قد وهب ، وهي في كل من طوريها وعلى مرما خلى من سني العظمة ودهور الذلة ، لاينصرف فيها ضابط عظيم ولاقائد كبير ، بل ولا رجل اتخذ الفن العسكري في الحياة مهنة الى وضع مؤلف في الفن العسكري أو في مذهب من مذاهبه أوناحية من نواحيه . بعد هذا كله وفي فاتحة هذا العصر الذهبي ، نرى أن فكرة ضباطنا قد اتجهت الى التأليف في الفن العسكري وإلى درس المذاهب العسكرية التي ابتكرها كبار كتاب الغرب من أهل الجندية.

ولقد عنى كثير من الضباط وعلى الأخص تلك الفئة الناشطة التى اختيرت لأن تكون على قيادة حرس صاحب الجلالة الملك المعظم ، قائد قوات مصر البحرية والبرية، فأكب الكثير من ضباطها على درس المؤلفات الأوربية التى وضعت فى الفن العسكرى خاصة ، والمؤلفات التى كتبها اصحابها فى تاريخ المواقع الحربية ووصف أعظم الانتصارات وما صرف فيها القواد من فن أو بذلوا من جهد أو ابتكروا من أساليب فتكونت فى الجيش المصرى نواة يصح أن يقال فيها إنها الركيزة التى سوف يقدم عليها العلم الحربى فى هذه البلاد من ناحية التأليف ووضع القواعد وتقرير الثابت من اختبارات عظام القواد ، وهى مسائل لايمكن أن ينتفع بها الا من خلص من الدرس المدرسى الى الدرس العملى ، وانتهى من النظريات والعلم المكتوب ليستفيد من الادوار العملية التى يختبرها بنفسه أو الادوار التى اختبرها غيره من القواد الذين مرت بهم فى مواقعهم المعروفة أدوار قلما يتسنى لأحد أن يختبرها فيكب على درسها نظرياً حتى اذا سنحت الفرصة طبقها عملياً ، فيكون فى تكرار مافعل كبار القواد سبيلا للنصر وطريقا للفخار .

ولاشبهة مطلقاً فى أن هذه النهضة المباركة بداية عصر جديد نعرف فيه للتاليف ماعرف الغرب من فوائده . ولاريبة بجانب هذا أيضاً أن العدة التى تعتدها الشعوب للدفاع عن ذاتها أو لخلاص من فوضى انما ترجع فى كل نواحيها الى ارتقاء الفنون بجملتها وعلى رأسها الفن الحربى . فان قائداً ماهراً يستطيع أن يكسب معركة أو ينتصر على فوضى بأن يضحى اقل عدد ممكن الجانبين . وهذا فى الواقع فضل الفن على الجهل والفارق الذى يمكن أن نصوره لرجلين أحدهما لايعرف من الحرب إلا أنها الفتك والقتل واهلاك الحرث والنسل ، ويعرف ثانيهما أن الحرب إن كانت ظاهرة لابد منها للجماعات الأنسانية وأن لها الفضل الأعظم فى تكوين الأمم والشعوب على مر ما خلى من العصور ، فانها فوق ذلك فن من الفنون الجميلة ، وأنها ليست بالذريعة التى يتجرد أهلها من الأنسانية ومن كل العواطف التى يفضل بها الانسان غيره من الحيوانات. فان الحرب فى يد الفنانين من أهل الجندية ان كانت قتلت فقد احيت وان كانت دمرت فقد شيدت ، وأن كانت فرقت فقد جمعت . ولكنها فى يد الجهلة والسفاكين من أمثال هولاكو وقمبيز وغيرهم من هم على مثالهم لم تكن إلا دماراً وفتكاذريعاً. وما

السبب فى ذلك الا أنهم قد فقدوا المران الفنى والفكرة الفنية فى الحرب بهذا وجب علينا ان نرحب بالنهضة الجديدة فى جنديتنا وأن نعتبر هذه النهضة فاتحة عصر جديد سوف يجلو ظلام الماضى فتسير نواحى الرقى متوازنة الخطى متكافئة النواحى فاذا ارتقى العلم كان رقيه جملة ، واذا تطور الفن كان تطوره عاماً يتناول كل النواحى ، وبذلك تثبت درجات النشوء الاجتماعى ولا نصاب بما أصيب به غيرنا من نقص فى الوسائل واحتياج لأطفرة لا يؤمن جانبها .

ومن اكبر الادلة على هذه النهضة ذلك المؤلف الفذ الذى جمع على صغر حجمه كثيراً من بينات الفن الحربى فى آلة من أهم آلاته وعدة من اكبر معداته وهى مدفع لويس الحديث واستعماله فى الحرب الأرضية والجوية . ولقد عنى بوضع هذا الكتاب ضابط من ضباط حرس جلالة الملك لا يزال فى سن الشباب ولكنه بلغ بتجربته وطول باعه فى العلم الحربى مبلغ الكهول . فان احمد شوقى عبدالرحمن لم يترك فى ذلك الكتاب شاردة ولا واردة الا جمعها وناقشها وشرحها او فى شرح وزين كتابه بالرسوم البيانية الجميلة ، وقدمه الى المرجع الذى هو سر عظمة مصر وباعث نهضتها الحديثة جلالة الملك فؤاد الأول القائد الاكبر لقوات مصر براً وبحراً .

فاذا فخرنا فى نهضتنا الحديثة بشىء فان نهضة ضباطنا من أجدر الاشياء بالتشجيع وأخلقها بالذكر مجلوة فى أحسن حلة من الاكبار والاحترام .

فجر الاسلام

كتاب فى ثلاثة أجزاء يبحث عن الحالة العقلية والسياسية والأدبية فى صدر الاسلام الى آخر الدولة الأموية اشترك فى تأليفه الاساتذة طه حسين واحمد أمين وعبد الحميد العبادى ، واختص كل منهم بكتابة جزء فى ناحية من هذه النواحى الثلاث . نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول منه فى « الحياة العقلية » تأليف الاستاذ احمد أمين . وهذا الجزء مجلد ضخم يقع فى ٣٥٦ صفحة مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل وثمنه عشرون قرشا صاغاً .

والكتاب مبوب أحسن تبويب. فقد بدأ الكلام في العرب في الجاهلية وتناول في هذا الفصل مع ما تناول من الابحاث علاقة العرب بما جاورهم من الامم، على الاخص علاقاتهم التجارية. وفي الباب الثاني تكلم في الاسلام واجادكل أجادة في وصف طور الانتقال من الجاهلية إلى الاسلام. واختص الباب الثالث بالفرس واثرهم وحبذا لو أن الاستاذ المؤلف كان قد عني بما منيت به العربية من فساد على أيديهم بقدر ما نالت من فوائد. فان أثر الفرس في التأليف العلمي انه كان مفيداً فان أثرهم في إفساد اللغة كان بالغاً. وتناول الباب الرابع الكلام في التأثير اليوناني ثم الروماني. ودار البحث في الباب الخامس في الحركة العلمية في القرن الاول الهجري وتطرق من ذلك الى الكلام في المذاهب الدينية ثم التشريع في الجاهلية الى الاسلام فكان ذلك ختام الباب السادس. أما الفصل السابع ففي الفرقة الدينية وأساس البحث فيه ان الخلافة أساس كثير من الفرق.

وقد صدر الكتاب بمقدمة من قلم الدكتور طه حسين ما قرأت له شيئاً أبين منها قصداً ولا احوط فكراً. والكتاب في الواقع نموذج جديد من البحث الادبي القائم على أساس الاسلوب العلمي. وإذن ففائدة الكتاب مزدوجة. فهو من حيث الموضوع بحث طريف ومن حيث الاسلوب درس مفيد

رسائل اخوان الصفاء

و خلان الوفاء

أربعة مجلدات ضخمة يقع الواحد منها في زهاء ٤٠٠ صفحة مطبوعة على ورق جيد صقيل ومصورة بمقدمة من قلم الاستاذ طه حسين أستاذ الآداب بالجامعة المصرية وقد عني بطبعها ونشرها مصطفى أفندي محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر وعني بتصحيحها خير الدين أفندي الزركلي

ولا يشك أحد من المشتغلين بالآداب القديمة اليوم أن هذا العمل العظيم خدمة أدبية مقطوعة النظير، بل عمل لاباعث عليه الا همة لاتعرف الكلال. فان المكتبة التجارية بهمة صاحبها قد قامت في إحياء الآداب العربية بقسط وافر من العمل

المنتج المفيد الذى قعدت عنه همة كثير من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة فى الشرق كله . إذن فلنا العذر فى أن نبدأ بالثناء على المكتبة التجارية و صاحبها قبل أن نمضى فى صف الكتاب.

وكتاب إخوان الصفاء كتاب معروف مشهور أمره بين كل الادباء ، بل كان له أثره الخالد الباقى فى كل عصور الأدب العربى .وهو بحق أول محاولة أقدم مؤلفو العرب فيها على أن يدمجوا العلوم فى الآداب.فعصر جماعة إخوان الصفا فى المدنية العربية أشبه العصور عندى بعصر الانسيكلوبيديين فى فرنسا خلال القرن السابع عشر وعلى رأسهم فولتير فانك إذا قرأت فولتير وقعت فيه على أخص نظريات لا بلاس ونيوتن مندمجة فى أقاصيصه واهازيجه العجيبة و نكاته الأدبية العريقة فى التعبير عن أخص الحالات التى قامت فى عصره . وكذلك تجد الأمر إذا تصفحت أية رسالة من رسائل إخوان الصفاء فانك تقع فيها على صورة صحيحة من آداب العرب وقد تداجت فيها كل ثمار الفكر اليونانى كما نقلت عن السريانية إلى العالم العربى فى عصر العباسيين والأمويين من قبلهم

فاذا أردت أن تقف على صورة صحيحة من الأدب العلمى عند العرب .فاقرأ هذه الرسائل الآن فهى فى متناول يدك بثمن بخس دراهم معدودة بفضل الهمة التي تبذلها المكتبة التجارية الكبرى

رابندارات تاجور

Rabindranath Tagore

فيلسوف الهند الفذ ، وشاعر البرهمية الكبير (١)

بقلم الأديب المجدد الأستاذ على محمد البحراوى

(١)

يعانى القارىء المصرى فى دراسة تاجور صعوبات شتى ، فليس فى مصر رابطة أدبية قوية تعنى بتتبع الحركات الأدبية العالمية حتى ولا مكتبات منظمة تغذو قارئها بما ينتجه الأدب الغربى الحديث من مختلف المباحث فى شتى نواحيه وفنونه ، فلا يكاد المرء يظفر بكتبه المنشودة هنا دون عناء كبير .

وما بين يدينا الآن من آثار تاجور بالعربية لايشبع نهم قارئه وإن زاده شوقا إلى متابعته. ولقد لايجد أمامه مع ذلك إلا « الضحية Sacrifice » والروايات القصيرة الأخرى التى نقلها إلى العربية الأستاذ اسماعيل مظهر ، و« الاقصة » « البيت والعالم TheHome and the world » وقد ترجمها المرحوم طانيوس عبده . ثم كتيباً صغيراً عن تاجور أصدره الأستاذ محب الدين الخطيب .

ولن يوفق القارىء المصرى إلى غير هذا ، وإلى غير طائفة من المقالات المبعثرة التي كانت تنشرها الصحف عن تاجور أيام زيارته لمصر أو فى فترات مختلفة بعد ذلك. وقد يعثر على نسخة انجليزية من رواية « شترا Chitra » وقد سمعنا أن أحد الأدباء عنى بترجمتها ولكننا لم نعثر على هذه الترجمة بعد ، أو نسخة انجليزية أيضاً من « سادهانا Sadhana » وهى تحوى بعض خواطر لتاجور فى الحياة . أما بقية آثار تاجور فلم ينقل منها إلى العربية شىء للأسف ، مع أن بينها ماهو أجدر باطلاع القارىء

---

(١) نعتذر عن وضع هذا المقال الطريف فى هذا الموضع من العصور . فقد وصلنا متأخراً وحرصنا على نشره فى هذا العدد ساقنا إلى هذا

المصرى مثل قصة « ماشى Mashi » أو رواية عجلة الربيع TheCycle of the Sprinh أو رواية « الحجارة الجائعة Hungry Stones » أوغيرها من آثار تاجور الكثيرة الاخرى

فالقارىء المصرى لايعرف عن تاجور شيئاً كثيراً . . بل انه قد لايعني بقراءته عنايته بشكسبير وبرجسون والمتنبي والمعرى وغيرهم من الذين لا تمت اليهم بصلة أوثق من تلك التى تربطنا بهذا الفيلسوف الشرقى المعاصر ! . .

ولعمرى إذا لم نعن نحن الشرقيين — أقصد المصريين بالتحديد — بدراسة الحركة الفكرية فى الهند وتفهم مرامى الفلسفة البرهمية التجريدية . . إذا لم نعن نحن بهذا، فمن ننتظر فى الشرق العربى أن يعنى به قبلنا أو بدلنا ؟ !

(٢)

لعل أول مايبهرك من تاجور تلك الدعوة العميقة الحارة إلى الاخاء العالمى والتعاون الانسانى العام ، فتاجور الشرقى الذى راعه تقدم الغرب السريع يرسل اليه بنظرة يتعرف بها سر عظمته ونجاحه وتقدمه ، فيعود منها مقتنعاً بأن ذلك لم يتم إلا بروح التعاون السائدة فى حياة الغربيين الفكرية والأدبية والفنية والعلمية ، واثقاً أن الشرق البائس — بلاد الطلاسم والتمائم ومهبط الوحى والأديان — لن تقوم له قائمة حتى يترك التناحر على الحياة من كل نواحيها الأدبية والمادية .

ويرى تاجور أن الرقى الحقيقى لن يكون بتعاون الافراد فحسب ، بل بتعاون الجماعات أيضاً ، وبتحكيم العقل البشري المجرد فى الأعمال التعاونية المشتركة ، وأن واجبنا نحن كشرقيين هو أن لانقنع باحياء التقاليد القومية ، بل أن نخلق أيضاً نشاطاً أدبياً مشتركا نتعاون على توسيع مبادئه القويمة .

قد يكون هذا هو الذى يدفع تاجور إلى دعايته الانسانية التعاونية ، وقد يكون ذلك أيضاً من آثار نزعته البرهمية التى يقول بأنها تصور الحرية بكمال الاتصال بما يحيط بها ، فاذا تقلص هذا الاتصال الكامل من إحدى نواحيه تقلصت معه الحرية ! والهنود يؤمنون بشىء لانهائى يعتقدون أنه سر الوجود وانه يخلو من أى معنى للعدم، وأن غايته تدفعهم إلى التماس حريتهم فى اللانهائى الكائن على أنه « حقيقة ملموسة مفهومة » . وهو يرى أن المعنى الحقيقى للروح ، الذى تتحراه فلسفة الهند ، إنما يكون

من طريق إنكار النفس لاشىء إلا لحب النوع الانسانى وخيره، ويستشهدون بقول اليوبانيشاد:

« أنك لا تحب طفلك لأنك ترغب فيه، ولكن لأنك فى الواقع ترغب فى روحك أنت »

وقد يكون هذا المعنى أقرب الفروض الأخرى إلى ماتريده نفس تاجور ويظهر أنها تردده فعلا حتى لقد قال هو فى موضع آخر:

« إن الابن ليس عزيزاً على أبيه لذاته، ولكن لأن الأب يرى فيه امتداد نفسه، ويرى فيه خلود حياته لأجيال مقبلة » !

ولم لا يكون هذا؟ ألست ترى أن حبة القمح تنشأ من حبة مثلها قد نشأت من حبة قبلها وهكذا دواليك ألست ترى أننا فى نظام الحياة كذلك حبة من القمح، تتصل بيننا الحياة الروحية اتصالها فى حبات القمح جميعها ؟! وألست ترى أن تاريخ الانسان هو تاريخ تشييد الانسانية العالمية كلها، وهل أدل على ذلك من أن أعمال الانسانية العظيمة ملك تقسمته بين الانسانية جمعاء ؟

(٣)

قد يكون من التعسف الغريب أن نعيب فكرة التعاون والأخاء الانسانى التى ينشرها تاجور الآن زاعمين أنه يخدم بهذه الدعاية السياسة الاستعمارية، وأن فائدتها إنما تعود على الأمم القوية المسيطرة على الأمم الضعيفة ! فان تاجور لا يدعو إلى مذهبه الهنود أو سكان المستعمرات وحدهم، ولكنه يعنى بنشر مذهبه فى أوربا كلها وفى العالم الجديد معتقداً أنه قد يجد فى الأمم القوية المتحضرة كثيراً من الأنصار المفكرين. ثم إن فكرة الأخاء والتسامح والتعاون الانسانى إن أمكن أن تقتنع بها الأمم الغاصبة أيضاً هان الأمر، وأمكننا أن نجد ولو تدريجاً حلا معقولا لمعظم القضايا السياسية الكبيرة المعقدة !

وليس من الحكمة ولا من المعقول أن نرفض مثلا الاصغاء إلى دعاية التعاون والأخاء فى الشرق لأننا نعتبرها — إذا تمكنت منا — سلاحاً من الأسلحة التى تستفيد منها الأمم القوية، ونطلب إلى تاجور ومدرسته أن يبدأوا بتنفيذ دعوتهم هذه فى لندن

و باريس وروما، وأن تأخذ بها وزارات الحربية والاستعمار فى تلك البلدان ثم نصغى لها نحن بعد ذلك ، فذلك ضيق تفكير وتعصب غريب ! فان تاجور لا يقصر فى نشر مبادئه فى لندن و باريس و روما بل هو يعمل لذلك ويسعى إليه بنفسه ، ثم ليس لنا أن نرفض دعوة انسانية عالمية لأن إيطاليا مثلا لا تفتأ تحشد جندها وتشحذ أسلحتها لاستثمار مستعمراتها وضم مستعمرات جديدة . أو لأن الانجليز لا يزالون يحتقرون الهند ويرفضون أن تجمعهم بهم عربة واحدة من عربات السكة الحديد . لأن خطأ سوانا وتعسفهم لا يبرران خطأنا وتعسفنا

و إنما فى وسعنا أن نصغى إلى هذه الصيحة النبيلة التى تدعو فى حرارة وحماسة الى الأخاء و التعاون الانسانى . و فى استطاعتنا أن نعجب بمبادئها وأن ندعو معه اليها فى يقين وثبات . و لا شك أن صيحة الأخاء و السلام العالمى ستفتح يوماً كل قلب مغلق لها أو متغافل عنها !

* * *

ولا ننكر مع هذا أن تاجور قد خاب أمله فى أوروبا . فقد كان يحسب أنه سيقع على أرض يجاهد كل حى فيها فى سبيل المثل العليا . ولكنه وجد الناس أشد انصرافاً عن الآلهيات والروحانيات وأكثر ميلا إلى ماديات الحياة ومنافعها الحيوية

توقع أن يرى فى الغرب تطلعاً إلى الحقيقة المعنوية فوجد جشعاً فى الزيادة و الضخامة ، وعاد يتخذ من ذلك دليلا على افتقار الغرب إلى العظمة المعنوية !

و يقول تاجور إنه « إذا لم يستطع الانسان أن يدرك وحدة الانسانية . فان هذا النوع من الهمجية الذى يسمونه بالمدنية الغربية سيظل قائماً » !

ولا يمكن إن نقول أن تاجور يؤيد مطامع المستعمرين العتاة وهو الذى يجزع حين يرى أن الروح الاستعمارية النفعية تصبح فى نظر الغربيين ضرباً من الدين ، ويشعر من ذلك بالخطر يسود العالم لأنها تجعل الشرق تحت رحمة الغرب . و يقول إن « من الحماقة إن لم يكن من الاجرام تأييد المدنية بعنف حيوانى » .

ولا نظن أنه من السهل أن ينسى إخواننا الذين ينقمون على مذهب تاجور الانسانى و يجزعون على أثره فى الأمم الضعيفة أنه قد رد إلى حاكم الهند و بالتالى إلى

امبراطورها اللقب الذى أنعم به عليه الامبراطور ، وكتب إليه يستنكر ما كان من عنف السلطات الانجليزية فى إخماد الحركة الهندية الوطنية فى البنجاب !

(٤)

يدعو تاجور إلى مبادئه فى حرارة وقوة إيمان ، لا يفزعه أن يرى صيحاته ودعايته إلى مبادئ الاخاء و التعاون تطويها جلبة الحياة المادية فى اوروبا ، فيعود إلى وطنه ولم يتطرق اليه شئ من الوهن بل يزيد اعتقاده فى أن اوروبا ستضطر يوماً — بعد أن تنهكها المتاعب المادية الجشعة — أن تتطلع إلى الشرق، إلى آسيا كما يقول ، لتستطلع النور الجديد الذى يقودها فكرياً وينقذها من أغلال هذه الحياة المادية التى تغمرها إلى عنقها !

نعم ، يعود تاجور الى وطنه ليقرر أن تقدم العلوم الطبيعية قد مهد سبيل الالحاد لجماعة المتعلمين ، وأنهم نبذوا الأديان بين الشك والانكار ، ولكنه يعتقد مع هذا أن نفوسهم لا شك ستسأم هذا الالحاد إذا ما طال أمده ، وستنشد الطمأنينة فى الأديان والتعاليم الروحية .

وهو لذلك يترك أوروبا تقطع بقية شوطها المادى ، ويعود إلى مدرسته الهندية يتأمل فلسفته التجريدية ، على أن يلتفت إلى أوروبا متى قطعت شوطها وتطلعت إلى النور الجديد ! لا بد أن تبحث أوروبا يوماً عن الطمأنينة الفكرية والروحية بعد أن تمل هذه الحياة المادية الحقيرة . . فليس من عظائم الأمور مثلا أن يعالج الانسان الكهربائية ويفهم أسرارها و يستخدمها ، وليس من العظمة أيضا أن يصنع الانسان عدداً من السيارات أو غيرها ، فتلك أعمال لها قواعد خاصة من السهل معرفتها وأداؤها ولكن من ذا الذى يسبر غور الانسان ؟ أيمكن أن يدرس الانسان تكوينه الجثمانى، ولكن هل حاول أن يعرف تكوينه الروحى ؟! . .

يقول تاجور إن الآلة الحاسبة أصبحت أقدر من عشرة رجال ، وان غرض المدنية الحاضرة يشمل دراسة كل شئ إلا الفكر الانسانى وإلا النفوز الانسانى ، فانهما مهملان فى ظل المدنية الغربية !

ومجمل رأى تاجور أن أوربا قد فقدت تماماً كل سيطرة لها على آسيا ، وذلك

لأنه لم يعد عندها شيء روحي تستطيع أن تمد به آسيا التي كانت تنظر إليها في سنوات ماضية نظرة تقديس بينا تراها الآن لا تعرف معنى الصدق !

(٥)

في رواية « الضحية Sacrifice » التي عربها الاستاذ اسماعيل مظهر بحث ممتع في معتقدات البراهمة تتجلى لك فيه جلياً تلك الروح التجديدية الاصلاحية التي يحاول أن يدعم بها تاجور البرهمية حتى تجاري العصر وتأخذ مكانها بين الديانات الحية الأخرى، ، ترى أيضاً كيف يريد أن يفهمها تاجور بطريقة أخرى عالمية! فأنت تشهد الستار ترفع عن الملكة « جونافاتى » في المعبد تسترضي الالهة وتسألها إن كانت قد أغضبتها حتى حرمتها الأبناء بينا هي لا تضن بهم حتى على المتسولات والباغيات ، وتهيب بها في شبه غضب عن الجرم الذي اقترفته حتى تحرمها عاطفة الأمومة !

ثم إنك إذا تتبعت مايوجه إلى هذه الآلهة من مختلف أبطال القصة فسترى الفتاة « أبارنا » التي اغتصب منها عنزها ليقدم ضحية للأم العظيمة تسائل النصب في حدة عما إذا كان لاعمل لها « أي الآلهة » إلا أن تسلب من فتاة فقيرة مثلها ما تحب !

ثم إنك قد تعجب إذ ترى تاجور يطلق على لسان الملك « جوفندا » هذا القول :

« إن دم المخلوقات ليس وقفا على ضحايا الآلهة ، وان من حق الملك كما أنه من حق أحقر فلاح أن يحافظ على الحق وان يدافع عن الاستقامة مايهوش سبيلها » .

ثم ترى « جاسنج » يخاطب الآلهة في ذهول وقد أبلغه الكاهن رغبتها في قتل الملك بيد أخيه :

« أيتها الأم ! أليس لديك سيفك القاطع لتنفذي أنت بيدك القوية ؟ ! » فتاجور يسخر في هذه الرواية من عادة ذبح الضحايا وتقديم القرابين للآلهة . . وهو يثير في الملكة عاطفة الأمومة المحرومة منها فتكثر من ضحايا للآلهة حتى تعطف عليها بولد ، ويرسل الفتاة « أبارنا » صاحبة العنز الضحية لتواجه الملك بسخريتها من آلهته فتترك له فرصة التفكير في منع هذه الضحايا ، ويصدم ذلك اعتقاد الكاهن « راجوباتى » الذي يبذل كل جهده ليحمل الملك على الرجوع عن أمره هذا واستئناف تقديم الضحايا ، ولكنه لما يجد مساعيه من هذا السبيل تذهب أدراج الرياح يعمد إلى الثورة

والى إثارة الناس وتأليب الجند على الملك . ولما لايفلح أيضاً يلجأ إلى الدسائس فيحاول أن يثير الغيرة ويحرك مكامن الطمع فى صدر أخى الملك « نكشاترا » ليحمله على قتله، ولكنه يفشل أيضاً . . . فيفزع إلى تابعه « جاسنج » يريد أن يحمله على قتل الملك ويوهمه أن الآلهة غاضبة ولا يمكن أن يهدأ غضبها بغير دم ملكى . ولكن الفتى التابع يضطرب فكره ويقع فريسة عاملين . حبه للملك وتقديسه للآلهة ، ويظل مدة مترددا ولكنه أخيراً يوفق إلى حل معقول فى نظره فيلتمس لنفسه نسباً ملكياً ثم يقتل نفسه حتى يهدى دمه الملكى من غضب الآلهة . وهنا يفيق من غلوه وتعصبه عند ما يرى فتاه بين يديه قتيلا ، فيذهب الى الآلهة ساخطاً يسألها فى غضب أن ترد اليه فتاه، ولكنها لاتجيب طبعاً، فيشتد غضبه ويلقى بها الى الأرض !

وتجىء الملكة مسرعة تريد أن تقدم ضحاياها حتى تفوز بالولد وتتفقد مكان الآلهة ثم تسأل الكاهن عنها ، فيجيبها فى سخرية غاضبة :

« آلهة ! إذا كانت فى أطراف الدنيا آلهة حقاً وصدقاً فهل فى مستطاعها أن ترتكب كل هذه الموبقات لتلطخ اسمها بالعار » !

ثم يذهب إلى الملك يحمل إليه مصرع « جاسنج » فاذا سأله عن السبب أجاب :

« ليقتل الأوهام التى تمتص دم الحياة الانسانية ! »

(٦)

لم نعرض إلى الآن لآراء تاجور الآلهية لأنها محور الفلسفة الهندية التى يدين بها ويدعو اليها ، ولا نحب أن نفرغ من هذا البحث قبل أن نعرض لآرائه الاجتماعية والفنية الأخرى .

فالجمال مثلا عند تاجور هو « ادراك الحقيقة كما هى » ، وهو يعتقد أن الحقيقة من حيث هى جمال لا يعدله جمال . ويضرب لذلك مثل العجوز التى لا تسمى جميلة إذا استطاع المصور الفنان أن يرسمها كما هى ، ويكون فى الرسم إذ ذاك معنى الجمال لأن المصور أدرك الحقيقة واستطاع أن يعبر عنها برسمه .

وهو يرى أن الفلاسفة انما يخطئون فى تحديد الجمال وتعريفه ، لأن الساذج يراه

فى البحر المضطرب الموج، وفى السماء الصافية أو الغائمة ؛ وأن الذى يراه ذلك الساذج هو الجمال حقيقة، أما التحديد والتعريف فليسا فى شئ منها !

ولتاجور فى الموسيقى رأى ممتع ومعقول : فهو يذكر أن المرء إذا سمع موسيقى لم يألف سماعها ضايقه توقيعها وقد يعذبه أحياناً، لأن نظامها لا يجد من نفسه ذلك الشعور الذى تحركه الموسيقى، وذلك لأنه يعرف ما ذا تمثل الألحان التى يسمعها ومعرفة الموسيقي لاتقتصر على فهم « النوتة » أو الترقيم ولكنها فى مدلول التوقيع، فان الآلات الموسيقية لا تحرك الشعور وإنما يحركها ذلك التيار الذى يسرى من مصدر النغمات الى روح المنصت. فالذى يهتز للموسيقى هو الذى يحس ما تمثله الالحان من تأثيرات روحية .

وفى قصة « البيت والعالم The Home & the World. » وصف طريف للطبيعة أرسله تاجور على لسان « سانديب » زعيم الحركة الوطنية الهندية :

« وما الطبيعة الا غادة حسناء لاتعرف معني التعفف. ولكنها لا تستسلم الا لمن كان لصاً لأنها تحب العنف والاختطاف . ولكنها لا تمنح زهرة من رياضها للمتنزهين »!

ويرى تاجور أن الحب « انما هو كالحشيش الأخضر وكالاشجار. وموسيقي الحياة، كلها أشياء ينعم بها سطح الأرض، وهى تأتى وتفنى كالاحلام . » ؟

وهو يذكر على لسان « أبارنا » فى « الضحية » وهي تخاطبه الاله :

« أننا نجرى وراء الحب، ونموت فى الجوع والتسول بحثاً عنه وعلى هذا فهو يأتيك غير مطلوب ولا مرغوب فيه ولو أنك فى غير حاجة اليه » !

ويرى تاجور أيضاً أن الحب « إذا فشل حيث ينتظر أن ينجح، تنكر بثوب الغضب »، وأنت ترى انها آراء تكاد تكون مألوفه ترمى معظمها فى تلميح أو تصريح إلى أغراض روحيه براهمية تملك على تاجور كل فكره وشعوره. وكلها تتسم بسمه التسامح وحب الجمال والاخوة الانسانية .

سنتحدث الآن عن رأى تاجور فى المرأة، لغز الحياة، وقد بحثت معك رأيه فى الجمال وفى الموسيقى وفى الطبيعة وفى الحب موضوعات كان يمكن أن يكون تاجور موفقاً فيها أكثر من موضوع المرأة وكنت أحسب ذلك فى أول الأمر فأعير آراءه عن المرأة انتباها

سطحياً لأنه شرقى وقلما يوفق الشرقى إلى دراسة المرأة أو إبداء رأى ناضج عنها !
ولكنى عجبت لما رأيت تاجور فيلسوف البرهمية يتحدث عن المرأة فى عقل وحكمة وينتزع أحكاما صائبة لاشك أنها نتيجة تجارب كثيرة

ولا شك أن عجبك سيبدأ كما بدأ عجبى إذ تقرأ له هذه العبارة على لسان الملك البرهمى « جوفندا » فى « الضحية » :

« إن ابتسامة المرأة تذهب بكل لعنة من البيت ، أما حبها فرحمة من الله » .

ثم انك لن تتمكن من إخفاء إعجابك إذ تقرأ لتاجور معى :

« إن غضب المرأة كلألاء الماس ، يضىء ، ولكنه لا يحرق » .

ولعمرى إنها من أصوب وأحكم ما يمكن ان يتحدث به عالم اجتماعى كبير !

وسترى معى أن تاجور درس نفسية المرأة وتفهم أكثر طباعها وميولها عندما تقرأ له قول الملكة « سوسترا » للملك « فكرام » وقد بالغ فى إظهار حبه فى رواية « الملك والملكة » :

« انما يكون حبك لى ثابتاً صحيحاً إذا أنت لم تذهب إلى حد المبالغة والافراط لانه من المستطاع أن يكون الحق بسيطاً ساذجاً » .

فيجيبها الملك « فكرام » !

وقلب المرأة من أحاجى الحياة الاجتماعية فى كل العصور ، ولم يفهمه الملك « فكرام » حقيقة ، ولكن تاجور استطاع إلى حد ما أن يفهمه وأن يدرس تقلباته ويرسم لنا صوراً منها فى رواياته المختلفة . انظر إلى هذه العبارة التي ساقها على لسان « بمالا » فى قصة « البيت والعالم » :

« إن سعادة المرأة الحقيقية هى أن تحب ، فاذا قضيتم على كبريائها فى هذا الحب قضيتم عليها » . هذا حسن ! لتكن سعادة المرأة فى الحب ، وليكن فى القضاء على كبريائها فيه قضاء عليه أو عليها ، ولكن هذا الكبرياء . . . . ألا يمكن أن تحددها أفكار النساء الصغيرة ؟ ! وتتجلى لك دراسة تاجور لأفكار المرأة الشرقية من المحاورة الآتية المنقولة عن « البيت والعالم » ، وقد دارت بين « بمالا » وزوجها المهراجا حين طغت نهضة مقاطعة البضائع الأجنبية فى الهند — :

هى — إنى أريد أن أحرق جميع ما عندى من الملابس الأوروبية .

هو — لِمَ تحرقينها وأنت تستطيعين أن لا تلبسيها ؟

هي — انى لا ألبسها وأنا على قيد الحياة .

هو — لا تلبسيها ، ولكن أية فائدة من إحراقها ؟

هي — لماذا تحاول منعى عما أريد ؟

هو — وأنت لماذا لا تبنين بدلا من أن تخربى ؟

هي — ان الاندفاع فى التخريب يثير همتنا فى البناء !

هو — انك كمن يقول: لا أستطيع انارة البيت الا اذا أضرمت النار فى جوانبه!

فانت ترى كيف يصدرلك تاجور عقلية المرأة ويتركها تسلك طريقا طبيعياً لا يحاول أن يخرجها منه ، وإن توخى شرح آرائها واندفاعها بشكل لا يمكن أن تقول انه غير مألوف !

ولعل العبارة الآتية تشرح موقف المرأة الشرقية الآن أو على الأقل وأى تاجور فيه

بمالا — إن أفكار النساء صغيرة معوجة،

زوجها — ليس ذلك ذنبهن ، ألا ترين أن أقدام الصينيات صغيرة ، فما الذى صغرها غير الضغط عليها منذ الحداثة ؟ ،

ولست أود أن أعلق على هذا الرأى الآن ، فلعله أبلغ ما نختتم به هذا البحث الذى كاد يتعدى المقرر له ؟

علي محمد البحراوى



علم الحياة

بحث في مبادئه

كان علماء البيولوجيا قبل «فيليكس لادانتك» البيولوجى الفرنسى الشهير عاجزين عن إدراك الناموس الطبيعي الشامل للحياة ، ولكن هذا العالم العظيم أظهره لملأ فى كتابيه الكبيرين — أصول فلسفة علم الحياة،و «ميكانيكية الحياة» بقوله:ان قوة التفاعل المتفردة تظهر تحت ألوف الأشكال المختلفة فمع أن الكلب يعمل عمل الكلب و الكنار يعمل عمل الكنار .فانالنتيجة بعدما ينتهيان كلاهما من عمل الواجب المكتسب من ضرورات طبيعية تقسم إلى قسمين — كيانالحيوان ومجموعةالعوامل المحيطة به فى آن واحد — لأن العضو يكون مجموعة ناحية من نواحي الكائن الحي تعمل حسب مقتضيات الحالة الراهنة فاذا ثبتنا أولا نهاية مقتضيات الحال حسب الضرورات الطبيعية وعرفنا أن قوة التفاعل الشاملة التى تعمل عملها فى كافة الأحياء هى التى تكيف الأعضاء وعدد وظائفها علمنا كيف أن الأعمال التى تقوم بها تلك الأعضاء راجعة إلى حالات طبيعيه لا دخل للاصطناع بها أبداً وكيف أن الحياة خاضعة لناموس شامل والكائن الحى مفيد بما أوجد فيه هذا الناموس الشامل من الأعضاء — وليسهل علينا الادراك أكثر نقول نقول أن (١:١) :٣١ : حالات تابعة لنوع ما من الأحياء وأعضاء هذا النوع معروفة حسب تحديدنا

وأن ب١:ب٢:ب٣:أحوال عرضية فى محيط ماتتداخل فى تحديدقوة تفاعل هذاالنوع المعروف،فالأعمال التى يعملها هذا النوع فى وقت ما تظهر حسب العمل الرمزى : — ١ × ب — فالحياة بجميع أشكالها وصورها تعمل أعمالا ترجع إلى حالات هى — ١١ × ب ١ : ١٢ × ب ٢ : ٣١ × ب ٣ : الخ، وهذا ما يظهر لنا فى بحثنا البيولوجي ويجعلنا نرمز إلى حالات النوع الخصوصية بحرف — ا — وإلى جانب هذا الحرف قيمة النوع فى كيانه العضوى . فالمشكلة البيولوجية العمومية تتلخص فيما يأتى :

تحت تأثير حالات ــ ب ١ ــ التي تحدد وجهات العمل حسب الرمز ــ ا ١ × ب ١ ــ تكون الحالة ــ ا ١ ــ أصبحت ــ ا ٢ ــ فالحياة تخضع حسب القواعد الطبيعية في كل حين لعاملين رئيسيين الأول رغبات الكائن الحي الفردية و الثاني مجموعة العوامل المحيطة به، ومن هنا يظهر كيف أن ما يرمز إليه بحرف ــ ا ــ مقروناً بحرف ــ ب ــ أظهر مظاهر الحياة وأعمها. فالنوع الحي ينقل معه دائماً وأبداً حالة واحدة من حالات حياته فاذا قلنا إن هذه الحالة هي ــ ا ــ دائماً وأبداً فان ما يرمز اليه بحرف ــ ب ــ يكون متمماً لهذه الحالة التي تحد وجهات العمل حسب الرمز ــ ا × ب ــ الذي يعبر عن وجود الكائن الحي ومقامه فاذا قلنا إن نوعاً من الأنواع الحية يرمز إليه ــ ا ٢ ــ فاننا نعرف أن ــ ا ٢ ــ جاءت من ــ ا ١ ــ التي هي في الأصل ــ ا × ب ــ وهكذا ــ ب ٢ ــ فانها متسلسلة من ــ ب ١ ــ الخ. وليس هذا فقط بل أن ما يرمز اليه بحرف ــ ا ب ــ يكون حرف ــ ا ــ ممثلا لكل ما سبقه وناقلا لخلفه كل الأشكال المكتسبة بواسطة الانتخاب الطبيعي، ويكون حرف ــ ب ــ ممثلا العامل الأول في النشوء و التطور فما يرمز اليه بحرف ــ ا ــ يرجع للبيئة المحتوية على الاوكسجين والحرارة وكافة المواد اللازمة للحياة، وما يرمز إليه بحرف ــ ب ــ لا تقدر العامة أن تدركه إدراكا تاماً لأنه ليس بنوع من الأنواع الحية ولكنه حالات طبيعية يعرفها العالم الطبيعي و البيولوجي. فمن هذا يظهر أن الحالتين ــ ا و ب ــ تؤثران في بعضهما بنسب متبادلة وأن الحياة تضعهما في موضع التنازع وليسهل الادراك أكثر نقول إن ــ ا و ب ــ يتصارعان وعلى مر الأزمان يكون ما يرمز إليه بحرف ــ ا ــ قد أباد خصمه وهو ما يرمز إليه بحرف ــ ب ــ ولكن انتصاره هذا لا يدعه يخرج من المصارعة والمنازعة سالماً فهو يكتسب شكلا جديداً ينتقل منه إلى ذريته على طول الأبد ولكى نهضم هذا الدرس جيداً نقول: إن الحدس لا محل له في بحثنا هذا. لأننا نظرنا الحياة بأم العين وعرفنا نواميسها وكيف أنها بين عاملين قويين يتطاحنان منذ البدء وسيبقيان هكذا إلى أبد الدهر فعندما نرغب بدرس ناحية لها علاقة متينة بناحية أخرى فان ما نقرره من القواعد التحليلية لهذه الناحية يشمل ايضا بنفس الدرجة القاطعة تلك الناحية.

نعم ان النوع الذى يرمز اليه بحرفي ــ او ب ــ هو بالحقيقة الشكل المتطور ــ ا

فقط ولكننا عندما نرغب في درس كل التبديلات اللاحقة هذا الشكل منذ وجوده مفرد الخلية نضطر لايجاد ناحية اخرى له غير كيانه المحسوس وهذه الناحية هي العوامل الطبيعية التي تحكمت وتتحكم في مصيره ومنحاه : لنأخذ مثلا خروفا صحيحا لجسم قويه ولنلقحه بمكروبات كربونية لها قوة مفعول معروفة فعندما تدخل هذه المكروبات جسم ذلك الخروف يبتدىء الصراع والتنازع فهنا لم يعد الحال كما كان أي أن الخروف لم يبق خروفا كما كان أولا بل ان الحال سيؤدى اما الى اضمحلاله او الى مرضه مرضا طويل الأمد او قصيره فاذا مرض وشفي من مرضه فلنلاحظ التبديلات التي اكتسبها بعد هذه التجربة من ناحية نزاعه مع المكروبات ، ربما لا يدرك البعض شيئا من هذه التبديلات ولكن علم الحياة يبين التغيير الذى حصل للخروف فهو بعد شفائه يكون أقوى دفاعا مما كان عليه قبلا ضد المكروبات الكربونية ويمكن ان لا يمرض بعد هذا المرض . فاذا اوجدنا تحت نواميس الحياة نوعا من الاحياء هو ــ ا ــ ففى حالة طبيعية ستوجد حتما هي ما يرمز اليه بحرف ــ ب ــ وهذه الحالة هي ما يدور عليه بحثنا ونقول عنه انه السبب الاول فى التغييرات التي لحقت الشكل وهي موجودة دائما ما دام هذا الشكل، فهذه القاعدة الطبيعية تظهر بأوضح معانيها فى درسنا علم الكيمياء العضوية وترجع الى القانون المعروف بقانون « لنز Lenz » والى القانون المعروف بقانون « شاتيليه Chatelie » حيث تحققه « ويلارد جيبس Willardgibbs » وجوه مختلفة لأن التعديلات التي تلحق نظام الجسم وتغير الموازنة حسب التبديل المتأتى من موازنة أخرى تكون طبيعية تظهر بما تحدده من الحالات الجديدة

قلنا ان الخروف يكتسب قوة جديدة بعد ماينتصر على المكروبات الكربونية وقلنا ان هذه القوة هي التغييرات التي لحقت كيانه ولكن ربما قال البعض: لماذا لا يكون الخروف قد تشبه بخواص هذه المكروبات فقط وبقى كما كان عليه بدون تغييرات جديدة تلحق شكله ؟؟ ان الخروف عندما يبتدىء بالتنازع مع المكروبات تبتدىء المكروبات بتغيير شكله على قدر الامكان ولما كان التنازع يدوم وقتا فان العادة توجد فى المكروبات ميلا لهذا التنازع ويكون مايرمز اليه بحرف ــ ا ــ أصل هذه الحالة فالسلاح الذى يستعمل فى القتال يشحذ فى نفس الموضع الذى يفل حده فيه ويكون

بعد مضى الوقت ان المكروبات هى المنتصرة حقيقة بما أوجدته من الأشكال الجديدة الغريبة بالنسبة إلى كيان الخروف ومن جهة أخرى فان الذى يكتسبه الخروف هو العضو المكروبى المحارب ضده ومع هذا فان المحاكاة لاتعد شيئاً يذكر إذ أنها تتبع الحالة الراهنة فقوة التفاعل التى تدوم وقتاً طويلا فى الكائنات الحية توجد أعضاءاً راجعة إلى عوامل طبيعية حسب مقتضيات الحال وهذا أصل العوامل التى تكيف الحياة فى جميع أشكالها —

يوجد عدا مابيناه حالات عديدة تحير الفكر إذا ماتأملناها جيداً وتظهر تحت شكلين غريبين الشكل الأول المشابهة والشكل الثانى الاقتداء فالبيئة — ب — توجد فى كيان الشكل الأول الذى نرمز اليه بحرفى — اب — عوامل التغيير التى تتحكم فى مصير الناحية — ا — وتصيرها — ا — واذا كانت هذه العوامل المتأتية من تلك البيئة — ب — تقضى بفوزها وعدم تغيرها فان النوع — ا — يحتل الفسحة التى تشغلها ويكيف ذاته حسب مقتضياتها، وفى هذه الحالة يكون النوع — ا — حاكى البيئة — ب — بعد فوزه بالتنازع معها، وبالعكس إذا كانت الناحية — ا — فى النوع باقية حية لأن بقاءها يحتم على النوع الهزيمة والاضمحلال أمام عوامل البيئة — ب — ولهذا فاننا نشكر عمل تغير حالة هذه الناحية التى بتبدلها تضمن بقاء الحياة .

هذا ولننظر أيضاً للعمل الأساسى فى بقاء الحياة على سطح هذه الكرة فالكائن الحى يكتسب فى كل دقيقة من الزمن الأشكال الضرورية لمقاومة عدوه لأنه يتعرض فى كل ثانية لحرب جديدة ولعراك جديد فاذا لاحظنا نوعاً من الحيوانات أو الانسان رأيناه مكتسباً بمجموعة من الحالات تقدر أن نحددها ، وهذه الحالات تساعد بعضها فى خدمة انتصاب كيان النوع حسب مقامه، فالرابط الأساسى هو نتيجة انتظام انتصاب حالة النوع فاذا فقد هذا الانتصاب المنتظم بواسطة حادثة من الحوادث غير الاعتيادية فان النوع يفقد لامحالة ولكن شكراً للتطور الذى سوان عمل الكثير فى تغيير شكل النوع — فانه يبقى على انتظام انتصاب كيانه مع كل التبديلات والتحويرات التى يلحقها به هذا من حيث ان الانسان يكون فى جميع حالاته محافظاً على موازنته بكل دقة ولنلاحظ مثل أشجار الصنوبر الكبيرة التى تنشب أصولها فى منحدرات وعرة فى الجبال .هذه

الأشجار تتجه دائماً إلى العلو إلى الانتصاب العمودى مخالفه بذلك كل نسبة مع الأرض التى ترتكز عليها فاذا كان الثقل لاقيمة له فكيف يمكن أن تكون منتصبة مع أن طبيعة الحال تحتم عليها النمو لعكس الجهة التى تنغرس فيها أصولها ؟ وهذا نفس مايحدث مع الانسان عند مايخالف الواقع حسبما يتصوره البعض ،فان العمل الرمزى — ا×ب — يمثل مايرمز اليه بحرف — ا — ومقامه مع مايرمز اليه بحرف — ب — وبعبارة أصح يمثل الحركة والعضو الذى ينتهى بحالة من حالات — ب — حيث نشأ التنازع الأول،وهذا المثل البسيط يصور لنا الحالة الراهنة التى تكلمنا عليها سابقاً ولكى نجعل المطابقة واضحة يجب أن نعرف قيمة المحاكاة التى اكتسبها مايرمز اليه بحرف ـ ا ـ من اقتدائه بما نرمز اليه بحرف — ب —

ربما يظهر هذا التشبيه متناقضاً ولكن الصحيح هو ان مايرمز اليه بحرف — ا — هو الذى يكيف المحيط مع انه ليس مجرداً ولامستقلا . فهو دائماً وأبداً خال من شكل غير قابل للتحوير لأنه العضو الذى يتكيف ويتجدد حسب قوة المنازعة والصراع ولهذا فهو معلول من علة تنقسم إلى قسمين واذا تكلمنا عن واحد منهما لانقدر أن نبينه ذاتياً مستقلا فانشير اليه من التحوير يلحق الواحد بعدما يترك الآخر،واذا اضمحل أحدهما يضمحل الثانى وهذا متفق عليه، فالحياة لاتظهر مجردة كما نلمسها لأنها ترجع إلى الكيان العضوى والى العوامل التى أوجدت هذا الكيان، فاذا تغيرت تلك تغير هذا وصاقبها واذا لم يتغير ويصاقبها فانه يضمحل واذا اضمحل اضمحلت هى أيضاً لأنها لاتوجد فى ذاتها، فاذا تغير الكيان فانه يتغير حسبما تكون ضرورات الحالة الراهنة،وفى هذه الحالة يكون المنتصر حقيقة ليس الكيان بل العوامل، ولكن بما ان الكيان بقى ولم يضمحل فان الانتصار الظاهر يلصق به ، وهذا من أعوص مشاكل علم الحياة. إذن فالحياة والعوامل الطبيعية شىء واحد لايدركه إلا من له إلمام بعلم الحياة .

ابراهيم حداد



حروف الكتابة

تاريخ نشوئها وتطورها

تنقسم الكتابة الى قسمين الصورية التى مازالت تستعمل الى اليوم عند بعض هنود أميركا والصوتية.وهذه تنقسم الى ثلاث درجات.الأولى كل صورة أوعلامة تدل على كلمة كاملة كاللغة الصينية والثانية تدل على مقاطع فقط،والثالثة لاتدل العلامات على المقاطع بل على أبسط الاصوات البشرية اللفظية وهذه العلامات صارت حروفا سمى مجموعها بحروف الهجاء كما هو معروف(١) —

وقد اختلف المؤرخون فى كيفية تفرع حروف الكتابة ولكنهم اتفقوا على أن المصريين هم أول من أوجدوها و ذلك فى أيام الدولة الرابعة ففى ذلك الوقت انشأوا نظاماً عجيباً مختلطا للكتابة عبر فيه عن المعانى بصور وحروف هجائية وكان عندهم ثلاثة خطوط من الهيروغليف .الأول فيه كانت الصور والرموز ترسم بكل دقة وكان يستعمل للكتابة على العاديات من الأبنية والاعمدة والثانى المقدس وهو مختصر للتسهيل وا كثر مخطوطات أوراق البردى مكتوبة به،والثالث الشائع أو العامى(٢)—

وهذا الخط — أعنى الهيروغليف— كان فى الأصل عبارة عن صور كاملة تعبر عما لمصور فكان المراد من صورة الرجل الرجل.ومن صورة المرأة المرأة.ثم اتخذوا الصور للتعبير عما يتضمنه المصور مجازاً . فاتخذوا صورتى رجل وامرأة للتعبير عن جنس الانسان،وصورة هلال للتعبير عن الشهر وما اشبه. ثم انتهوا الى أن كنوا بصورة الشيء عن الصوت الأول فى اسمه فكانت الدائرة تدل على الشمس التى اسمها أورى فاتخذ هذه الصورة كناية عن صوت الراء٣ كما بين العلامة شامبوليون فى حله رموز حجر رشيد.فبالصور الحقيقية والمجازية وصور الكناية عبروا عن المعانى،ولايخفى مافى هذا الاسلوب من الصعوبة فى الكتابة والقراءة،ولاعجب من أن

---

(١)— التاريخ القديم لميرز صفحة ٤

(٢) — التاريخ القديم لميرز صفحة ١٥

(٣) — الصور القديمة لبرستد صفحة ١٧٣

الناس لم يقدروا على كشف سرهما. ثم اخذوا يغيرون الاشكال ويوصلونها فى الخط لتسهيل الكتابة فامسى هذا الخط مختلفاً جداً عن أصله(١) —

وقد انتقل الخط من مصر الى بقية الأمم كالكلدانيين والأشوريين وتبدل عندهم تبدلا محسوساً، فقد تبين أنه كان للبابليين منذ العصور القديمة نسق كتابة بحروف صوتية سميت بالكتابة الاسفينية لأن حروفها على هيئة الاسفين وهذه الكتابة كانت مستعملة بين شعوب آسيا الغربية منذ نحو ٥٠٠٠ سنة ق. م. الى القرن الأول قبل التاريخ المسيحي وكانت هذه الكتابة مدة اربعة آلاف سنة ذات شأن عظيم فى تمدن العالم السامى كما كان للحروف الفينيقية شأن مدة ثلاثة الاف سنة بعد ذلك فى تمدن العالم الآرى.(٢) فخط الأشوريين مركب من حروف أو علامات حقيقية على هيئة الأسفين وهي كثيرة تنيف على ٣٠٠ حرف أو علامة إذ كل صوت اصلى عندهم يترتب مع حركات مايقابل حروف العلة مثل ب.باء ب.بى.ب .بو. وأب وإب وأب ولكل منها علامة خاصة، وقس على ذلك بقية الاصوات الستة عشر الاصلية فى لغتهم. ثم ركب حرفان أو صوتان مع كل من الحركات فى الوسط ولكل من هذه التراكيب علامة أيضاً ولهذا كثرت العلامات وتعسرت قراءتها (٣)

ومن الكلدانيين والاشوريين انتقل الخط الى الفينيقيين الذين سكنوا البحرين أولا ثم انتقلوا الى شواطىء بحر الروم وهم من نسل حام — على رأى بعض المؤرخين — ولما رحلوا مروا فى نجد والحجاز وتفرع منهم قوم فى اثناء الطريق استوطنوا نواحى جبل عسير. ولعلهم قوم ثمود فى اخبار العرب. ثم اتى الساميون وهاجموهم وسكنوا أرضهم: قال ابن خلدون فى اثناء كلامه على الطبقة الأولى من العرب « ويقال إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب » (٤)

إلا أن هذا الرأى ينقصه البراهين الكثيرة لكون قصة حام وسام ليست من

---

(١) — التاريخ القديم لمارفى بورتر صفحة ٣١ :

(٢) — التاريخ القديم لميرز صفحة ٢٣

(٣) — التاريخ القديم لمارفى بورتر صفحة ٦٩ :

(٤) — التاريخ القديم لمارفى بورتر صفحة ١٨٦ :

القصص التي يعتمد عليها في تحري التاريخ لأن الأمم ليست متسلسلة من افراد كما كان يظن ، وقد تكون قصة أولاد نوح من الخرافات الدينية مع صحة وجود الطوفان المذكور في الكتب المقدسة . فالفينيقيون بعد هجرتهم استوطنوا شواطيء بحر الروم وأوجدوا الحروف الهجائية المعروفة التي اجمع النقاد والمؤرخون على نسبتها اليهم ومنهم انتقلت الى اليونان فالرومان فالجرمان حتى عمت العالم (١)

وهذه نظرة اجمالية في كيفية نشوء الحروف ،أما تطورها للحروف العربية الحاضرة فقد اختلف فيه المؤرخون فمنهم من يقول ان الخط المسند أصل كل الخطوط السامية بعد الخط الفينيقي ومنهم من يقول ان الخط الآرامي أصل هذه الخطوط انما مع اختلافهم هذا فهم متفقون على اسبقية الخط الفينيقي للسند والآرامي فالافرنج يرتأون أن الخط الفينيقي مأخوذ من الخط المصري وأن الخطين المسند والآرامي مأخوذان من الفينيقي والخط الآرامي تفرع الى خطين السرياني والنبطي ومن السرياني تفرع السطرنجيلي ومن السطرنجيلي تفرع الكوفي وتفرع من النبطي الحيري والانباري ومن الحيري والانباري تفرع الخط الحجازي المعروف بالنسخي، والعرب يقولون أن الخط الفينيقي تفرع من المصري وأن المسند والآرامي تفرعا من الفينيقي ومن المسند تفرعت أربعة خطوط الصفوي والثمودي واللحياني والحميري ومن الصفوي تفرع الكندي والنبطي ومن الكندي والنبطي تفرع الحيري والانباري ومن الحيري والأنباري تفرع الحجازي ومن هـــذا تفرع الخط الكوفي . قال صاحب أصول المعارف(٢) : وظن بعضهم أن العرب في الزمن المتوغل في القدم كانوا يستعملون في الخط الحروف الشبيهة بالمسامير فاذا صح ذلك يمكننا أن نقول بأن الحروف المذكورة تغيرت فيما بعد بالحروف الحميرية وهي خط يقال له المسند كانوا يكتبون كل حروفه منفصلة عن بعضها وكانوا يمنعون العامة من تعلمه فلا يتعلمه أحد إلا باذنهم قال ابن خلدون وغيره بأن هذا الخط كان بالغا مبلغاً من الأحكام والاتقان والجودة في دولة التابعة لما بلغت من الحضارة والترف وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل

---

(١) ــ التاريخ القديم لميرز صفحة ٣٥ والتاريخ القديم لمارفي بورتر صفحة ١٠٣ والعصور القديمة لبرستد صفحة ٢٠٥

(٢) ــ أصول المعارف لنوفل نوفل صفحة ١٢٠

المنذر أنساء التابعة فى العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق، لكنه لم يكن فى الجودة عندهم كما كان عند التبابعة ثم من أهل الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش عن رجل يقال له مرامر بن مرة، من بنى طى، وقيل من بنى مرة من أهل الانبار، وقال بعضهم نقلا عن الاصمعى إن بنى قريش سئلوا من أين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لأهل الحيرة من أين لكم الكتابة فقالوا من الانبار. وروى ابن الكلبى والسهيم بن عدى أن الناقل لهذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هو حرب بن أمية وقيل سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى وكان قدم الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة. وقيل لأبى سفيان ابن حرب: ممن أخذ ابوك هذه الكتابة فقال: من اسلم ابن سدرة وقيل لاسلم: ممن أخذت الكتابة فقال من مرامر بن مرة والحاصل أن من حمير تعلمت مضر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها لتوغلهم فى البداوة، ودامت خطوطهم غير مستحكمة فى الاجادة إلى أول الاسلام ثم ابدل الخط الحميرى المذكور بالخط الكوفى وذلك بعد أن فتح المسلمون الامصار وملكوا الممالك واحتاجوا الى الكتابة فاستعملوا الخط وطلبوا صناعته فبلغ فى الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان إلا أنها كانت دون الغاية ومع أن هذا الخط لم تطل مدته وابدل سريعاً بالخط البغدادى المتداول الآن مازال رسمه معروفا

ولما انتشر العرب فى الاقطار وفتحوا افريقا والاندلس واختط ابو جعفر المنصور مدينة بغداد وصارت دار الاسلام ومركزاً للعلوم العربية ظهر الخط البغدادى المذكور وتسمى بالجزم، قال صاحب محيط المحيط فى تعريف الجزم — الجزم مصدر . والقلم لاحرف له. والخط المتعارف فى ايامنا هذه لانه جزم أى قطع من خط حمير وهو الذى يقال الخط المسند — وقيل إن الذى وصل احرف الهجاء العربية ببعضها على هيئة استعمالها الآن فى الكتابة على ما ذكرناه بعد أن كانت حروفها منفصلة هو رجل يقال له الشيخ على بن هلال السمسانى. وقيل بل أن الذى نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها فى هذه الصورة المستعملة الآن هو تلميذه أبو على محمد بن على بن الحسين بن مقلة الذى يضرب المثل بحسن خطه فيقولون لمن ارادوا المبالغة فى جوده خطه: أجود من خط ابن مقلة وكان وزيراً للمقتدر بالله العباسى، وقيل أيضاً إن صاحب الخط المنسوب ليس أبا على المذكور وإنما هو أخوه أبو عبدالله الحسن، وقيل بل هو أبو الحسن على ابن هلال

المعروف بابن البواب الكاتب المشهور ، زعموا أنه لم يوجد فى المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله ولا قارب وإن كان أبو على ابن مقلة المذكور هو أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين وأبرزها فى هذه الصورة وله بذلك فضيلة السبق وخطه أيضاً فى نهاية الحسن لكن ابن البواب هذب طريقته هذه ونقحها وكساها طلاوة وبهجة، والكل معترفون له بالتفرد وعلى مثاله ينسجون وليس فيهم من يلحق شأوه ولا يدعى ذلك. توفى سنة ٤٢٣ للهجرة — ١٠٣١ م — وكان شيخه فى الكتابة ابن أسد الكاتب البزاز البغدادى المتوفى سنة ٤١٠ للهجرة — ١٠١٩ م .

ومما حكاه أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى فى كتاب التصحيف أن تمييز الحروف المتشابهة فى رسمها بالنقط حدث فى أيام عبد الملك بن مروان الذى تولى الخلافة فى سنة ٦٥ للهجرة — ٦٨٤ م حيث قال: وغبر الناس يقرؤون فى مصحف عثمان بن عفان نيفاً وأربعين سنة أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالفرات ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه — وكان يومئذ عاملا على البصرة لعبد الملك المذكور — وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات فقام بذلك النضر بن عاصم ووضع النقط أفراداً وأزواجا وخالف بين أماكنها فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف فأحدثوا الأعجام فكانوا يتبعون النقط والاعجام. ومما اعترض به على الحروف العربية عدم وجود دليل على فصل الكلمات عن بعضها كما تفعل الافرنج فقد ذكر بعضهم لصاحب أصول المعارف حكاية فى هذا المعنى وهى أنه جاءه ذات يوم رجل من الاتراك يحب المطالعة ويرغب فى أشعار العرب وسأله عن معنى القطاطيب فتفكر فى ذلك برهة ولم يخطر له أنه سمع هذه اللفظة قط مدة حياته ومن ثم أجابه بأنه لا يظن أن هذه اللفظة فى اللغة العربية. فقال لا بل عربية كيف لا وبعض شعرائكم يقول !

ولولا المزعجات من الليالى لما حرم القطا طيب المنام

فضحك منه وأفاده صحة التلفظ فى ذلك الى أن فهم المعنى واعتذر له بأنه كان يظن لفظة طيب جزءا من اللفظة التى قبلها .

ابراهيم حداد

مشاهدات باثولوجية

فى مصر

للدكتور أنيس أنسى بك

رئيس القسم الباثولوجى بمعامل الصحة الفنية بالقاهرة
وأستاذ الباثولوجيا بكلية الطب المصرية سابقا

نقلا عن كتاب « الطبيب والمعمل »
الذى نشرته دار العصور للدكتور احمد زكى أبى شادى

تعرض للطبيب الكلينيكى فى مصر حالات باثولوجية قد يظن أنها بكتريولوجية أو باراسيتولوجية المنشأ وقد يحار فى بعضها لأنها تكاد تكون خاصة بمصر أوعرفت أسرارها حديثاً . فمع تحاشى الاطالة والتوغل فى المباحث الباثولوجية التى لايعرض لها هذا الكتاب أود أن أشير إشارة عامة إلى هذه الحالات حسب خبرتى وتجاربى الشخصية فى خلال نيف وعشرين سنة .

* * *

القرحة الساعية أو الأكالة (Rodent ulcer)

مما شاهدته حدوث هذه الاصابة فى فروة الرأس فيشتبه فى أنها سرطان (ابثليوما) . ولكن الفحص الباثولوجى كفيل باظهار طبيعتها الحقيقية . ومعروف أن هذه القرحة تصيب عادة زوايا أو أطراف الأعضاء وخصوصاً مابين الغشاء المخاطى والجلد لا السطوح المبسوطة (دع عنك فروة الرأس) ، مثال ذلك زاويه الفم أو العين أو الأنف أو الشفرين .

وعلى ذكر الابثليوما يجدر بنا أن نقول إن عنوان غلب على هذا النوع من الورم أن يكون خبيثاً إلا انه ليست كل ابثليوما خبيثة النزعة ، وذات التسمية لاتدل على أكثر من نمو النسيج الابيثيلى لا على أنه خبيث فى طبيعته ، ولكن غلب استعمال هذه التسمية للأورام الخبيثة السرطانية . مثال ذلك الورم الحلمى أى البابلومة (papilloma) فانه فى الامكان تسميتها ابثليوما دون أن يدل ذلك على أنها خبيثة ، ويستحسن إذن فى المستقبل أن نميز فنتحدث عن ابثليوما سليمة (Epithelioma Benign)

ليست سوى نمو مفرط فى الخلايا الايثيلية لا خبث له ، أو أن تقتصر كلمة إبثليوما على الأورام السليمة الايثيلية كما تطلق كلمة فيبروما أو ليفوما (fibroma) على الأورام الليفية السليمة . بينما يطلق حينئذ على جميع الأورام الايثيلية الخبيثة لفظة « سرطان » .

الرينوسكليرومة (Rhinoscleroma)

كان المظنون فى وقت ما أن العلاج بالفكسين الذاتى لهذا المرض ناجع الأثر وخصوصاً فى بدء نهضة العلاج بالفكسين للأمراض الميكروبية (أى حوالى سنة ١٩١٠ م) . وقد حضرت مع الاستاذ الدكتور فرجوسون لأول مرة فكسيناً من باسلس الرينوسكليرومة ولكنه كان عديم الأثر . ودل الاختبار على أنه لن يسبب تفاعلا ولا أى تحسين فى حالة المريض وإن أعطى بمقادير كبيرة . وان طريق الشفاء الوحيد هو العلاج الجراحي إلا فى الحالات المتقدمة المرض التى وقع فيها تشويه كبير . وقد يخطئ الطبيب المبتدئ فيظن الحالة سركوما من الفحص الكلينيكى والميكرسكوبى فيجب الاحتراس من ذلك والاعتماد على تشخيص باثولوجى ثقة . وقد يمتد هذا المرض إلى الجلد الأنفى من الملتحمة) راجع كتابات الدكتور فيشر فى مجلة الجمعية الرمدية بمصر سنة ١٩١٥ — ١٩١٧)

سرطان اللسان (Tongue Cancer)

قد يميل بعض الأطباء إلى استثناء السرطان اعتمادا على السن ويضاعفون الخطأ بتشخيص السفلس ولو كان الفازرمان سلبياً . مع أن هذا قد يؤدى إلى خطر عظيم . وقد يجتمع السرطان والسفلس فيكون الفازرمان إيجابياً وينسى ذلك التفكير فى السرطان تأثراً بوجود السفلس وبذلك يضيع الوقت ويتقدم مرض السرطان وربما لا يكتشف إلا متأخراً . فيستحسن دائماً فى حالات القرح اللسانية المزمنة (سواء أكانت مصحوبة بعقد أم لا) أن لا يكتفى بفحص الدم لتفاعل فازرمان بل يجب كذلك أن يمتحن جزء من القرحة امتحاناً باثولوجياً . وقد عرضت حالة صبية لا يتجاوز عمرها ١٤ سنة ودل الفحص الباثولوجى على أن القرحة اللسانية التى عندها كانت سرطاناً ، وقد وجدته كذلك مرتين قليلتين فى أسنان أخرى صغيرة (مافوق الثامنة عشرة) .

سرطان الثدى (Breast Cancer)

يستحسن أن لانعول على صلابة وحجم الورم السرطانى الثديى فى إعطاء تنبؤ حسن (good prognosis) عن مستقبل حالة المريض ،فكثيراً ماينتهى هذا النوع بنوع أشنوأنكى من النوع الرخو . إذ أن المهم هنا هو المنظر الميكرسكوبى وصفات الخلايا من حيث الانقسام والطفولة.

ومن حالات السرطان ماينتابه تقرح سطحى ممتد شبيه بالاكزيما المنتشرة فيشمل الثدى والجنب وجزءاً من الظهر ،وفى هذه الحالات النادرة تكون الأوعية اللمفاوية السطحية سبب هذا الانتشار والالتهاب المصاحب.

بلهارزيا الرئة (Lung Bilharziosis)

ان توطن مرض البلهارزيا فى مصر مدعاة إلى التباوش فى علاجه لولا المجهود الذى تبذله الآن مصلحة الصحة . وكثيرون من الأطباء الكلينيكيين يتصورون ان العدوى قاصرة على الجهاز البولى بل حتى على المثانة وعلى المستقيم . حينما مرض البلهارزيا لايعرف الاقتصار على أى جزء من أجزاء الجسم وان كان له اختيار للجهازين السالفى الذكر . وكثيرا مافحصت أعضاء متنوعة فى لموتى الذين كانوا مصابين بالبلهارزيا (بعد هضم الجزء الممتحن بمحلول الصودا الكاوية ٢٠ ٪ وفرز السائل فيما بعد) فكنت أجد بويضاتها فى بعض الأحيان حتى فى الرئة . وكما يعلم المشتغلون بالبلهارزيا الآن قد وجدت هذه البويضات تقريباً فى جميع أنسجة الجسم البعض منها دليل على وجود إصابة باثولوجية قد لايشتبه بالكلية فى أنها ناشئة عن البلهارزيا (مثل تليف النخاع الشوكى — fibrosis of the spinal cord وما يتبعه من شلل الخ) والبعض الآخر يوجد مصادفة دون أن يشير إلى وجود مرض فعال . ورأيى ان بعض حالات التليف لقمة الرئة و بعض حالات التهاب الشعب المصحوب بالنزف القليل أى المعرق بالدم قد تكون لها صلة بالبلهارزيا ،وهذا بطبيعة الحال مبحث دراسى لأن البحث عن البويضات فى البصاق غير مألوف حينما يجب أن يتبع فى الحالات النزفية الخالية من الدرن فى قطر كمصر ، لا سيما وقد ظهر جلياً لكل المشتغلين بالبلهارزيا أن بويضاتها كثيراً ما تستقر فى الرئتين كما يدل البحث الهضمى للرئتين ،وغير معقول أنها تبقى دائما بغير أثر باثولوجى فى جميع الحالات

ولو أن الآراء فى أسباب هذا المرض كثيرة وقد عملت تجارب عديدة تضاربت تائجها بخصوص منشأ هذا المرض، وظن بعض الباحثين المهتمين أنه ذو صلة بالبلهارزيا، إلا أنه لم يقدم سابقاً أى دليل على واقعى على وجود إصابة البلهارزيا فى الطحال مسبية حولها علامات باثولوجية مثل التليف (fibrosis) المقترن بالتضخم وكان الدليل استنتاجياً فقط من تكاثر الخلايا الايوسينية فى الدم ووجود بويضات فى قليل من الحالات بعد هضم الطحال بمحلول الصودا الكاوية وتركيز هذا المحلول فيما بعد، وقد سبق لنا أن أشرنا إلى وجود البويضات فى أعضاء أخرى والعثور عليها بطريقة الهضم، وقد يكون وجودها استقراراً فقط لا مرضياً . ولكنى شخصياً وفقت حتى الآن للعثور عليها للمرة الاولى فى طحال هذا المرض فى ثلاث دفعات ، وكانت فى دفعتين مسبية لمظاهر باثولوجية حولها ، أما فى الدفعة الثالثة فكان وجودها مجرد وجود فقط غير مصحوب بأى تفاعل باثولوجى فى الخلايا . وفى كثير من أحوال تضخم الطحال (ولو أنى لم أجد بويضات البلهارزيا فيه) وجدت التليف وتكاثراً فى الخلايا الايوسينية بالطحال نفسه كما فى الحالتين السابقتى الذكر اللتين وجدت فيهما بويضات البلهارزيا وقد كانت وقفا على جزء محدود من الطحال . وبديهى أنه ليس فى الامكان امتحان الطحال جميعه هستولوجياً فأنا الآن أعتقد أن البلهارزيا لها شأن كبير فى تضخم الطحال المصرى . وهذا لا يمنع من وجود مرض باتى (Banti's Disease) وغيره من أنواع التضخم الطحالى الكبدى . أما العوارض الباثولوجية فى نسيج الطحال من تأثير البلهارزيا فهى وجود دبل بلهارزية (Bilharzial Nodules) مصحوبة بخلايا عملاقة نشيطة متعددة النوى بعضها هاضم فعلا لبويضات البلهارزيا ، ووجود ألياف بكثرة وخلايا ايوسينية عديدة جداً وتضخم فى الأوعية الدموية تضخماً زائداً وكذلك تضخم فى عوارض (trabeculae) الطحال وفى غلافه

الكباد المزمن (Cirrhosis of the Liver)

كثيراً ما ينسب هذا المرض فى أوروبا إلى الادمان على تعاطى الكحول وهذا غير الواقع فى ريف مصر حيث يوجد هذا المرض عند الفلاحين الذين لا يتعاطون

الخز كلية . أما منشؤه عندنا فغير معروف ولعل الغالب انه يرجع إلى تسمم معوى مزمن وإلى جانب هذا يوجد فى مصر نوع من الكباد المزمن سببه البلهارزيا . والفرق شاسع ما بين النوعين ، إذ نرى فى النوع الأول التسمى أن النسيج الليفى يحيط بفصيصات (lobules) الكبد ولذا نسمى هذا الكباد بالكثير الفلقات (multilobular) ونرى فى النوع الثانى (كباد البلهارزيا) التليف قاصراً حول الوريد البابى (portal vein) ومنتشراً حول فروعه أيضاً ، ولذلك أطلق عليه أيضاً اسم كباد محيط الباب (Periportal Cirrhosis) .

حصى الجهاز البولى (Urinary Stones)

خلافاً للمألوف فى الأقطار الاوروبية يرجع إلى البلهارزيا فى مصر كثير من الحالات التى يوجد فيها حصاة أو حصى بالجهاز البولى . وكثيراً ما كانت نواة الحصوة مؤلفة من بويضة أو بويضات بلهارزيا وهذا النوع من الحصى البولى يمكن تشخيص وجوده بأشعة إكس ، على ان البلهارزيا قد تسبب فى الحالب مثلا أكياساً صغيرة فيها بويضاتها مع رواسب دموية وبولية فتخال بأشعة إكس أنها حصوات صغيرة تو يفتح عليها فيظهر حينئذ خطأ التشخيص . والمستنتج من ذلك أنه يجب على الطبيب الكلينيكى أن يكون على حذر عند تشخيص الحصى الصغير فى الحالب وأن يقدر جواز وجود هذه الحالة .

مضاعفات البلهارزيا (Bilharzia complications)

(١) الجهاز البولى — أغلب النواسير البولية التى فى العجان يرجع إلى عدوى البلهارزيا وهى كما يعلم الجراحون أكثرها تشعباً وأبعدها عن التحديد وأعظمها تليفاً بخلاف النواسير الصديدية والدرنية فانها تكون متهدمة فلا مقارنة بين رخاوتها وبين تصلب النواسير البلهارزية . وإلى جانب العجان يجب أن لايفوتنا ذكر النواسير القضيبية وخصوصاً فى ماحول الحشفة .

وقد أدت عدوى البلهارزيا المهملة إلى إحداث السرطان فى أسنان صغيرة (فضلا عن الأسنان الكبيرة) لاينتظر ظهور السرطان فيها طبعاً لولا التهيج العظيم الذى تحدثه بويضات البلهارزيا فى الطبقة التحت المخاطية ، فقد وجدت السرطان المثانى الناشىء

عن البلهارزيا فى سن ١٧ سنة فما فوق خصوصاً فى الذكور . ويغلب نشوء سرطان البلهارزيا المثانى فى المثلث القاعدى (trigonum) وبانتشاره ينجم عنه انسداد جزئى أو كلى لمصب الحالب فى المثانة . وفى بعض الأحيان يكون السرطان عاماً ويشمل جميع حيطان المثانة وقد تتضخم حيطان المثانة لدرجة كبيرة فلا يبقى من تجويف المثانة سوى اليسير وحينئذ تفقد خاصة تقلص أو انقباض المثانة بسبب تلف نسيجها العضلى واستحالته إلى مادة سرطانية . ويلاحظ فى هذه الأحوال انسيابولى دائم (constant incontinence) وفى بعض الحالات النادرة تتسرب المادة السرطانية إلى الجسمين المتكهفين للقضيب (crura of penis) وإلى عضلاته . وينشأ عن ذلك انتصاب دائم مؤلم . وفى السن المتقدمة ينتشر إلى البروستاتة حيث يسبب تضخما فيها ويكون السرطان فى هذه الحالة تبعياً وليس أولياً كما يظن . أما الحالب فهو عرضة لجميع أنواع عدوى البلهارزيا مبتدئاً بخشونة غشائه المخاطى الذى يصبح شبيهاً بطبقة رملية دقيقة مبلولة ومتدرجة إلى الأكياس السابق التنويه عنها ومنتهياً بتليف عام مع ضيق فى قناته قد يؤدى فى أغلب الأحايين إلى انسداد كلى فيتبعه استسقاء الكلية (Hydronephrosis) وتقيح الكلية وحوضها (Pyonephrosis) . وقد يصيب حوض الكلية مباشرة ما أصاب الحالب من إصابات باثولوجية . وأما إصابات الكلية نفسها فهى غالباً ثانوية ، والمهم فى ذلك الالتهابات الصديدية .

(٢) الجهاز الهضمى — لا نعرف للآن مضاعفات بلهارزية فى المعدة ولا فى البنكرياس ولا فى الامعاء الدقيقة . أما الامعاء الغليظة فهى عرضة جميع التحولات الباثولوجية البلهارزية المعروفة . ويحسن بنا أن نذكر نوعا قرحياً يشبه كثيراً فى أعراضه الكلينيكية أعراض الديسنطاريا وينشأ هذا النوع تبعاً لتقرح الأورام الحلية (Papillomata) البلهارزية وانفصالها عن قواعدها . وقد أشار سابقاً مؤلف هذا الكتاب إلى التشابه فى صورة خلايا البراز ما بين حالات الديسنطاريا الباسلية والديسنطاريا البلهارزية ، وحذر من الاعتماد فى التشخيص على مظهر الخلايا وحدها كما هو متبع كثيراً فى بعض المعامل . وهناك نوع آخر متغنغر (gangrenous) قد يصيب جزءاً كبيراً من الغشاء المخاطى للأمعاء الغليظة . وهناك نوع ثالث أظهر صفاته التليف العام فى حيطان الأمعاء الغليظة مع تقرح قليل أو كثير . ويجب أن لا ننسى أن اهمال هذه الحالات ينتج عنه فى أغلب الأحيان أورام حلية كبيرة الحجم قد تسبب انسداداً جزئياً أو كلياً

لقناة (lumen) الامعاء. أما الحالات السرطانية فهى ليست بالقليلة وخصوصا فى المستقيم وماحول الشرج ، وهنا أيضاً تكون أهم العلامات انسداد الفتحة . وأما عن الكبد فقد تكلمنا على مضاعفات أصابتها البلهارزية من قبل عند ذكر الكباد المزمن .

(٣) الطحال — أظهر المضاعفات فى هذا العضو الدموى اللمفاوى هو التضخم العام وقد سبقت الاشارة اليه .

(٤) الجهاز الجلدى — فى مبدأ المرض يظهر طفح على الجلد وحمى معتدلة وخصوصا فى الغربيين (البيض)

(٥) الجهاز العصبي — قد يصاب أيضا دون أن يتبع ذلك علامات مرضية كما لاحظت ذلك فى الفحص المنتظم للنخاع الشوكى بعد حلها بالصودا الكاوية (٢٠ ٪) . وقد تنتج مضاعفات مثل التليف العام فى جزء أو أجزاء من النخاع الشوكى ويصحب ذلك شلل على حسب درجة التليف وموضعه .

(٦) الجهاز التناسلى — كله عرضة لاصابات البلهارزيا ولانستثنى من ذلك إلا الخصية نفسها فان اصابتها نادرة . وتكثر الاصابة فى الحبل المنوى فى الرجال . وفى الأعضاء التناسلية الخارجية فى السيدات على أنى كثيراً ما وجدت هذه الاصابة فى فم الرحم وفى جسم الرحم أيضاً وفى الأورام الليفية للرحم المصاب (وهذه الأخيرة نادرة) وفى المبيضين . وتستحق إصابة الحبل المنوى تحذيرا خاصا إذ بعض الأطباء الكلينيكيين يخطئ فيلتبس عليه تشخيصها ويحار ما بين الأمراض الزهرية والدرنية والسركوما والفتق المتلاصق (adhereut hernia) . وقد حصل فعلا أن أزيلت الخصية مع الحبل المنوى على اعتبار وجود إصابة مرض خبيث حينا الفحص الباثولوجي فيما بعد أظهر وجود إصابة بلهارزيا فقط ، وكذلك حدث أن أزيل الرحم اشتباهاً فى وجود سرطان بالعنق حينما دل الفحص الباثولوجى فيما بعد على إصابة البلهارزيا فحسب . وهذا ما يحتم إجراء الفحص الباثولوجى من قطعة مستأصلة من الأنسجة المشتبه فيها قبل العملية . ومما هو جدير بالذكر فى حالات التهاب الحبل المنوى الحادة (acute funiculitis) أن قد ينشأ التهاب بين ذلك وبين الفتق المختنق (strangulated hernia) حيث يبدو من العوارض على المريض فى كلتا الحالتين ورم مصحوب بألم شديد حاد وقئ وإمساك فيقع الالتباس فى التشخيص ، وقد تكون عاقبة الخطأ وخيمة (٧) البريتون — قد

يؤدى أحياناً مرض البلهارزيا إلى وجود تدرن فى البريتون يشبه كثيراً الدرن الحقيقى

المعدة المصرية (The Egyptian Stomach)

تمتاز المعدة المصرية المرضيه بتمددها الناشئ من ميل المصريين إلى تناول السوائل بكثرة خصوصاً فى فصل الصيف وكثرة التغذيه بالخضروات والتوابل إلى درجة أن أصبح عند عدد من الفلاحين ضياع الأنياب (canines) وتعويضها بالأضراس الطاحنة الامامية (premolars) وذلك لكثرة أكل الخضروات بدل اللحوم .

وبعكس الحالة فى أوروبة تقع مشاهدات سرطان المعدة هنا بنسبة أقل ولعل للغذاء اللحمى هناك ومايتبعه من حموضة دخلا فى ذلك .

اللشمانية (Leishmaniasis)

بعكس ما هو معروف عن هذا المرض فى سورية و العراق (خصوصاً فى حلب وبغداد) حيث يظهر هذا المرض بشكل قرحة موضعية منفردة حتى أطلق عليها اسم « القرحة الشرقية » أو « قرحة حلب » نلاحظ أن هذا المرض عندنا يظهر فى صورة قرح صغيرة متعددة ، وقد يتشكل بصورة التهاب جلدى شامل للجزء المعرى من الساق والقدم ومن الساعدين و اليدين . فيجب على الطبيب الكلينيكى إذا ماشاهد فى إحدى الحالات قرحاً مزمنة أن لا يفوته تقدير وجود هذا المرض فيستعين بالتشخيص الميكرسكوبى

البلاجرة (Pellagra)

لعل هذا المرض أهم ما يعنينا فى مصر من أمراض سوء التغذية . وأعراضه الظاهرة من تغيرات فى جلد الصدر و العنق والوجه والساعدين و اليدين و الساقين الخ . ومن فقر دم ، هى أخف ضرراً بكثير من مضاعفاته العصبية التى قد تؤدى إلى الجنون أحياناً : سواء جنون الانتحار أو الرغبة فى القتل . وهذه المسألة تهم الطب الشرعى فى مصر إذ يجب استثناء البلاجرة من الحالات الجنائية . و باثولوجياً ليس لهذا المرض أثر إلا فى النخاع الشوكى و فى الجهاز الهضمى حيث يحدث تجرد فى الغشاء المخاطى للسان و المعدة والامعاء ، مع ما يعقب ذلك من إفساد وظيفة الجهاز الهضمى .

ولعل فى هذا القدر المتقدم كفاية لهذا الكتاب العملى ، راجياً أن لا يخلو من لذة وفائدة للطبيب الكلينيكى على الأخص ، وأن تدفعه هذه الملاحظات إلى الاهتمام بالمباحث الباثولوجية بمثل اهتمامه بالفحص البكتريولوجي ، فكلاهما و التشخيص الكلينيكى كل لا يتجزأ ؟

أنيس أنسى

فهرست العدد

تابع الفهرست

شيطان بنتؤور

أظنك لم تسمع عن « بنتؤور » الشاعر الفرعونى القديم ؟ ويخيل الى انك لم تسمع حتى باسم « بنتؤور » حكيم مصر القديمة وشاعرها الأوحد ؟

اذن فانتظر أن تلتقى به عما قريب عند سفح الهرم الاكبر ، وأن تمتع بحديثه وبكائه على العظمة الزائلة والشمس الآفلة

هذا لان شاعر مصر الاكبر وأمير شعراء الشرق أحمد شوقى بك قد تفضل على « العصور » ودارها باعادة طبع هذا الكتاب الذى كتبه على لسان « بنتؤور » شاعر مصر القديمة ، وفيه ناجى الاهرامات ، وناح على طلول المدن الاربع . فهو بحق سفر أدبى مقطوع النظير ، وكنز شعرى خيالى ، قلما تجود بمثله أقلام الكاتبين.

وقد بالغ أمير الشعراء فى تفضله فسمح بان تصدر « دار العصور » الكتاب خالصة طبعته لها دون غيرها . فلا يسعنا أزاء هذا الا أن نرد هذا التفضل شكراً نعلنه على صفحات العصور.

فارتقب صدوره واوص على نسخة من منذ الآن فى مكتبتك التي تعاملها